Page#1

22.5

Page#2

جمة: ساي الدروت 11\_طماع !© :161 1انلا 1

Page#3

دوستوفسيى ابلذكامر 1\_طماع © :161 1انلا 1

Page#4

لقد طّبعت أعمال الكاتب الروسي الكبير (دوستويفسكيء أكثر من مرّة. ونحن نعيد طباعتها بموجب عقد مع ورثة المترجم الأستاذ سامي الدروبي بعد إعادة تنضيدها وإخراجها في حلّة جديدة 1\_طماع © :161 1انلا 1

Page#5

الكتاب المقامر (رواية) الثانية , 2013 عدد الصفحات: 240 القياس: 14.5 2< 21.5 الترقيم الدولي: 978-9953-68-400-0 :15811 الناشر المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ‏ المغرب ص .ب : 4006 (سيدنا) 2 الشارع الملكي (الأحباس) هاتف: 0522303339 05223076512 فاكس: 305726 522 212+ 2000.3 سه © ججوعاعهم :اتقصظ بيروت- لبنان صض.ب : 113-5158 الجمراء شارع جاندارك\_بناية المقدسي هاتف: 750507 01 01352826 فاكس: 1343701 961+ 0(9لإط\_ذهةء\_ وعه الفط 1\_طماع © :161 1انلا 1

Page#6

11\_طماع © :عا ]أانلا 1"

Page#7

المقامر 1866 | فكرة تأليف رواية #المقامر؛ قد خطرت لدوستويفسكي سنة “ ن 3, أثناء رحلته إلى الخارج مع باولين سوسلوفا. فبينما كان دوستويفسكي في طريقه إلى باريس للحاق بحبيبته التي تلبث بمدينة فسبادن الألمانية ليقامر على الروليت. وقد ألهبه هوى هذه المقامرة) وربح) وظن أنه أدرك القواعد التي يجب اتباعها في هذه اللعبة لضمان الربح. وها هو ذا يكتب إلى فرفارا كونستان) أخت زوجته الأولى) قائلاً: (لقد أصبحت أعرف السر حقاً: إنه سر بسيط غاية البساطة) وهو أن يمتنع المرء من حين إلى حين) دون أن يهتم أي اهتمام بمراحل اللعب) ودون أن يفلت منه زمام سيطرته على أعصابه. ذلك كل شيء. يستحيل أن يخسر اللاعب متى اتبع هذه القواعد). ولكن دوستويفسكي ما يلبث أن يروي لأخت زوجته ما أصابه في اللعب من سوء الحظ وما نالته به المصادفات من نكبات) فيقول لها في رسالة بعث بها إليها من مدينة بادن بادن بعد الرسالة الأولى بأسبوع واحد: القد وضعت لنفسي بمديئة فسبادن يقة في اللعب طبقتها فسرعان ما ربحت عشرة آلاف فرنك. ولكنني اندفعت في تيار الحماسة صباحاًء فغيرت هذه الطريقة) فما لبئت أن خسرت على الفور. حتى إذا عدت في المساء إلى تلك الطريقة) فاتبعتها اتباعاً دقيقاً لا أحيد عنئه) وجدتني أربح من جديد ثلاثة آلاف فرنك بسرعة ويغير كبير جهد. فقولي لي بعد هذا: ألم 7 1\_طماع © :سا1

Page#8

صارماً كنت أضع سعادتي بين يدي؟...2. إن هذه الحاجة بعينها إلى المال) وهذا الظمأ نفسه إلى الاغتناء في سبيل إسعاد ذويه هما الينبوع الذي ستصدر عنه صورة (السوبرمان) المخفق: راسكولنيكوف) بطل رواية (الجريمة والعقاب). ولكن دوستويفسكي) قبل أن يتصور روايته #الجريمة والعقاب) يفكر في معالجة موضوع آخر. وها هو ذا يكتب إلى ستراخوف في 18 كانون الأول (ديسمبر) 1863) قائلاً: (ليس عندي الآن شيء جاهز. ولكنني وضعت مخطط قصة موققة (في رأيي)؛ موضوعها هو التالي: شاب روسي في الخارج... شخصية حية (يُخَيّل إلي أنني أراها ماثلة أمامي). . . النقطة الأساسية هي أن كل ما يتدفق في الشاب من نسغ الحياة) وكل ما يضطرم فيه من قوى) وكل ما يعصف به من فوران واندفاع) وكل ما يتصف به من جرأة وجسارة) النقطة الأساسية هي أن هذا كله تستنفده الروليت. إنه مقامر. ولكنه ليس مجرد مقامرء كما لم يكن (الفارس البخيل؟ الذي وصفه بوشكين مجرد بخيل (ولا أريد أن أقارن نفسي ببوشكين) وأنا أقرل هذا من باب الإيضاح). إنه شاعر من نوع خاص) ولكنه يحس بالخجل والعار من هذا الشعرء لأنه يشعر بصغاره شعوراً عميقاًء رغم أن الظمأ إلى المخاطرة يرفع قدره في نظر نفسه. والقصة كلها ترينا كيف ينصرف إلى المقامرة على الروليت خلال ثلاث سنين في بيت من بيوت القمار. ولئن اجتذب كتابي (منزل الأموات) انتباه الناس من حيث هو تصوير لسجناء لم يسبق لأحد أن وصفهم قبل ذلك عياناً) فلا شك أن هذه القصة ستجتذب هي أيضاً انتباه الناس من حيث هي تصوير مفصل جداً للروليت بالعيان... (هي وصف 8 1\_طماع © :سا1

Page#9

لنوع من الجحيم يشبه جحيم المعتقل). ولكن من الواضح أن هذه القصة لا تعدل (منزل الأموات) قوة وعظمة. ولا شنك أن الكاتب أحس بذلك) فلم يتكلم عن مشروعه هذا بعدئذ خلال ثلاث سنين. والواقع أنه كان في أثناء هذه المدة منهمكاً أشد الانهماك في تأليف روايته: (الجريمة والعقاب) التي ما ينفك يعيد النظر فيها ويبدلها وينقحها؛ وهو ينتهز أثناء ذلك فرصة من الفرص فيكتب قصته (في قبوي' ثم يعود إلى روايته الكبيرة (الجريمة والعقاب) التي يبدأ بنشرها في شهر شباط (فبراير) 1866؟؛ ولكن ها هو ذا يتذكر في أول تشرين الأول (أكتوبر) من تلك السنة نفسها العقد الذي أبرمه مع الناشر الجشع ستيلوفسكي) ذلك العقد الذي يلزم دوستويفسكي بأن يقدّم للناشر في أول تشرين الثاني (نوفمبر) رواية جديدة لم يسبق نشرها تتألف من عشرة ملازم من القطع الكبير على الأقل) وإلا فقد ميليوكوف بأن يملي هذه الرواية إملاء (وهو لم يكتب منها سطرا واحداً بعد)؛ أن يمليها إملاء على فتاة تكتب بالاختزال. وفي الرابع من تشرين الأول (أكتوبر) تجيئه الفتاة آنا سنيتكين) فيأخذ يملي عليهاء ويسير العمل سيراً حسئاً. فما هي إلا خمسة وعشرون يوماً إذا بالرواية قد أنجزت. وقد جاءت الرواية طيبة رغم هذه العجلة في إملائها. إنها تنبض بالحياة؛ والقارىء يحس إحساساً واضحاً أن دوستويفسكي يروي فيها طرفاً من قصة حياته. هي رواية الحب المعذب الذي عاشه دوستويفسكي مع باولين سوسلوقا (وقد احتفظ باسمها في الرواية)؛ البطل فيها هو الشاب ألكسي إيفانوفتش الذي يعمل معلماً للأولاد لدى جنرال روسي) والذي يأسره حبان جامحان قويان) أولهما الحب الذي يشعر به نحو باولين ألكسندروفنا القاسية 9 1\_طماع © :سا1

Page#10

العاتية الغريبة) والثاني هو الهوى الجارف الذي يرده إلى مائدة الروليت بغير انقطاع. وأن الحب الذي يحمله لباولين لهو مزيج من حب وبغض معاً: إن ألكسي يعترف لباولين بأنه يجد في عبوديته تجاهها ملذات كبيرة) ويقول لها إن في المذلة والسقوط لمتعة عظمى... وهو يخاطبها بقوله: استفيدي من عبوديتي) استفيدي منها!. .. . هل تعلمين أنني سأقتلك في يوم من الأيام؟ أما هوى المقامرة الذي يمازج هوى الحب في نفس البطل) كما دوستويفسكي يصوّره في هذه الرواية نوعاً من الافتتان) نوعاً من السحر) نوعاً من الهذيان) ويكاد يصوره نوعاً من التحدي للقّدّر! قال هنري ترويا متحدثاً عن دوستويفسكي: (لقد أتاحت له الروليت أن يعبث بالقدر كما كان القدر يعبث به؛. صدق هنري تروياء فبفضل الروليت تجاوز دوستويفسكي (الجدار)اء جدار المنطقء الذي لطا عنده بطل قصة (في قبوي). إنه ينتقل هنا إلى ميدان المصادفة) و(اللامنطق)؛ قائلاً: (لا يبقى ههنا دلالة لقولك أن اثنين واثنين تساوي أربعاً. إن القمار هو التجربة الأولى للحرية في العالم المادي) . وفي هذه الرواية يصوّر دوستويفسكي شخصيات أخرى طريفة: يصور السيدة العجوز بابولنكا التي ينتظر الجنرال) الرجل التاقى موتها الوشيك: ما أروع وصف دوستويفسكي لهذه العجوز حين استبد بها هوى المقامرة! وإذا كان موتها الوشيك: ما أروع وصف دوستويفسكي لهذه العجوز حين استبد بها هوى المقامرة! وإذا كان المؤلف يرسم للروس في هذه الرواية صورة غير مشرقة فإن الصور التي يرسمها لغيرهم ليست أكثر إشراقاً: فالآنسة بلانش الفرنسية التي 10 1\_طماع © :سا1

Page#11

تهب نفسها لمن يجزل العطاء أكثر من غيره؛ ودي جريو الذي لا يختلف دوره كثيراً عن دور متطفل إن لم يزد عليه حقارة؛ والبارون الألماني المتكبر المتعجرف الغبي؛ والبولونيون الثلاثة (النصابون)) هؤلاء جميعاًء وهم من غير الروس) ليسوا بالشخصيات المحببة. وهنا نرى -خيبة الأمل التي أحسها دوستويفسكي تجاه أوروبا الغربية) والتي عبر عنها في (ذكريات شتاء عن مشاعر صيف). وليس ثمة إلا استثناء واحد: هو شخصية مستر آستلي) ذلك الإنجليزي الصموت الفاضل الذي يحب باولين دون أن يعترف لها بحبهء ويمد يد العون إلى ألكسيء ويحاول أن يصلح المساوىء التي يقارفها الأبطال الرئيسيون في هذه القصة. إن هذا الإنسان المتأمل يرى أن الروليت إنما خلقت للروس) الشرهين المتلافين المبذّرين) المسعورة أهواؤهم. إن دوستويفسكي يدين هنا على لسان مستر آستلي مَيْلِين جامحين كانا يعيثان في نفسه فسادأء ثم برىء منهما آخر الأمر. كّ 11 1\_طماع © :عاكاس1

Page#12

الفصل الأول هاأننا أعود أخيراً بعد غياب طال خمسة عشر يوماًء كان لم أصحابنا قد وصلوا رولتتبرج7© منذ ثلاثة أيام. مختال الخطىء كلمني مستعلياً ثم أرسلني إلى أخته. واضح أنهم وجدوا ما يقترضونه من مال. حتى لقد بدا لي أن الجنرال كان من الاضطراب. فلم تكد تخاطبني ببضع كلمات) حتى أخذت المال فعدَّته وأصغت إلى تقريري حتى نهايته. كانوا ينتظرون على العشاء ميزتنوف والفرنسي الصغير ورجلاً إنجليزياً. تلكم عادة أهل موسكو دائماً: متى حصلوا على مال دعوا الناس إلى عشاء. وحين رأتنى باولين ألكسندروثنا سألتني لماذا غبت هذا الغياب الطويل كله؛ لم مضت لم تنتظر جوابي. واضح أنها فعلت ذلك عامدة. ولا بد مع ذلك من تعليل. لقد ضاق صدري ذرعاً . أعطيت حجرة صغيرة في الطابق الرابع من الفندق. الناس يعرفون هنا أنني واحد من حاشية الجنرال. لقد ظفر أصحابي بلفت الأنظار 12 1\_طماع © :سا1

Page#13

إليهم. كان ذلك واضحاً. فالناس جميعاً هنا يعدُون الجنرال من سراة الروس الذين يملكون ثراء طائلاً. وقد كلفني قبل العشاء بعدة أمورء بدلتهما في مكتب الفندق. الآنء سينظر إلينا الناس) خلال أسبوعين في أقل تقديرء نظرتهم إلى أناس من أصحاب الملايين. ذهبت أبحث عن ميشا وناديا لأصحبهما في نزهة: ولكنني فيما كنت أهبط السلم أرسل الجنرال يدعوني إليه. لقد رأى أن من الخير أن يعرف إلى أين أقود الطفلين. إن هذا الرجل لا يستطيع حتماً أن ينطر إل وجهاً لوجه. إنه يتمنى ذلك) لكنني أرد عليه في كل مرة بنظرة تبلغ من الإلحاح) أي من الوقاحة) ما يفقده صبره. الأمر إلى فوضى كاملة واضطراب تام) أفهمني أن علي أن أنرٌه الطفلين في الحديقة على مسافة من الكازينو. ومن أجل أن يختم - أم تراك تأخذهما إلى الروليت؟ معذرة إذا قلت لك هذاء ولكنني أعرف أنك ما تزال على شيء من الطيش) فقد تستسلم لمغريات المقامرة. وعلى كل حالء) رغم أنني لست من يهديك سواء السبيل) ولست أنوي أن أقوم بهذا الدور قطء يحق لي أن أتمنى أن لا تعرّض سمعتي لأذىء إذا جاز لي أن أستعمل هذا قلت بهدوء: لكنك تعلم حق العلم أنني لا أملك مالاً) ولا بد أن يملك المرء مالا حتى يخسره في القمار. أجاب الجترال وقد احمرٌ وجهه قليلاً : 13 1\_طماع © :عاكاس1

Page#14

- سأعطيك حالاً. قال ذلك ثم نبش مكتبه قليلاًء فأخرج منه دفترأ) فوجد أنه مدين لي بما يقارب مائة وعشرين روبلاً. وأردف يسأل: - كيف أدفع لك هذا المبلغ؟ ب يجب أن نحوّله إلى تاليرات. إليك الآن ماثة تالير رقماً مدوّراً. أما الباقي قنصفيه فيما بعد. تناولت المال دون أن أنبس بكلمة. - لا يغضبئّك كلاميء أرجوك... أنت امرؤ سريع التأذي. . ولئن أبديت لك هذه الملاحظة) فمن قبيل التحذير إن صح هذا التعبير) وأحسب أن ذلك من حقي.. وفيما كنت عائداً بالأطفال قبيل العشاء صادفت في الطريق جماعة يركبون خيلاً. كان أصحابنا ذاهبين في زيارة لبعض الآثار. عربتان فخمتان). جياد رائعة! كانت مدموازيل بلانش في إحدى العربتين مع ماري فيليبوثنا وباولين؛ وكان الفرنسي الصغير والانجليزي وصاحبنا الجنرال يخفرون العربة على صهوات أفراسهم. وكان المارة يتوقفون لينظروا إليهم. لقد أحدث هذا أثره. لكن ذلك سوف يتتهي بالجنرال إلى نهاية سيئة. لقد حسبت أنهم بالآلاف الأربعة من الفرنكات التي جئتهم بهاء وبما استطاعوا أن يقترضوه من غير شكء يملكون الآن مبلغاً يتراوح بين سبعة آلاف وثمانية. وهذا قليل جداً على مدموازيل إن مدموازيل بلانش تنزل مع أمها الفندق نفسه الذي ننزل فيه نحن) وينزل فيه الفرنسى القصير أيضاً. إن خدم الفندق ينادونه (سيادة الكونت). أما أم مدموازيل بلانش فهي تسمي نفسها (السيدة الكونتيسة). ومن يدري على كل حال؟ لعلهما كونت وكونتيسة حقاً. 14 1\_طماع © :سا1

Page#15

كنت على ثقة من أن سيادة الكونت لن يتعرفني إذا نحن التقينا على العشاء. وواضح أن الجنرال لم يخطر بباله لحظة أن يعرّف أحدنا بالآخرء أو أن يقدمني إليه على الأقل. لقد عاش سيادة الكونت في روسياء فهو يعرف إذن صِعّْر شأن ما يسى هنالك (أوتشيتل) (المربي). على أن سيادة الكونت يعرفني حق المعرفة. لكنني لم أكن منتظراً في العشاء. لا شك أن الجنرال نسي أن يصدر أوامره في هذا الشأن) وإلا لأرسلني إلى المائدة المعذدّة من غير شك. جئت من تلقاء نفسي ) فرمقني الجنرال بنظرة استياء . وسرعان ما بادرت ماري فيلييوقنا الشهمة فعينت لي مكاناً. غير أن التقائي بمستر آستلي قد أخرجني من الحرج فإذا أنا بحكم الظروف واحد في بروسيا إنما كنت قد التقيت أول مرة بهذا الرجل الغريب الأطوار. كنا جالسين متقابلين في حجرة واحدة من حجرات القطار. كنت يومئذ مسافراً للحاق بأصحابنا. ثم التقيت به مرة أخرى على الحدود الفرنسية) والتقيت به أخيراً في سويسرا. معنى ذلك أنني اجتمعت به مرتين في مدى خمسة عشر يوماً. وهاأنذا ألقاه اليوم في رولتنبرج! ما رأيت في حياتي رجلاً في مثل خجله. إنه خجول إلى درجة عجيبة. وهو يعلم ذلك حق العلم لأنه ليس بالغبي قط. على أنه ذو طبع مسالم لطيف. لقد حملته على الكلام أثناء لقائنا الأول. فذكر لي أنه زار في ذلك الصيف رأس الشمال) وأنه يرغب كثيراً في أن يرى معرض نيجني 27 نوفجورود. ولا أدري كيف أصبح على صلة بالجنرال. يخيّل إليَ أنه موله بحب باولين. فلقد احمرٌ وجهه احمزاراً شديداً حين دخلت. وقد سرّه كثيراً أن يكون إلى جانبي على المائدة. وأظن أنه يعذّني منذ الآن صديقاً حميماً. 15 1\_طماع © :عاكاس1

Page#16

وكان الفرنسي الصغير مسرفاً في تصنّع الأوضاع الممجوجة. كان يعامل جميع الناس في احتقار ودون كلفة. إنني أتذكر أنه كان في موسكو يحب أن يذرٌ الرماد في العيون. وقد أطنب في الكلام على الأحوال المالية والسياسية الروسية. فسمح الجنرال لنفسه أن يعارضه مرة أو مرتين) ولكن على تخفبٍ وتلطف) أي بالقدر الذي لا يفقده مهابته تماماً. كنت في حالة نفسية غريبة. ومن نافل القول أن أذكر أنني ما السؤال المعتاد الأبدي: (ما الذي يجرني وراء هذا الجنرال؟ لقد كان ينبغي لي أن أتركهم منذ زمن طويل!4. وكنت ألقي نظرة خاطفة على باولين ألكسندروثنا من حين إلى حينء فألاحظ أنها لا توليني أي انتباه. وصعدت أبخرة الخردل إلى أنفي آخر الأمر فقررت أن أقارف وقاحة من الوقاحات. ومن أجل أن أبدأ ذلك؛ اقتحمت المناقشة على حين فجأة) دون أن أدعى إلى المشاركة فيهاء متكلماً بصوت مرتفع. كنت أحاول خاصة أن أشاجر الفرنسي الصغير. فالتفتٌ نحو الجنرال) أقول دون تمهيد ولا توطئة)؛ بصوت عال واضح مفهوم (وأظن أنني قاطعته) : لقد استحال تقريباً على الروس في هذا الصيف أن يتناولوا وجبات طعامهم على الموائد المعدة. فما أن سمع مني الجنرال هذا الكلام حتى رمقني بنظرة دهشة. وتابعت أقول: - إن من يحترم نفسه لا بد أن يتعرّض للوقاحات وأن تناله الإهانات. ففي باريس) وعلى نهر الراين) وحتى في سويسراء ترى الموائد المهيأة غاصة بالبولونيين وأشباههم) صغار الفرنسيين) بحيث لا تستطيع أن تنطق بكلمة واحدة متى كنت روسياً. 16 1\_طماع © :عاكاس1

Page#17

قلت ذلك بالفرنسية. فكان الأمير ينظر إليّ حائراً لا يدري أيجب عليه أن يغضب أم يكفيه أن يدهش لنسياني نفسي إلى هذه الدرجة من النسيان. قال لي الفرنسي الصغير بلهجة الاحتقار والإهمال: - يظهر أن أحداً قد لقّنك درساً. - في باريس تشاجرت أولاً مع بولوني؛ ثم مع ضابط فرنسي انتصر للبولوني) ثم ناصرني جزء كبير من الفرنسيين حين رويت لهم أنني أوشكت أن أبصى في قهوة أحد كبار الكهنة (١مونسينيور).‏ - تبصق؟ كذلك سأل الجنرال بدهشة متكبرة) حتى لقد جال ببصره في أطراف الغرفة. وألقى علي الفرنسي نظرة متفحصة مرتابة. - تماماً. لقد ظللت ثماني وأربعين ساعة أظن أنه ربما كان علي أن أئب إلى روما من أجل قضيتناء لذلك ذهبت إلى السفارة البابوية أطلب تأشيرة على جواز سفري. فاستقبلني هنالك قس قصير يشارف الخمسين من عمره.ء نحيل القامة) جليدي الوجه؛ فبعد أن أصغى إلى كلامي رجاني أن أنتظرء وذلك بلهجة مهذبة لكنها جافة جداً. وكنت مستعجلاٌ لكنني جلست طبع وأخرجت من جيبي جريدة (الأوبينيون ناسيونال): وأخذت أقرأ فيها مقالاً هو هجوم عنيف لاذع على روسيا. وفي أثناء ذلك سمعت أحداً يمضي إلى (المونسينيور) في الغرفة المجاورة) ورأيت القس يُظهر له أنواع الاحترام . وجددت طلبي إلى المس) فرجاني مرة ة أخرى أن أنتظرء 17 1\_طماع © :سا1

Page#18

زائر تبيّن أنه نمساوي. فلما استمعوا إلى كلامه) صعدوا به فوراً إلى فوق. عندئذ شعرت بشيء من الغضب) فنهضت عن مكاني) واقتربت من القس وقلت له بلهجة قاطعة: ما دام (مونسينيور) وقد بدت في وجهه دهشة خارقة. إنه لا يستطيع أن يفسر لنفسه كيف يجرؤ روسي أن يقارن نفسه بضيوف (مونسينيور). فإذا هو ينظر إلىّ من قمة رأسي إلى أخمص قدمي) ويصيح بأوقح لهجة ممكنة) كأنما يفتنه ويسحره أن يهينني: (ما ينبغي أن تظن مع ذلك أن اامونسينيور) يمكن أن يستغني من أجلك عن فنجان القهوة الذي يحتسيه!) فما كان مني إلا أن صحت أنا أيضاً بصوت أعلى من صوته قائلاً: (فاعلم إذن أنني أبصق في قهوة (مونسنيورك)) وأنني أستخف به! فإذا لم تنجز لي جواز سفري فوراً) فسأمضي إليه بنفسي لألقاه؛ . - كيف؟ أفي اللحظة التي يستقبل فيها كردينالاً؟ كذلك صاح القس مذعوراً وهو يبتعد عني؛ وركض نحو الباب فمدّ ذراعيه كالمصلوب) ليفهمني أنه يؤثر أن يهلك على أن يدعني أدخل . عندئذ قلت له إنني زنديق وإنني متوحشء) وإنني لا أحفل بهؤلاء الأساقفة والكرادلة والمونسينيوريين جميعاً. الخ الخ. أي أظهرت له أنني لن أخضع ولن أتنازل. فرشقني القس بنظرة بغض عميق) وانتزع من يدي جواز سفري.. فمضى به إلى فوق. وما هي إلا دقيقة واحدة) حتى كنت قد حصلت على التأشيرة. وهى الآن معي" فهل تريد أن تراها؟ ‎١‏ أخرجت جواز سفري) وأريته التأشيرة البابوية . قال الجنرال يريد أن يبدأ الكلام: 15 1\_طماع © :سا1

Page#19

- ومع ذلك.. - إن ما أنقذك هو تصريحك بأنك زنديق) وبأنك متوحش. كانت تلك وسيلة غير غبية© , - أنا لا أستطيع على كل حال أن أفعل ما يفعله أصحابك الروس الذين يظلون مكتوفي الأيدي؛ لا يجرأون أن ينبسوا بكلمة) ويقدرون إذا لزم الأمر أن ينكروا وطنهم. وعلى كل حال فإن نزلاء فندق باريس قد أظهروا لي مزيداً من التقدير والاحترام حين قصصت عليهم مشاحنتي مع القس. أما ذلك الذي كان أكثر الناس فظاظة معي على المائدة المهيأة) وهو سيد بولوني ضخمء فقد توارى. سنتين إنساناً أطلق عليه صياد فرنسي ناره سنة 21812 لا لشيء إلا ليفرغ شحنة بندقيته. وكان ذلك 'الإنسان طفلاً في العاشرة من عمرهء لم يتسع وقت أسرته لأن تترك موسكو. صاح الفرنسي الصغير يقول: - مستحيل. ما من جندي فرنسي يمكن أن يطلق النار على طفل. - مع ذلك فقد وقع الأمر. إن نقيباً محترماً محالاً على المعاش هو الذي روى لي هذه القصة) وقد رأيت ت بأم عيني الندبة التي خلفها الجرح في الخد. وطفق الفرنسي يتكلم متدفقاً. وأراد الجنرال أن يدعمه ويؤيده. فنصحت له أن يقرأء على سبيل المثال) (مذكرات) الجنرال بيروفسكي© الذي سجنه الفرنسيون سنة 1812. وأخيراً أخذت ماري فيلييوفنا تتكلم في موضوع آخر لتغيّر مجرى الحديث. وكان الجنرال 19 1\_طماع © :عاكاس1

Page#20

مستاء مني أشد الاستياءء لأننا كنا أنا والفرنسي قد أخذنا نتصايح فيما يشبه الشتائم. أما مستر آستلي فقد لاح لي أن تشاجرنا قد فاز برضا حتى إذا نهضنا عن المائدة دعاني إلى تناول قدح من الكحول معه. واستطعت في المساء أن أتبادل الكلام خلال ربع ساعة مع باولين ألكسندروقنا كما كنت أرغب. وقد جرى الحديث بيني وبينها أثناء النزهة. كان جميع الحفل قد مضى إلى الكازينو عن طريق الحديقة. فجلست ياولين على مقعد أمام نافورة الماء وأذنت لناديا أن تروح تلعب مع أطفال آخرين على مسافة ما. وأرسلت أنا ميشا إلى قرب حوض الماءء فمكثنا أنا وياولين نتحدث وحيدين. تكلمنا أول الأمر عن الأعمال بطبيعة الحال. فما كان أشد استياء باولين حين لم أنقدها إلا سبعمائة فلورين على التمام والكمال! فلقد كانت مقتنعة بأنني استطعت أن أقترض في باريس ما لا يقل عن ألفي فلورين لقاء رهن ماساتها. قالت ياولين: - أنا في حاجة إلى المال مهما كلف الأمرء فلا بد لي من الحصول عليه؛ وإلا فقد ضعت. سألتها عما جرى أثناء غيابي. فقالت: - لا شيء. لقد تلقينا نبأين من بطرسبرج) أولهما أن جدتي في حالة صحية سيئة) والثاني (وقد بلغنا بعد يومين) أنها لعلها توفيت. وأضافت باولين إلى ذلك قولها: وهذا ما عرفناه من تيموتي يتروقتش ) وهو إنسان دقيق فيما ينقل من أنباء)ء ونحن في انتظار أن يتأكد الخبر. - فالجميع إذن هنا يتتظرون؟ 20 1\_طماع © :عاكاس1

Page#21

نعم) الجميع ينتظرون. لقد قضينا حتى الآن ستة أشهر لا تأمل غير هذا. - أأنتِ أيضاً تأملين؟ - أنا لا أمتّ إلى المتوفاة بقربى؟ ما أنا إلا قريبة الجنرال. ولكنني على يقين من أنها لن تنساني في وصيتها. أظن ذلكء) فلقد كانت تحبني كثيراً. ولكن من أين تستمد أنت هذا الاعتقاد؟ - قولي لي: هل المركيز مطلع أيضاً على جميع أسرار الأسرة؟ - أيعنيك أن تعرف هذا؟ كذلك سألتني باولين وهي تنظر إليَ في برود وقسوة. - أظن ذلك. إذا لم يخطىء ظني فإن الجنرال قد استطاع أن يدبر أموره فيقترض منه بعض المال. - أكان يقرضه لو كان يجهل قصة الجدة؟ ألم تلاحظي حين كنا على المائدة أنه قد دعاها بابولنكا” ثلاث مرات إذ جاء على ذكرها؟ يا لها من مودة حميمة بغير كلفة! - نعم إنك على حق. ولسوف يخطبني متى علم أنني سأنال من الميراث نصيباً. هذا ما ترغب في معرفته) أليس كذلك؟ - أما يزال في مرحلة التفكير في خطبتك؟ كنت أحسب أنه يعد قالت ياولين غاضبة: 21 1\_طماع © :سا1

Page#22

وأردفت تسأل بعد لحظة صمت: - أين التقيت بهذا الإنجليزي؟ وقصصت عليها لقاءاتي بمستر آستلي أثناء السفر. ثم أضفت: - وهو أغنى من الفرنسي عشر مرات. هل للفرنسي ثروة حقاً؟ أهذا أمر لا يتطرق إليه أي شك إطلاقاً؟ - إطلاقاً! إن له قصراً منيفاً. ولقد أكد لي الجنرال ذلك أمس. أيكفيك هذا؟ - لماذا؟ شريف) وهو فوق ذلك أغنى من الفرنسي عشر مرات. قلت لها ذلك بلهجة قاطعة. أجابت بهدوء: - هذا صحيح) ولكن الفرنسي مركيز) وهو أذكى فؤاداً وأخف ظلاً. أهذا مؤكد؟ - مؤكد تماماً؟ كانت أسئلتي تسوء باولين كثيرأًء ولاحظت أنها تريد أن تغيظني وأن تغضبني بلهجة جوابها وغرابته. فلم ألبث أن ذكرت لها ذلك) فأجابت بقولها: 22 1\_طماع © :سا1

Page#23

أنني أسمح لك بإلقاء هذه الأسئلة وتصور هذه الافتراضات. قلت بهدوء: - إنني اقرٌ لنفسي بحق إلقاء جميع ما أريد إلقاءه من أسئلة) لأننى مستعد لدفع أي ثمن تريدينه لهاء ولأنني لا أقيم لحياتي نفسها أي وزن. الرأس) بينما نحن على علو ألف قدم. لسوف أقول هذه الكلمة يوماًء لا لشيء إلا لأرى أأنت تقدم على التنفيذ حقاً؛ وثق أنني سأظهر يومئذ ما أتصف به من صلابة وحزم. أنا إنما أكرهك لأنني سمحت لك بتلك الأشياء كلهاء وأنا أكرهك مزيداً من الكره لأنني لا غنى لي عنك. إنني ما زلت في حاجة إليك. فلا بد إذن من أن أدّخرك . أصبحت في الآونة الأخيرة تختم أحاديثنا دائماً بمثل هذه اللهجة من قلت لهاء رغبةً مني في أن لا أدعها تمضي من غير تفسير: - هل تسمحين لي أن أسألك من هي مدموازيل بلانش؟ . - أنت تعرف ذلك حق المعرفة. لم يحدث أي شيء جديد. إن مدموازيل بلانش ستصبح زوجة الجترال من غير شك؛ هذا إذا صح طبعاً أن الجدة قد توفيتء ذلك أن مدموازيل بلانش وأمها وابن عمها المركيز يعرفون جميعاً تمام العلم أننا لا نملك شيئاً البتة. 23 1\_طماع © :عاكاس1

Page#24

وهل الجنرال هائم بها موله؟ - ليس هذا هو الموضوع الآن. إسمع ما سأقوله لك وافهمه تمام الفهم: خذ هذه السبعمائة فلورين) والعب بها على الروليت) واجن أكبر قدر ممكن من الربح. لا بد لي من مال الآنء مهما كلف الأمر. قالت هذا الكلام) ثم نادت ناديا وذهبت إلى الكازينو تلحق بأصحابنا. وسرت أنا في أول ممر على اليسار. كنت أفكر وأفكر فما تنقضي دهشتي . إن هذا الأمر الذي أصدرته إلى باللعب على الروليت قد صعقني. والغريب في الأمر أني رغم كثرة ما يشغل بالي) غرقت غرقاً كاملاً في تحليل عواطفي نحو ياولين. صحيح أشعر بمثلها اليوم بعد عودتي؛ ولكنني تألمت أثناء هذه الرحلة كمن فقد صوابه: كنت أركض من مكان إلى آخر كأن الشيطان يطاردني؛ وحتى في المنام كنت أراها دائماً أمامي. وفي ذات مرة (كان ذلك في سويسر)”\* خاطبتها بصوت عال؛ فأضحَكَ ذلك جميع من كانوا معي في القطار. مرة أخرى طرحت اليوم على نفسي هذا السؤال: (أأنا أحبها؟). ومرة أخرى لم أستطع أن أجد لهذا السؤال جواباً؛ أو قل إنني أجبت) للمرة المائة) بأنني أكرههاء نعم أكرهها. مرت بي لحظات (وخاصة في ختام الأحاديث التي تقوم بيننا) تمنيت فيها أن أمب نصف عمري في سبيل أن أخنقها! أقسم أنه لو كان في وسعي أن أغمد خنجراً مسنوناً في صدرها على مهل) لشعرت من ذلك بمتعة فيما أظن. ومع ذلك أقسم بأقدس ما أقدّس أنني لو طلبّتْ مني ونحن على جبل شلانجنبرج؛ أن ألقي بنفسي من أعلى قمة يرتادها 24 1\_طماع © :سا1

Page#25

الناس) لرميت نفسي فوراًء ولشعرت من ذلك بغيطة. لقد كنت أعرف ذلك. كان يجب أن ينحل هذا الأمر بطريقة من الطرق. وهى تفهم ذلك كله أروع فهم) فإذا تصورث أنني أدرك حق الإدراك أن لمسها مستحيل؛ وأنني أعي كل الوعي أن رغباتي كلها عبث لا رجاء فيه)ء شعرت من ذلك بلذة لا تفوقها لذة. إنني على ثقة من ذلك . وإلا فهل كان لهاء هي التي تملك ما تملك من رصانة وذكاء) أن تعاملني بهذه الألفة كلها وبهذه الصراحة كلها؟ يُخْيِّل إلى أنها حتى هذا اليوم تنظر إليّ نظرة تلك الإمبراطورة القديمة التي نضت عنها ثيابها حتى أصبحت عارية كل العري أمام عبد من عبيدهاء لأنها لا تعدّه رجلاً . نعم إنه يتفق لها في كثير من الأحيان أن لا تعدّني في الرجال. وبع ذلك فقد عهدت إن اليوم بحهمة: أن أريع في الروليت مهما كلف الأمر. وليس يتسع الوقت لأن أتسا تساءل لماذا يجب أن أربح) وخلال أية مدة من الزمن يجب أن أحقق هذا الربح؛ وما هي الحسابات الجديدة التي بزغت في هذا لمأت الذي لا يكف عن العمل لحظة واحدة! ثم إن من الواضح ن أحداثاً جديدة كثيرة قد ماس مدا إنني ما زلت أجهل الأحداث. فيجب علي أن أجلو هذا كله؛ يجب علي أن أخرج هذا كله إلى النور) بأقصى سرعة. ولكن مهمة أخرى تقع على عاتقي الآن: هي أن أذهب إلى الروليت. 25 1\_طماع © :عاكاس1

Page#26

الفصل الثاني ساءتني هذه المهمة والحق يقال: كنت قد قررت أن أقامرء ولكنني لم أتوقع أبداً أن أبدأ المقامرة لغيري. حتى لقد شعرت بشيء من الحيرة) ودخلت قاعات المقامرة مت متجهم المزاج. وكل ما رأيته فيها قد ساءني منذ أول نظرة. إنني لا أستطيع أن أحتمل تلك المقالات التي تُكتب في العالم بأسره) وخاصة في جرائدنا الروسية) والتي يعالج فيها أصحابها كل عام تقريباً؛ عند مطلع الربيع) موضوعين اثنين: أولهما البذخ والترف في قاعات المقامرة من مدن المياه على نهر الراين) والثاني أكوام الذهب التي يزعمون أنها تتكدس على الموائد. هذا رغم أن هؤلاء الكنَّاب لا يؤجّرون على هذه المقالات) وإنما هم يتطوعون تطوعاً منرّهاً عن الغرض مبّرأ من المنفعة. إن هذه القاعات الرديئة خالية من كل بهاء أو سناء؛ والذهب فيها لا يتكوم على موائدها ويندر أن يُرى على هذه الموائد. لقد يفد طبعاً من حين إلى حين رجل شاذ الطبع متفرد المزاج) إنجليزي أو آسيوي (تركي كما حدث في هذا الصيف) فيربح أو يخسر مبالغ خرافية في مدة 3 قصيرة . أما الآخرون فإنهم لا يجازفون إلا بدريهمات) ولست ترى على المائدة إلا قليلاً من المال بشكل عام . 26 1\_طماع © :عاكاس1

Page#27

حين دخلت قاعة القمار (لأول مرة في حياتي) بقيت بعض الوقت متردداً لا أعزم أمري. أضف إلى ذلك أن الجمهور كان يقف في قبل أن أبدأ المقامرة. أعترف أن قلبي كان يخفق خفقاناً قوياً وأنني لم أملك رباطة الجأش وهدوء النفس. كنت مقتنعاً منذ زمن طويل أنني لن أبارح رولتنبرج كما جئتهاء وكنت مزمعاً على أن لا أبارحها كما جئتها. فلا بد أن حدثاً أساسياً حاسماً سيتدخل في مصيري لا محالة. يجب أن يقع هذاء ولسوف يقع. ومهما يكن هذا الأمل الذي عقدته على الروليت سخيفاً مضحكاً) فإنني أجد أن الرأي الذي يسلم به عامة الناس إذ يقولون إن من السخف أن يتوقع المرء من المقامرة أي شيء) أقرب إلى السخف وأبعث على الضحك. لماذا تكون المقامرة أسوأ من أية وسيلة أخرى من وسائل الحصول على المال؟ لماذا تكون المقامرة أسوأ من التجارة مثلاً؟ صحيح أن واحداً من ماثة يربح. ولكن هل يهمني هذا؟ ومهما يكن من أمرء فلقد قررت أولاً أن لا أكون جاداً في ذلك المساء. فإذا حدث شيء فسيكون من قبيل المصادفة العابرة. ذلك ما كنت أنويه. أضف إلى هذا أنه كان عليّ أن أدرس المقامرة نفسهاء ذلك أنني رغم كثرة ما قرأت من أمور لا حصر لها في وصف الروليت) وقد قرأتها في نهم شديد وشراهة قوية) لا أستطيع أن أفهم شيئاً من أصول ممارستها قبل أن أراها بعيئئ رأسي . في الوهلة الأولى) لاح لي كل شيء قذرأء قذراً حقيراً بالمعنى الأخلاقي. لا أريد أن أتحدث عن تلك الوجوه الشرهة القلقة التي تحاصر موائد القمار بالعشرات بل المئات. إنني لا أرى أي ضير في رغبة المرء في أن يربح أكبر مقدارء بأقصى سرعة. لطالما استبلدت 27 1\_طماع © :عاكاس1

Page#28

فكرة ذلك الواعظ البطر الذي كان في منجى من العوز والحاجة) فقال في الرد على ما ذكر له بعضهم من أنهم يقامرون على مبالغ زهيدة قال: (وهذا أنكى وأسوأء لأنه صادر عن طمع صغير). لكأنه المسألة مسألة نِسَب. فما هو صغير في نظر روتشيلد هو الثراء الطائل نفسه في نظري أنا . والناس فيما يتصل بالأرباح والخسائر) لا في الروليت فحسبء) بل في كل مجال آخرء إنما يحركهم دافع واحد: هو أن يربحوا أو ينتزعوا شيئاً من شخص آخر. هل الربح والنفع عيبان في ذاتهما؟ تلك مسألة أخرى. وما هنا سأحلها. ولما كنت أنا ممن تستبد بهم الرغبة في الربح إلى أقصى حدء فإن هذا الطمع كله؛ بل إن رذيلة الطمع هذهء إذا شئتم هذا الاسمء كانت قريبة مني مألوفة عندي) إن صح التعبير) منذ دخولي إلى القاعة. لا شيء أمتع من أن لا يتحرج المرء أمام الآخرين) بل ينطلق في عمله صريحاً لا يصده عنه صاد. وفيم يخدع المرء نفسه؟ ذلك أسخف وأغبى ما يشغل به الإنسان باله. غير أن الشيء الذي كان يثير الاشمئزاز منذ النظرة الأولى في هذا الحشد كله إنما هو الجد الكبير والاهتمام العظيم بل والاحترام الهائل الذي كان هؤلاء الناس جميعاً يحيطون به موائد القمار. من أجل هذا إنما يجب أن نميز هنا تمييزاً واضحاً بين نوع من اللعب الرديء وبين اللعب الذي يباح لإنسان محترم. هناك نوعان من المقامرة: مقامرة المهذبين من الناس) ومقامرة الغوغاء. والحدود بين هذين النوعين واضحة فاصلة. وما أعيب هذا في حقيقة الأمر! الرجل المهذبء مثلاًء يمكن أن يجازف بخمس ليرات ذهبية أو عشرء وقلما يجازف بأكثر من ذلك) فإذا كان غنياً فقد يجازف بألف فرنك لكنه لا يفعل ذلك إلا لعباء إلا 28 1\_طماع © :سا1

Page#29

على سبيل التسلية) من أجل أن يتابع مجرى الربح أو الخسارة. فإذا ربح كان يمكن مثلاً أن يروح يضحك ملء صوته) وأن يشارك واحداً ممن حوله ملاحظاته) بل وأن يقامر مرة أخرى مضاعفاً رهانه) ولكته لا يفعل ذلك إلا من باب حب الاطلاع) بغية أن يلاحظ الحظوظ كيف تجري وتدورء بغية أن يجري حسابات) لا رغبةً مبتذلة منه في الربح. أي أنه لا يرى في جميع موائد القمار هذه (سواء الروليت منها أو (الثلائين والأربعين؟) إلا تسلية ججعلت للذة وحدها. حتى أنه ما ينبغي له أن تخطر بباله الإغراءات والمصائد التي يعتمد عليها (البنك)؟ بل إنه ليكون ظرفاً وأناقة منه أن يتخيل أن سائر اللاعبين) أن جميع هؤلاء الصغار الذين يرتجفون من أجل فلورين واحد إنما هم أناس مهذبون أغنياء مثله) وأنهم لا يقامرون إلا على سبيل التسلية إزجاءً للوقت. إن هذا الجهل الكامل بالواقع) وهذه الآراء الساذجة في البشر تعدء ولا شك). من أرفع الأشياء أرستقراطية. كنت أرى أمهات يدفعن بناتهن إلى أمام) صبايا ضعيفات بريئات في الخامسة عشرة من أعمارهن أو في السادسة عشرة) يعطينهن بضع نقود ذهبية ويعلمنهن سير اللعب. فإذا ربحت الصبية أو خسرت) انسحبت مفتتنة) تبتسم ابتسامة واحدة لا تختلف باختللاف الربح والخسارة. وقد دنا جنرالنا من المائدة بثقة قوية متينة) فهرع أحد الخدم يدفع له كرسياًء ولكنه لم ينتبه هو إلى ذلك؛ وأخرج محفظته ببطء) وببطء أخرج من المحفظة ثلاثمائة فرنك) نقداً ذهبياً وضعه على الأسود فربح؛ فلم يأخذ المال بل تركه في مكانه على المائدة) فربح الأسود مرة أخرى) وفي هذه المرة أيضاً لم يأخذ المال بل تركه حيث هوء فلما ربح الأحمر في المرة الثالئة خسر الجنرال ألفاً ومائتي فرنك) فانسحب مبتسماًء مسيطراً على نفسه 29 1\_طماع © :عاكاس1

Page#30

كامل السيطرة. أنا واثق أن قلبه كان يضطربء) فلو كان ما راهن عليه ضعفي المبلغ أو ثلاثة أضعافه لما ملك أن يحافظ على رباطة جأشه. ولظهر اضطرابه. ومن جهة أخرى كان إلى جانبي فرنسي ربح ثم خسر حوالي ثلاثين ألف فرنك) وظل وجهه مع ذلك هادىء المظهر لم يُلمَح فيه أثر من آثار انفعال. فليس للأرستقراطي الحق أن ينفعل ولو خسر ثروته كلها. يجب أن يظل المال دون الأرستقراطي حتى لكأن الأرستقراطي لا يكاد يحفل به أو يقلق له. ومن الأرستقراطية طبعاً أن يظهر المرء جاهلاً بالوحل والمشهد اللذين يضطرب فيهما هذا الحشد كله من الناس. ومع ذلك فإن الموقف المناقض موقف مرموق في بعض الأحيان كالموقف الأول سواء بسواء: أن تلاحظ هؤلاء الحشرات جميعاًء أي أن تنظر إليهم) بل أن تراقبهم وترصدهم أيضاًء ولو بالنظارة المقربة. ولكن شريطة أن لا ترى في هذا الجمهور كله وفي هذا الوحل كله إلا نوعاً من تسلية) إلا تمثيلاً أعد لدفع الملل عن (الجنتلمان). وقد تقحم نفسك في هذا الجمهورء شريطة أن تنظر حواليك مقتنعاً كل الاقتناع أنك لست فيه إلا مشاهداً. وأنك لست منه ولا هو منك. على أنه لا يليق أيضاً أن تلاحظ بكثير من الإلحاح واللجاجة: وإلا لم تكن جديراً بصفة الجنتلمان) لأن هذا المشهد لا يستحق على كل حال أن تشد إليه انتباهك متصلاً غير منقطع. وقلّ بين المشاهد على وجه العموم مشهد يستحق من الجنتلمان أن يشد إليه انتباهه متصلاً غير منقطع. أما أنا فكنت أحس أن هذا كله يستحق انتباهاً مشدوداً الجمهرة كلها أيضاً. ويجب أن يكون واضحاً في الأذهان أنه لا محل فيما أسوقه الآن من ملاحظات) مكان لآرائي الأخلاقية التي 230 1\_طماع © :سا1

Page#31

أضمرها في قرارة نفسي. ومهما يكن من أمرء فإنني أقول هذا الكلام تخفيفاً عن ضميري. ولكنني أحرص على أن أضيف ما يلي: لقد صرت في الآونة الأخيرة أشعر بنفرة قوية من إخضاع أفكاري وأفعالي لأي مقياس أخلاقي. فأنا الآن مسوق في اتجاه آخر. إن هذه الجمهرة الوضيعة تقامر حقاً على نحو قذر. بل لست بعيداً عن التفكير في أن سرقات عادية تُقترف هنا كثيراً حول مائدة القمار. إن القيّمين (الكروبييه) الجالسين عند أطراف الموائد)ء يراقبون المبالغ التي يضعها المراهنون؛ ويجرون الحسابات) فيقومون بعمل مضنٍ مرهق. ويا لهم من لصوصء هم أيضاً! إن أكثرهم فرنسيون! على أنني إذا كنت أجري هذه الملاحظات) فلست أفعل ذلك من أجل أن أصف الروليت. فإنما أنا أتلاءم مع الجوء بغية أن أعرف كيف أسلك في المستقبل. لقد لاحظت مثلاً أنك كثيراً ما ترى يدا تمتد على المائدة فجأة فتلم ما تكون قد ربحته أنت. ويتبع ذلك أن تشب مشاجرة بطبيعة الحال) وأن يعلو صراخ. وإني لأتحداك أن تستطيع البرهان باستشهاد الشهود على أن الربح كان ربحك أنت حقاً. كانت هذه المهزلة كلها ألغازاً عسيرة على الحل في نظري. ولكنني تعلمت؛ على نحو من الأنحاء) أن المرء يراهن على أرقام (أما مزدوج وإما مفرد)) ويراهن على ألوان. فقررت أن أجازف في ذلك المساء بمائة فلورين من أموال ياولين ألكسندروثنا. غير أنه أزعجني أنني أقبل على اللعب لغيري لا لنفسي. كان ذلك إحساساً شاقاً إلى أبعد حدود المشقة) وتمنيت أن أتخلص منه بأقصى سرعة. كنت أشعر طوال الوقت أنني إذ أبدأ اللعب لحساب باولين إنما أخرّب حظي أنا. هل يستحيل حقاً أن يدنو المرء من مائدة القمار دون أن تسري إليه عدوى الإيمان بالخرافات فوراً؟ 31 1\_طماع © :عاكاس1

Page#32

ومن أجل أن أبدأ أخرجت خمسة فردريكات © أي خمسين فلوريناء فوضعتها على رقم مزدوج. ودارت الدائرة) فربح الرقم 3 لقد خسرت إذن. فتألمت ألم شديداً؛ ورغبةٌ مني في الخلاص من هذه الورطة وفي الانصراف) وضعت خمسة فردريكات أخرى على اللون الأحمر. فربح الأحمر. فوضعت الفردريكات العشرة. . . فربح الأحمر أيضاً. فتركت المبلغ كله؛ فربح الأحمر مرة ثالثة. فتناولت أربعين فردريكاًء فوضعت منها عشريناً على الأرقام الاثني عشر من الوسطء دون أن أعرف ما قد تعطيه هذه الأرقام عند الربح. فدُفع لي المبلغ ثلاثة أضعاف. فجأة استحالت فردريكاتي العشرة إلى ثمانين. لكنني شعرت عندئذ بإحساس غريب بلغت من العجز عن احتماله أنني قررت أن أخرج من المكان. يل إلى أنني لو كنت ألعب لنفسي لما لعبت على هذا النحو. ومع ذلك وضعت الثمانين فردريكاً على رقم مزدوج. فربح الرقم (أربعة): فتُقدت ثمانين فردريكاً أيضاً. فوضعت الماثئة والستين فردريكاً في جيبي ومضيت باحثاً عن باولين ألكسندروقنا. كانوا يتنزهون جميعاً في الحديقة) فلم أرها إلا على العشاء. لم يكن الفرنسي هناك في هذه المرة) فاستطاع الجترال أن يتمتع بكامل حريته. ورأى أن من الواجب أن ينبهني مرة أخرى إلى أنه لا يجب أن يراني على مائدة القمارء فهو يرى أنني إذا خسرت كثيراً أساء ذلك إلى سمعته إساءة كبيرة. ثم أضاف يقول بلهجة فخمة: - وإذا ربحت كثيرأً) فإن هذا أيضاً يسيء إلى سمعتي . طبعاً ليس من حقي أن أتحكم في أفعالك) ولكن يجب أن تقتئع أنت نفسك بأن. . . ولم يكمل جملته بل تركها معلقة على عادته. فأجبته بلهجة جافة بأن ما أملكه من مال قلي جدأء وأنني إذن لن 32 1\_طماع © :سا1

Page#33

أخسر خسارة ظاهرة جداء ولو لعبت. وحين صعدت إلى غرفتي أتيح لي أن أمد إلى باولين المبلغ الذي ربحته لهاء وقلت إنني لن ألعب من أجلها بعد اليوم قط لماذا؟ فأجبت وأنا أنظر إليها دهشاً: - لأنني أريد أن ألعب لنفسي) لأن هذا يزعجني. إذن فما زلت تعتقد أن الروليت مخرجك الوحيدء وسبيلك الوحيد إلى الخلاص؟ ألقت علي هذا السؤال ساخرة. فأجبتها جاداً كل الجد بأن هذا صحيح. أما عن يقيني بأنني سأربح لا محالة) فإنني أسلّم بأن ذلك يبدو مضحكاء ولكن (دعوني وشأني). ألحت باولين ألكسندروثنا على ضرورة أن أقاسمها ربح ذلك اليوم؛ ومدت إليّ ثمانين فردريكاًء عارضةً عليّ أن أستمر في المقامرة على هذا الشرط. فرفضت رفضاً قاطعاًء وأكدت لها أنني إذا كنت لا أستطيع أن أقامر للآخرين) فما ذلك لأنني لا أريد ذلك؛ بل لأنني واثق من الخسارة. قالت لي شاردة اللب: ومع ذلك) فأنا أيضاً لم يكد يبقى لي من أمل في غير الروليت. لهذا يجب عليك قطعاً أن تستمر في اللعب على أساس المناصفة . وستفعل ذلك. فهمت؟ قالت هذا وتركتني دون أن تستمع إلى احتجاجاتي. 33 1\_طماع © :عاكاس1

Page#34

الفصل الثالث مث ذلك لم تحدثني أمس مرة واحدة عن اللعب. وتحاشت على وجه العموم أن تتجه إلى بكلام. إنها لم تغير أساليبها وبنوع من شعور مبغض محتقر. ومهما يكن من أمر فإنها لا تحاول حتى إخفاء نفورها مني. إنني أرى ذلك واضحاً كل الوضوح. على أنهاء رغم هذاء لا تخفي عني أيضاً أنها في حاجة إليّء وأنها فهم أكثرهاء هذا إذا نظرنا بعين الاعتبار إلى ما تقابل به سائر الناس من زهو وصلف واحتقار. إنها تعرف مثلاً أنني أحبها حب جنون. بل إنها لتسمح لي أن أحدثها عن هيامي بها. وهل ثمة وسيلة أفضل من هذه الوسيلة لإظهار ازدرائها بي؟ إن خير ما يمكن أن تفعله إظهاراً لهذا الازدراء هو أن تتيح لي أن أحدثها عن حبي حديثاً خُرَاً الاحتفال بعواطفك بحيث لا أكترث أي اكتراث بكل ما قد تقوله) بكل ما قد تعبّر لي عنه من عواطف). ولقد كانت تحدثني في الماضي عن شؤونهاء ولكنها لم تكن في يوم من الأيام مخلصة 34 1\_طماع © :سا1

Page#35

صادقة. أكثر من ذلك) أنها في استهانتها بي كانت تعمد إلى (براعات) من هذا القبيل: هب أنها كانت تعلم أنني مظلع على ظرف من ظروف حياتهاء أو على احتمال من الاحتمالات يوقظ بعض الأحداث؛ إذا هي كانت في حاجة) من أجل بلوغ أهدافهاء إلى استخدامي عبداً أو ساعياً. ولكنها لم تكن تكشف لي إلا عما لا بد من معرفته لإنسان يوفد في مهمة. حتى إذا ظل ترابط الوقائع مجهولاً لدي) ولاحظثُ أن عذابها يعذبني ويقلقني لم تتنازل أن تطمئنني طمأنة كاملة بصراحة كالصراحة التي تكون بين أصدقاءء) مع أنني أرى أنها ما دامت تعهد إليّ في كثير من الأحيان بمهمات دقيقة بل ومحفوفة بالمخاطر فقد كان عليها أن تصارحني. ولكن أتراها كانت تحفل بعواطفي) وتكترث بمشاركتي إياها مخاوفهاء وتهتم بضروب القلق التي كانت تثيرها في نفسي همومها مضاعفةً ثلاث مرات في أغلب الظن! كنت منذ ثلاثة أسابيع أعرف أنها عقدت نيتها على أن تلعب الروليت. حتى لقد طلبت إليَ أن أتولى اللعب نيابة عنهاء إذ لا يليق أن تلعب بنفسها. وقد لاحظتٌ من لهجة كلامها أن هناك أمراً هاماً يشغل بالهاء ليس مجرد الرغبة في المقامرة. والمال في ذاته لا يعنيها. لا شك أن هناك هدفاً وظروفاً أستطيع أن أخمّنها ولكنني ما زلت أجهلها. واضح أن وضع الاستعباد والإذلال الذي تضعني فيه سوف يتيح لي (وهو كثيراً ما يتيح لي ذلك) أن أسألها بلا لف ولا دوران ولا كلفة. فما دمت عبداً لهاء وما دمت غير موجود في نظرهاء فلا يمكن أن تشعر بإهانة تلحقها إذا أنا لم ألتزم فعها حدود الأدب) وإذا أنا أظهرت شيئاً من حب الاستطلاع. ولكنها ني 35 1\_طماع © :عاكاس1

Page#36

الواقع) رغم أنها تسمح لي أن أطرح عليها بعض الأسئلة) لا تجيب عن هذه الأسئلةء بل إنها في بعض الأحيان لا توليها أي انتباه! تلكم كانت العلاقات بيئنا! . ولقد تحدثوا أمس كثيراً عن برقية أرسلت إلى بطرسبرج منذ أربعة أيام ولم يصل جوابها إلى الآن. كان واضحاً أن الجنرال مضطرب مشغول البال. لا شك أن الموضوع يتعلق بالجدة. والفرنسي مضطرب أيضاً. من ذلك أنهما ظلا يتحدثان) أمسء) بعد العشاءء زمناً طويلاًء حديئاً تبدو فيه علائم الجد. إن الفرنسي يصطنع في معاملتنا أوضاعاً متعالية متغطرسة لا يصدقها العقل؛ يصدق عليه المثل القائل: (تدعوه إلى مائدتك فما يلبث أن يضع فوقها قدميه). يجب أن أضيف إلى هذا أنه كان يشترك في النزهات العائلية بحديقة الكازينوء أو في النزهات التي كانت الأسرة تقوم بها ركوباً على الخيل في الضواحي. لقد اطلعت منذ زمن طويل على بعض الظروف التي جعلت الفرنسي على علاقة بالجنرال: لقد كان في نيتهما أن ينشئا مصنعاً في روسيا معاً. ولست أدري الآن هل هُجر هذا المشروع أم هما ما يزالان يتكلمان فيه. أضف إلى ذلك أنني وقعت عرضاً على جزء من سرهما العائلي: إن الفرنسي قد أخرج الجنرال من مأزق في العام الماضي) إذ أقرضه ثلاثماثة روبل إكمالاً للمبلغ الذي كان الجنرال يَدين به للتاج حين استقال من مناصبه. والجنرال هو الآن في قبضة الفرنسي. ولكن مدموازيل بلانش هي التي تمسك بالدور الأساسي في هذه الكوميديا كلهاء وأنا على يقين من أنني لا أخطىء التقدير حين أقول هذا الكلام. فمّن هي مدموازيل بلانش؟ يقال هنا عندنا إنها فرنسية من طراز 36 1\_طماع © :عاكاس1

Page#37

رفيع) تسافر مع أمهاء وتملك ثروة طائلة. ويقال أيضاً إنها تمت بقرابة بعيدة للمركيز من جهة العمومة. ويروى أن علاقات مدموازيل بلانش بالمركيز كانت قبل رحلتي إلى باريس تتصف بمزيد من الكلفة والتأنق. أما الآن فإن صداقتهما وقرابتهما تظهران أبعد عن التكلف وأقرب إلى الصلة الحميمة. ولعل أوضاعنا تظهر لهما الآن على حالة من السوء تجعلهما يريان أنه من غير المفيد بعد اليوم أن يعمدا إلى التظاهر والمراعاة والمداراة. وقد لاحظت أمس كيف كان مستر آستلي يتفرّس في مدموازيل بلانش وأمها. بدا لي أنه كان يعرفهما. حتى لقد اعتقدت أن صاحبنا الفرنسي قد سبق أن التقى هو أيضاً والحياء والخفر والصمت أنه لا يمكن أن يُعقد عليه أي أمل: فسيظل الغشيل الوسخ يغسل داخل الأسرة. والفرنسي لا يكاد يحييه على كل حالء ولا يكاد يوليه أي انتباه. معنى ذلك أنه لا يخشاه. وهذا أمر أفهمه. ولكن لماذا تتجاهله مدموازيل بلانش أيضاً؟ لا سيما وأن المركيز قد زل لسانه أمس فجأة أثناء الحديث (لا أتذكر الآن في أية مناسبة) فقال إن مستر آستلي ثري ثراء فاحشاً فهو يعرف ذلك. وفي تلك اللحظة إنما كان على مدموازيل بلانش أن تنظر إلى مستر آستلي! المهم أن الجنرال قلق. ولا شك أنك تقدر مدى ما يمكن أن يكون لبرقية قد تصل من موسكو معلنةٌ موت عمته من خطورة الشأن عنده! ورغم اقتناعي بأن باولين كانت تتحاشى عن قصد أن يقوم بيني وبيئها حديث) فقد اصطنعت هيئة البرود وقلة الاكتراث: كنت أقدّر أنها ستقرر فجأة أن تجيء إليّ. وعلى خلاف ذلك وجهت انتباهي كله أمس واليوم) إلى مدموازيل بلانش. مسكين هذا الجنرال. .. 37 1\_طماع © :عاكاس1

Page#38

إنه ضائع لا محالة. فلأن يهيم هذا الهيام كلهء وهو في الخامسة ترمله. وأولادهء والدمار الذي هو فيهء والديون... وأخيراً هذه المرأة التي فتنت عقله وسحرت لبّه. إن مدموازيل بلانش جميلة ولكنني لا أدري هل يفهمني القارىء إذا قلت أن وجهها هو من تلك الوجوه التي توقظ الرعب في النفس. أنا على الأقل) كنت أخاف دائماً هذا النوع من النساء. إنها في نحو الخامسة والعشرين من عمرهاء فارعة الطول. جميلة الكتفين) مكتنزة العنق والثديين) لها بشرة بلون البرونزء ولها شعر أسود كأنه الأبانوس سواداء إلى غزارة تكفي رأسين لا رأساً واحداً. أما العينان فسوداوان) إلى ازرقاق في بياضهماء وجرأة في نظرتهما. والأسنان ساطعة) والشفتان مصطبغتان دائماً. والجسم كله يعبق بشذى كأنه المسك. وهي تحسن اختيار ملابسهاء ثرية باذخة ولكن على ذوق مرهف أنيق. قدماها ويداها رائعة . صوتها أبح. قد تضحك في بعض الأحيان \* تهقهة فتظهر وقاحة؛ على الأقل في حضور باولين وماري فيليبوقنا ص الآن إشاعة غريبة هي أن ماري فيليبوقنا عائدة إلى روسيا). ويُخيّل إليّ أن مدموازيل بلانش ليست على شيء من ثقافة) حتى قد تكون غبية) ولكنها في مقابل ذلك شديدة الحذر ماكرة. وأعتقد أن حياتها لم تخل من مغامرات. ومن الجائز جداً أن لا يكون بينها وبين المركيز أية قرابة) ومن الجائز جداً أن لا تكون أمّها هي أنّها حقاً. ولكن يبدو أنها وأمّها كانتاء في برلين) حيث التقينا بهماء على علاقات طيبة. أما المركيزء فإنني ما زلت أشك حتى الآن في أنه مركيزء أما أنه ينتمي إلى المجتمع الراقي؛ سواء عندنا في موسكو أو في 38 1\_طماع © :سا1

Page#39

في فرنسا. يقال إنه يملك هنالك قصراً. وقد أيقنت أن مياهاً كثيرة كان لا بد أن تجري تحت الجسور أثناء غيابي خلال خمسة عشر يوم ولكنني ما زلت لا أعرف على وجه الدقة هل تكاشف الجنرال ومدموازيل بلانش بكلام حاسم. ومهما يكن من أمر فإن كل شيء مرهون الآن بأحوالناء أي بمقدار المال الذي يمكن أن يلذلئه الجنرال أمامهم. فإذا عُرف مثلاً أن الجدة ما تزال على قيد الحياة) فيقيني أن مدموازيل بلانش ستختفي فوراً. إني لأدرك بنفسي أن من الغريب والمضحك أن يصيح المرء نماماً ومشاءً إلى هذا الحد. وأن ذلك كله ليثير في نفسي الاشمئزاز جداً. وما أشد ما ستكون فرحتي حين أترك هؤلاء الناس جميعاً وهذه الأمور كلها! ولكن هل أستطيع أن إنني مقتنع بأنه يحب باولين. إنه لطريف ومضحك كل ما قد تعبّر عنه في بعض الأحيان نظرة رجل عاشق) يتصف بالخجل الشديدء وبالخفر إلى درجة المرضء) بينا هو يؤثر أن يغيب في غياهب الأرض على أن يفضح نفسه بكلمة أو بنظرة. إننا كثيراً ما نلتقي بمستر آستلي أثناء النزهة: يخرج من مخبئه ويمضي في طريقه وهو يحترق رغبة في الانضمام إلينا بغير شك. فإذا رجوناه أن ينضم إلينا أذعن على الفور. وفي الأماكن التي نستريح فيهاء سواء بالكازينو أو عند الفرقة الموسيقية أو أمام نافورة المياهء فإنه يقف دائماً على مقربة من مقعدنا. وحيثما نكن؛ سواء في الحديقة أو في الغابة أو في جبل شلانجنبرج) يكفي أن ندير البصر من حولنا حتى نرى مستر آستلي 39 1\_طماع © :عاكاس1

Page#40

في أقرب ممر أو وراء دغل. يُخيّل إليّ أنه يبحث عن فرصة للتحدث معي خاصة. وقد التقينا في هذا الصباح فتبادلنا بضع كلمات. إنه في بعض الأحيان يتكلم بجمل متقطعة. صاح يقول لي. حتى قبل أن يحييني تحية الصباح: -1... الآنسة بلانش... لقد رأيت نساءً كثيرات مثل الآنسة قال ذلك وصمت ينظر إلى نظرة بليغة. لا أدري ما الذي أراد أن يقوله بهذا الكلام. ذلك أنه حين سألته: (ماذا تريد أن تقول). هز رأسه وهو يبتسم أبتسامة ماكرة) وأردف: هكذا. . . هل تحب الآنسة ياولين الأزهار كثيراً؟ لا أعرف. فصاح مشدوهاً: كيف؟ حتى هذا لا تعرفه؟ - لاء لا أعرفه. لم أفطن إلى ذلك ولم أنتبه إليه. ذلك ما ردّدته وأنا أضحك . قال ذلك ثم حياني بحركة من رأسه وتابع طريقه. وكان وجهه ينم عن سرور على كل حال. وقد تحدثنا كلانا بلغة فرنسية فظيعة . ّ 40 1\_طماع © :عاكاس1

Page#41

الفصل الرابع 1 التهار مضحكاً فاضحاً سخيفاً . هي الآن الساعة الحادية © عفر من المساء. وهاأنذا في غرفتي الصغيرة أحاول أن أ ذكرياتي. لقد ابتدأت الأمور في الصباح على النحو التالي: كان علي أن أذهب إلى الروليت أقامر من أجل ياولين ألكسندروقنا. أخذت فردريكاتها الستماثة) ولكن على شرطين: أولهما أنني لا أقبل أن ألعب على أساس المناصفة) أي أنني إذا ربحت فلن آخذ لنفسي شيئاً؛ والثاني أن تشرح لي باولين في المساء لماذا هي في مثل هذه الحاجة الماسة إلى الربح) وما هو المبلغ الذي تود أن تربحه. كنت لا أستطيع أن أفترض أنها تريد ذلك للمال وحده. لقد كان واضحاً أنها في حاجة كبيرة للمال) لا أدري لأي غرض. فوعدتني باولين أن تشرح لي ذلك. ومضيت. الناس محتشدون في قاعات القمار يسحق بعضهم بعضاً. ألا ما أشد وقاحتهم جميعاًء وما أشد شراهتهم! شققت طريقي بين الجمهور ووقفت قرب القيّم. ثم بدأت اللعب وجلاًء لا أجازف إلا بليرتين أو ثلاث دفعة واجدة. وكنت أثناء ذلك أراقب وألاحظ. يُخيّل إلي أن جميع هذه الحسابات ليس لها كبير قيمة) وليس لها من 41 1\_طماع © :سا1

Page#42

خطورة الشأن ما يزعمه كثير من اللاعبين. إن هؤلاء يجلسون هنالك وبين أيديهم أوراق مملوءة أرقاماً: فهم يسجلون الضربات) ويعدُون) ويقدّرون الاحتمالات) ويجرون عملية حسابية أخيرة) ثم يراهنون بعد ذلك كله... فإذا هم يخسرون) كما يخسر الناس البسطاء الذين يلعبون دون أن يكلفوا أنفسهم عناء الحساب. وفي مقابل ذلك استخرجت نيجة تبدو صادقة: فالواقع أن تعاقب الحظوظ عرضاً يخضع لنوع من الترتيب) إن لم يكن لنوع من النظام. ذلكم شيء غريب جداً بطبيعة الحال. إنه يتفق مثلاً أن يعقب ظهورٌ الأرقام الاثني عشر الوسطى) ظهورٌ الأرقام الاثني عشر الأخيرة. يحدث هذا مرتين مثلاً. فالضربة تقع على الأرقام الاثني عشر الأخيرة) ثم تنتقل إلى الأرقام الاثني عشر الأولى؛ حتى إذا | وقعت على الأرقام الاثني عشر الأولى عادت إلى الأرقام الاثني عشر الوسطى. وثلاث مرات أو أريعاً متتالية تخرج الأرقام الوسطى) ثم تخرج الأرقام الاثنا عشر الأخيرة من جديد؛ وبعد دورتين نعود إلى الأولى) التي لا تخرج إلا مرة واحدة ثم تخرج الأرقام الوسطى ثلاث مرات متتاليات) ويستمر ذلك ساعة ونصف ساعة أو يستمر ساعتين. واحدء ثلاثة) اثنان. واحدء ثلاثة) اثنان. شيء عجيب جداً. وفى أحد الأصباح أو في أحد الأصائل ترى الأسود والأحمر يتناوبان) على غير نظام تقريباًء وفي كل لحظة) ولا يخرج كل لون إلا مرتين متتاليتين أو ثلاثاً حتى إذا جاء الغد أو كان المساء رأيت الأحمر وحده مثلاً يخرج) حتى لقد يظل يخرج اثنتين وعشرين مرة متتالية. ويستمر الحال على هذا المنوال زمنء وقد يستمر نهاراً بأسره. إنني كله قرب موائد اللعب) لكنه لا يقامر أبداً. ‎١‏ 42 \_طماع !© :اعاااسس 1

Page#43

ولنعد إلى ما حدث لي. لقد خسرت كل شيء حتى آخر قرش) وذلك خلال برهة وجيزة. وضعت في أول الأمر عشرين فردريكاً على رقم شفع) فربحت) ووضعتهما مرة أخرى فربحتء وهكذا مرتين أو ثلاثاً. أعتقد أن المبلغ الذي تجمع بين يدي بعدئذ قد صار أربعمائة فريدريك في مدى خمس دقائق. وقد كان عليّ في تلك اللحظة أن أنصرف) ولكن إحساساً غريباً قام في نفسي هو رغبة في استفزاز القدرء في نقر القدر على خدهء في إخراج لساني له. فجازفت بأكبر مبلغ تجوز المقامرة به: أربعة آلاف فلورين) فخسرت. فازدادت حرارة رأسي فأخرجت كل ما كان قد بقي لي) فوضعته حيث وضعت المبلغ الأول في المرة السابقة فخسرت أيضاً. عندئذ تركت المائدة طائش اللب مصعوقاً. كنت عاجزاً حتى عن استيعاب ما جرى لي؛ ولم أبلغ باولين ألكسندروثنا عثاري إلا قبيل العشاء. أما ما قبل ذلك فقد ظللت أضرب فى الحديقة ذاهباً آيباً. وأثناء العشاء كنت مضطرباً كاضطرابي قبل ذ ك بثلاثة أيام. وكان الفرنسي والآنسة بلانش ما يزالان يتناولان طعام العشاء معنا. وقد اتفق أن الآنسة بلانش كانت في الصباح بالكازينو فشهدت ما وقع لي. فرأيتها في هذه المرة تخاطبني بمزيد من الاعتبار. أما الفرنسي فقد مضى بخطوات أسرع وأصرح فسألني من غير لف ولا دوران هل المال الذي خسرته كان مالي أنا. أعتقد أنه يقدر أن المال مال باولين. (إن في الرز بصلأ). فما لبثت أن ارتجلت الجواب فقلت إن المال الذي خسرته مالي . كان الجنرال دهشاً إلى أقصى حدود الدهشة: من أين جئت بهذا المبلغ كله؟ فشرحت له أنني قد بدأت المقامرة بعشرة فردريكات) فلما ضاعفت المبلغ بعد ذلك ست مرات متتالية أو سبعاً أصبح ما معي 43 1\_طماع © :عاكاس1

Page#44

يبلغ خمسة آلاف فلورين أو ستة؛ خسرتها بعدئذ في ضربتين اثئتين. هذا الكلام كله يحتمل التصديق طبعاً. ولقد كنت أنظر إلى باولين أثناء ارتجالي تلك الشروح) فلم أستطع أن أكشف في وجهها عن أي ذلك أنه كان علي أن أكذب وأن أخفي أنني قامرت بمالها. ومهما يكن من أمر فقد قلت لنفسي: إن عليها أن تشرح لي الليلة ما وكنت أحسب أن الجنرال سيبدي لي ملاحظة ماء ولكنه لزم الصمت. وفي مقابل ذلك) رأيت في وجهه أنه كان مضطرباً قلقاً. يسمع واحداً من الناس يذكر أن كومة كهذه الكومة الكبيرة من الذهب قد صارت في مدى ربع ساعة بين يدي غبي يبلغ هذا المبلغ وأغلب الظن أنه قد نشبت بينه وبين الفرنسي في مساء أمس مناقشة حادة. لقد تحدثا حديثاً حاراً عنيفاً خلال مدة طويلة) بعد أن أحكما إقفال باب الغرفة عليهما بالمفتاح. وخرج الفرنسي من الاجتماع حانقاً غاضباً. وعاد في هذا الصباح يلقى الجنرال مبكراً. .. لاستئناف حديث الليلة البارحة ما في ذلك شك. الخبث والمكرء إلى أن على المرء أن يكون أقرب إلى التعقل والتبصر. ولا أدري لماذا أضاف إلى ذلك قوله إن الروس عاجزون في رأيه عن المقامرة رغم أنهم كثيراً ما يقامرون. - في رأبي أن الروليت لم ُخترع إلا للروس. يه 44 1\_طماع © :سا1

Page#45

الاحتقارء لفت نظره إلى أنني على حق) ذلك أن وصف الروس بأنهم مقامرون يشتمل على تقريع أكثر كثيراً مما يشتمل على إطراء. فعليه إذن أن يوافق على ما قلت. فسألني الفرنسي: على أي أساس تبني رأيك؟ - على أساس أن مَلّكة جمع رؤوس الأموال قد دخلت) خلال التاريخ) في سجل فضائل الإنسان الغربي المتمدن ومزاياه؛ بل لعلها أصبحت البند الرئيسي في هذا السجل. أما الروسي فليس عاجزاً عن جمع رؤوس الأموال فحسبء) بل أيضاً يبعثر هذه الأموال هنا وهناك دون أي إحساس بما يحسن وما لا يحسن. ونحن الروس في حاجة أيضاً إلى مال على كل حال. لذلك ترانا شرهين إلى وسائل) كالروليت وما إليهاء نستطيع بها أن نحصّل ثروة طائلة على حين بغتة خلال ساعتين من غير أن نعمل. إن هذا يغرينا ويفتن لبنا. ولما كنا نقامر بلا تعقل ونخبط خبط عشواء دون أن يسوعءنا ذلك) فإننا قال الفرنسي موافقاً على خيلاء: هذا صحيح بعض الصحة. فقال الجنرال بلهجة قاسية متفخمة: - بل هو خطأ. وعار عليك أن تقول مثل هذا الكلام في حق بلدك . - عفوك. .. إننا لا نستطيع أن نقول أيضاً أي الأمرين أسوأ: أَطَيْش الروس أم أسلوب الألمان في جمع المال بالعمل الشاق الشريف! 45 1\_طماع © :عاكاس1

Page#46

صاح الجنرال متعجباً: يا لها من فكرة قليلة الحياء! وصاح الفرنسي: - فكرة روسية حقا! وكنت أضحك. كنت أحترق شوقاً إلى وخزهما واستفزازهماء - إني لأوثر طوال حياتي أن أعيش حياة بداوة مترحلة في خيمة من خيام الكرخيز على أن أعبد معبود الألمان. فقال الجنرال وقد بلغ غضبه مبلغ الجد: - أي معبود؟ - أسلوب الألمان في تكديس الثروات. إنني هنا منذ وقت قصيرء ومع ذلك فإن الأمور التي أتاح لي هذا الوقت القصير أن ألاحظها وأن أتحقق منها تثير طبيعتي التترية وتبعثها على التمرد. يميا أنني لا أريد لنفسي تلك الفضائل. لقد قطعت أمس حوالي عشرة فراسخ في الضواحي. إن ما رأيته هو عين ما نقرؤه في تلك الكتب الألمانية الصغيرة التي تدعو إلى مكارم الأخلاق وتزدان بالصور: لكل بيت ههنا (فاترة© رهيب التمسك بالفضائل) خارق التشبث بمزايا الإخلاص والشرف: هو من ذلك كله بحيث يخاف المرء أن يدنو منه. إنني لا أطيق أولئك الشرفاء الذين يخشى المرء أن يقترب منهم. ولكل (فاتر) أسرة يجتمع أفرادها كل مساء يقرأون جميعهم الدردار والكستناء. . . غروب الشمس... طائر على السطح. .. كل ذلك شعري مؤثر إلى أقصى الحدود... لا تغضب ياسيدي الجنرال. واسمح لي أن أتكلم عن الأسلوب الذي يؤثر في القلب. 46 1\_طماع © :عاكاس1

Page#47

أذكر أن المرحوم أبي كان يقرأ لنا كتباً من هذا القبيل) يقرؤها لى ولأمي): في المساءء تحت أشجار الزيزفون في حديقتنا الصغيرة. فأنا إذن قادر على أن أقطع في الأمر برأي. إن كل أسرة هنا يستعبدها (فاتر؛ استعباداً كلاملاً. إنهم جميعاً يعملون كأبقار ويكنزون المال كيهود. فلنفرض أن الأب قد سبق أن جمع مبلغاً من المال) وينوي أن يورث ابنه الأكبر مهنته أو أرضه: إنه لن يمهر ابنته التي لن تتزوج. وسيبيعون الابن الأصغر خادماً أو جندياً فيضمون ثمنه إلى الميراث. هذا صحيح. هذا ما يحدث هنا. لقد سألت فعرفت أن هذا ما يحدث. وذلك كله إنما مصدره الإخلاص) مصدره إخلاص مسرف إلى أبعد حدود الإسراف) حتى ليعتقد الابن الأصغر الذي باعوه) اعتقاداً جازماً) أنهم إنما باعوه بداعي الشرف والإخلاص. ذلك هو المثل الأعلى حقاًء حين تغتبط الضحية نفسها باقتيادها إلى التضحية بها! ثم ماذا بعد ذلك؟ إن الإبن الأكبر لن تكون حياته أملا بالفرح: إن له فتاة يحبها قلبه) ولكنه لا يستطيع أن يتزوجهاء إذ لم يجمع بعد مبلغ كاف من الفلورينات. وها هما ينتظران متمسكين بأهداب الفضيلة والإخلاص) ويمضيان إلى التضحية مبتسمين. وتأخذ وجنتا الفتاة بالتخدرء ويجف ماؤهما. وأخيراء بعد عشرين عاماًء يكون مالهما قد ازدادء فالفلورينات تكدست بالإخلاص والفضيلة. فيبارك (فاتر) إبنه الأكبر الذي بلغ الأربعين) والفتاة التي بلغت الخامسة والثلاثين) فذبل منها الصدر واحمرٌ الأنف... ويبكي الأب في هذه المناسبة؛ ويعظ بمكارم الأخلاق) ويلفظ أنفاسه. . . ويصبح الولد الأكبر (فاتر؛ فاضلاً هو أيضاًء وتتكرر الحكاية. حتى إذا انقضى خمسون عاماً أو ستون كان حفيد (فاتر) الأول قد جمع حقاً رأس مال ضخمء فتركه لابنه ثم أورثه هذا إبنه) وبعد خمسة 07 1\_طماع © :عاكاس1

Page#48

أجيال أو ستة يظهر البارون دون روتشيلد بشخصه أو يظهر هوب وشركاه”\*2. أو يظهر لا أدري أي شيطان! أليس هذا مشهداً فخماً رائعاً: قرن أو قرنان من عمل شاق وصبر دائب وذكاء نشيط) وإخلاص كامل) وطاقة مستمرة) وحزم صلبء وتبصّر بالمستقبل! ماذا تريدون أكثر من ذلك؟ لا شيء أروع من هذا ولا أرفع : ومن وجهة النظر هذه إنما يأخذون يحكمون على العالم بأسره) ويعاقبون المذنبين) أي أولئك الذين يختلفون عنهم ولو أيسر الاختلاف! ألا إن الاستهتار على الطريقة الروسية أو جني الثراء بالروليت أحب إلى نفسي وآثر في قلبي. لا أريد أن أكون هوب وشركاه في ختام خمسة أجيال! إنني في حاجة إلى مال لنفسي) ولا أقيس نفسي أبداً برأس آرائي . قال الجنرال مفكراً واجماً: - لا أدري هل يشتمل كلامك على جانب من حق) غير أن هناك شيئاً أنا منه على يقين) وهو أنك تبدي غروراً لا يطاق متى ترك لك ولم يكمل الجنرال جملته) على عادته حين يعالج موضوعاً أوسع قليلاً من موضوعات الأحاديث العادية. إن جنرالنا لا يتم أبداً جملة في مثل هذه الأحوال. وكان الفرنسي يصغي إلى الكلام محملقاً وقد اتخذ وضع من لا يكترث به. وكانت ياولين تظهر بمظهر متعال لا يبالي؛ حتى لكأنها لم تسمع شيئاً من هذه الأحاديث التي دارت هذه المرة على المائدة. 48 1\_طماع © :سا1

Page#49

الفصل الخامس 3 جالسة مفكّرة أكثر مما تكون كذلك في العادة. ولكن ما إن لم نهضنا عن المائدة حتى سألتنى أن أرافقها فى النزهة. فأخذنا الأطفال ومضينا إلى الحديقة من جهة نافورة المياه. وإذ كنت مهتاجاً شديد الاهتياج. فقد سألتها في حماقة وفظاظة وسرعة؛ لماذا أرى أن صاحبنا المركيز دي جريو": الفرنسي - لأنه غليظ . لم يسبق قط أن سمعتها تتكلم عن دي جريو بهذه الطريقة) فصمت) خشية أن أفهم سبب هذا الحنق وهذا الغيظ. ثم قلت: هل لاحظتٍ أنه كان اليوم على غير وفاق مع الجنرال. فأجابت بلهجة جافة مختاظة: - أنت تعلم أنه أقرض الجنرال مالاً على رُهن جميع أملاك الجنرال. فإذا لم تمت الجدة آلت المرهونات كلها إلى الفرنسي) 49 1\_طماع © :عاكاس1

Page#50

- أصحيح إذن أن كل شيء قد رهن؟ لقد سمعت عن هذا الأمرء لكنني لم أكن وائقاً. - بلى! - وداعاً إذن يا مدموازيل بلانش. إنها لن تصبح زوجة الجنرال. هل تعلمين أنه يُخيّل إليَ أن الجنرال قد بلغ من فرط هيامه بالآنسة بلانش أنه سوف ينتحر إذا هي هجرته. إن الغرام العنيف خطر جداً قالت باولين ألكسندروقنا حالمة شاردة: - أعتقد أيضاً أنه سيقع له شيء ما. صحتٌ قائلا: - ألا ما أروع هذا! ما من برهان أعنف من هذا البرهان على أنها لم تكن. راضية بالزواج منه إلا في سبيل المال. إنهما لم يراعيا حتى أصول اللياقة والحشمة؛ ولم يحفلا بشيء البتة. هذا رائع! ثم ما هذا الذي يعمدون إليه فيما يتعلق بالجدة؟ هل هناك ما هو أسخف أو أحط من إرسال البرقية ليسألوا: (هل ماتت؟ هل ماتت؟ هل ماتت حقاً؟). ما رأيك يا ياولين ألكسندروفنا؟ ما هذا الكلام كله إلا سخافات غبية! وإني ليدهشني أن تكون فرح المزاج إلى هذا الحد. ما الذي يبهجك؟ أتراك مبتهجاً لأنك خسرت مالي؟ - لماذا أعطيتني هذا المال لأخسره؟ لقد قلت لك إنني لا أستطيع أن ألعب لغيري) ولا أستطيع أن ألعب لك أنت من باب أولى! إنني أطيع كل ما يمكن أن تأمريني به. وقد حذرتك مع ذلكء) قائلاً إنه 50 1\_طماع © :سا1

Page#51

لن يخرج من هذا كله خير. ولكن قولي: هل يؤئّر فيك كثيراً أن تخسري مثل هذا المبلغ الضخم من المال؟ فيم كان يمكن أن ينفعك هذا المال؟ لماذا هذه الأسئلة؟ - ولكنك وعدتني أن تشرحي لي الأمور... اسمعي: أنا مقتنع بأنني إذا أخذت ألعب لنفسي (وعلى اثني عشر فردريكا) فلسوف أربح . وسأعطيك عندئذ كل ما تريدينه من مال. فنظرت إليّ نظرة احتقار. فتابعتُ أقول: حتى مالاً. ليس يضيرك ولا يلحق بك إهانة أن أقدم إليك هدية. ثم إنني قد خسرت مالك , فرشقتني بنظرة عجلى؛ وإذ لاحظت أنني أتكلم حانقاً ساخراء غيّرت موضوع الحديث مرة أخرى. - لا شيء من أموري يمكن أن يعنيك. فإذا حرصت على أن تعرف) فاعلم أن عليٌ ديوناً. لقد اقترضت مالآء وأود أن أرد المال في القمار. لماذا؟ لا أدري. ولكنني كنت أعتقد أنني سأربح. ومن يدري؟ لعل هذا الأمل قد استقر في نفسي لأنني لم يكن لي خيار) ولأن الربح في القمار كان آخر حظ يمكن أن أعوّل عليه. أو لأنه كان ينبغي الربح مهما كلف الأمر؛ مثلك في ذلك كمثل إنسان يغرق فإذا هو يتشبث بقشة. أكان يحسب القشة جذع شجرة لولا أنه كان بسبيل أن يغرق؟ ظهرت الدهشة على باولين. فسألتني: 51 1\_طماع © :سا1

Page#52

- كيف؟ أليس يراودك هذا الأمل نفسه أنت أيضاً؟ لقد قلت لي منذ خمسة عشر يوما) وأنت تطنب في الشرح) إنك واثق من الربح أكنت تمزح إذن؟ لكنني أذكر أنك كنت تتكلم بلهجة تبلغ من الجد أن المرء يستحيل عليه أن يحمل كلامك على محمل المزاح. - صحيح . . وما زلت وائقً كل الثقة أنتى سأربح. بل إني لأعترف لك بأنك تقودينني الآن إلى أن ن أطرح على نفسي هنا السؤال: لماذا لم تؤد هذه الخسارة الغبية الفاضحة التي خسرتها اليوم إلى إدخال لماذا هذا الاقتناع كله؟ - الحق أنني لا أدري. لكنني أعرف أنه يجب أن أربح) وأن هذا الربح مخرجي الوحيد. ولعل هذا هو السبب أيضاً في شعوري بأنني سأربح لا محالة. - إذن يجب أيضاً أن تربح مهما كلف الأمرء ما دمت على يقين يبلغ هذا المبلغ كله من الصلابة. أراهن أنك تشكين في أن يكون من الجائز أنني ي أشعر بضرورة ماسة وحاجة ملحة؟ قالت باولين بلهجة هادثئة غير مكترثة: - ذلك أمر لا يعنيني في شيء. ولكن ما دمت تسألني فأنا أقول لك: نعم. إنني أشك في أن يكون هناك شيء يعذبك عذاباً عميقاً. فلقد تشعر ببعض عذاب) ولكن عذابك لا يمكن أن يكون خطيراً. أنت امرؤ مشوش لا تستقر على حال. ما حاجتك إلى المال؟ إنني 52 1\_طماع © :سا1

Page#53

في كل ما ذكرته لي من أسباب) ذلك اليومء لم أجد شيئاً ذا بال. قاطعتها قائلا : - بالمناسبة) قلت إنك في حاجة إلى سداد ذَيْنء ذَيْنَ كبير فيما يُخْيّل إليّ . أليس الفرنسي هو الدائن؟ ما هذا؟ إنك اليوم لفارس. أتراك سكران؟ - أنت تعلمين أنني أبيح لنفسي أن أقول كل شيء) وأن أطرح في بعض الأحيان أسئلة مباشرة جداً. فأنا عبدك) وما يستحي المرء من عبدهء ولا يشعر بشيء من غضاضة أمام عبده. يا لها من سخافات! إنني لا أطيق نظرية (العبودية) هذه التي تعرضها! عبدك. وإنما أنا أتكلم عنها شيئاً مستقلاً عن إرادتي كل الاستقلال. - قل لي بصراحة: لماذا أنت في حاجة إلى مال؟ - وأنت لماذا تريدين أن تعرفي ذلك؟ فأجابت تقول وهي تهز رأسها بحركة ملأى بالكبرياء: -أنت حر... المرء: (أجب دون أن تناقش). هذا لسان حالك. ألا فليكن ما تريدين: لماذا أنا في حاجة إلى مال؟ هذا سؤالك. ويا له من - مفهوم. ولكن يجب أن لا يجن المرء هذا الجنون كله رغبة في المال! ذلك أنني أرى أنك تمضي إلى حد الهذيان. .. إن ثمة شيئاً بعينه) إن هناك هدفاً بذاته. تكلم بلا لف ولا دوران. أريد هذا. 53 1\_طماع © :عاكاس1

Page#54

لكأنها أخذت تغتاظ. وملأني افتتاناً أن أراها تظل تطرح علىٌ قلت: - إن لي هدفاً ولا شك. ولكنني لا أعرف كيف أشرح لك ما هو هذا الهدف. كل ما هنالك أنني بالمال سأصبح رجلاً آخرء حتى في نظرك أنت) فما أبقى عبداً. - كيف؟ كيف تصل إلى هذا؟ - كيف أصل إلى هذا؟ إنك لا تستطيعين حتى أن تفهمي أن في إمكاني أن أصل إلى أن تنظري إليّ نظرتك إلى إنسان غير عبد! وذلك بعينه هو ما أصبحت لا أريده. أصبحت لا أريد هذه الدهشات وهذه الاستغرابات! - كنت تقول إن هذه العبودية تهيىء لك لذائذ عذبة. وكنت أنا أصدق هذا الكلام! صحتٌ أقول وأنا أشعر بلذة غريبة نادرة: - كنت تصدقين ذلك؟ يا لها من سذاجة جميلة! نعم إن العبودية التي تخضعينني لها هي عندي لذة عذبة. إن المرء ليجد لذة في أدنى درجة من درجات الانحطاط والمذلة! (كذلك استمررت أهذي). ومن يدري؟ فلعل المرء يجد هذه اللذة العذبة أيضاً تحت ضربات المقرعة حين تهوي على ظهره وتسلخ جلده... ولكن لعلني أريد أن أشعر بمتع أخرى. . . منذ قليل) قرّعني الأمير أمامك؛ من أجل سبعماثة روبل قد لا أقبضها يوماً؛ ورفع المركيز دي جريو حاجبيه يتفرّسني متظاهراً في الوقت نفسه بأنه يجهل وجودي. هذا على حين أنني ربما كنت) من جهتي) أحترق شوقاً إلى أن أمسك بالمركيز) أمامك. من أرنبة أنفه. 54 1\_طماع © :سا1

Page#55

كلام صبية أغرار! إن في وسع المرء) في كل ظرف من الظروف) أن يتصرف تصرفاً يحفظ له كرامته. إن الكفاح يرفع قدر الإنسان ولا يخفضه. جمل محفوظة أو أقوال مأثورة: هكذا تتكلمين! إنك تفترضين أنني لا أحسن الظهور بالمظهر الكريم) وأنني على كوني إنساناً ذا كرامة) لا أعرف كيف أتصرف تصرفاً يصون الكرامة. تظنين أن الأمر يمكن أن يكون كذلك! ألا إن جميع الروس هكذا. لأن الروس يبلغون من غنى المواهب وتنوعها أنهم يعجزون عن أن يجدواء بسرعة) شكلاً يناسبهم . أما هنا فالشكل هو الأمر الهام. إنناء نحن معشر الروس) نبلغ من غنى المواهب أنه لا بد لنا من تعوزنا العبقرية) لأن العبقرية شيء نادر جداً على وجه العموم. إن الشكل) لدى الفرنسيين وربما لدى أوروبيين آخرين أيضاًء يبلغ من كمال التحديد ودقة التعيين أن من الممكن أن يظهر المرء بمظهر كريم إلى أبعد حدود الكرامة ولو كان أبعد الناس عن الكرامة. هذا هو السبب الذي يجعل للشكل لديهم هذه الأهمية كلها. إن الفرنسي قد يتحمل إهانة من الإهانات دون أن يقطب جبينه غيظأًء مع أن الإهانة قد تكون عميقة) حقيقية؟ ولكنه لن يتحمل بحال من الأحوال نقرة على أنفه بسبابة) لأن ذلك مخالف للآداب المقررة والشكل التقليدي. ولئن كنا نرى الفرنسيين يظفرون بهذه الحظوة وهذا النجاح هنا أي شكل وإنما أرى ديكاً؛ ديكا من ديوك بلاد الغال؛ ولست بمن يستطيع أن يفهم هذا على كل حال؛ لأنني لست امرأة. ولعل في الديكة خيراً أجهله. ولكنني أقول ترهات ثم أنت لا توقفينني عن 55 1\_طماع © :سا1

Page#56

الكلام. ألا أوقفيني أكثر من ذلك. حين أتحدث إليك فإنني أحب أن أقرل كل ما في قلبي) كله كله. . . فأفقد القدرة على مراعاة أي شكل. بل إنني أعترف أنني لا أفتقد الشكل فحسبء بل تعوزني كل مزية. أصرّح لك بهذا. حتى إنني لا أحفل بأية مزية. لقد تجمد الآن كل شيء في نفسي. وأنت تعرفين سبب ذلك. لم يبق في وإذلم يكن لي أي أمل) وإذ كنت في نظرك صفراًء فإنني أسوق كلامي صريحاً صريحاً: إنني لا أرى في أي مكان شيئاً سواك) وكل ما عداك فهو عندي سواء. لماذا أحبك؟ وكيف أحبك؟ لا أدري. قد لا تكونين من الجمال على شيء البتة. هل تتصورين أنني لا أعرف أأنت جميلة أم لاء حتى من ناحية جمال الوجه؟ أما قلبك فسيىء ولا شكء. وأما فكرك فمن الجائز جداً أن يكون مجرداً من - فلعلك لعدم إيمانك بنبلي تعوّل على أن تشتريني إذن بالمال؟ هتفت أقول: - متى عوّلت على أن أشتريك؟ - لقد ضللت الطريق) وفقدت المنطق. إن لم تكن تأمل أن - ليس الأمر كذلك تماماً. قلت لكِ إن من الصعب علي أن تفهمين لماذا يجب أن لا يزعل مني. أنا مجنون) هذا كل ما في الأمر. على أن ذلك لا يهمني) فازعلي إذا شئت. إنه ليكفيني وأنا 56 1\_طماع © :سا1

Page#57

بغرفتي الصغيرة) في أعلىء أن أتذكر أو أن أتخيل حفيف ثوبك حتى أكون مستعداً لعض أصابعي. لماذا زعلت مني؟ ألأنني أعلن أنني عبدك؟ استفيدي من عبوديتي) استفيدي منها! هل تعلمين أنني سأقتلك في ذات يوم؟ لا غيرة ولا لأنني أكون قد انتهيت من حبك! لاء وإنما سأقتلك لمجرد أنني أشعر في بعض الأيام برغبة في أن - لست أضحك. ولكنني آمرك أن تسكت. وتوقفت) وهي تختنق غضباً. شهد الله لا أدري أهي جميلة) لكنني أحب أن أنظر إليها حين تتوقف أمامي هذا التوقف؛ ومن أجل ذلك إنما أحب أن أستثير غضبها. ولعلها لاحظت هي ذلك) - يا للشتاعة! واستأنفت كلامي قائلاً: - يستوي عندي. . . ثم اعلمي أيضاً أن من الخطر أن نتنزه معاً: فكثيراً ما تراودني رغبة لا تُقاوّم في أن أضربك) في أن أشوهك) في أن أخنقك. أتظنين أن الأمر لا يمكن أن يمضي إلى هذا الحد؟ سخطك؟ أنا أستخف بسخطك! إنني أحبك بغير أمل) وأعرف أن حبي سيزداد بعد ذلك ألف مرة. وإذا قتلتك يوماً فسيكون على أن أقتل نفسي أيضاً. ولكنني سأؤجل قتل نفسي ما استطعت إلى التأجيل سبيلاً) حتى أشعر من فراقك بذلك العذاب الذي لا يطاق! هل تصدقين هذا الشيء الذي لا يصدق: أنني في كل يوم أحبك أكثر مما كنت أحبك في اليوم السابق؟ وهذا أمر مستحيل مع ذلك! 57 1\_طماع © :سا1

Page#58

أفتريدين بعد ذلك أن لا أؤمن بالقدر! تذكري: لقد قلت لك أول حين تحديتني: (قولي كلمة واحدة) فأرمي بنفسي إلى الهاوية). لو أنك قلت تلك الكلمة إذن لرميت نفسي. أنت تصدقين هذاء أليس كذلك؟ صاحت تقول: يستوي عندي أن تكون غبية أو أن لا تكون كذلك. أنا أعلم أنني حين أكون معك أحتاج إلى أن أتكلم) أن أتكلم) أن أتكلم... هذا. شلانجنبرجر؟ لا فائدة من هذا البنّة . هتفت أقول: - رائع! لقد استعملت هذا التعبير الرائع عامدة لإذلالي: ١لا‏ فائدة). كشفتك. تقولين: ١لا‏ فائدة). ولكن اللذة مفيدة دائماًء والسلطة المطلّقة التي لا حدود لها نوع من المتعة) ولو كانت سلطة على ذبابة. الإنسان ظالم بطبيعته: إنه يحب التعذيب. وأنت تحبين هذا أكثر مما تحبين أي شيء آخر. أذكر أنها كانت تتفرسني بانتباه خاص. لا شك أن وجهي كان يعبر عندئذ عن جميع الإحساسات العجيبة السخيفة الخارقة التي كنت أشعر بها. وأذكر الآن أن حديثنا قد جرى بهذه الألفاظ نفسها التى أوردها هنا تقريباً. كانت عيناي محتقنتين دماً. وكان الزبد يصعد إلى 58 1\_طماع © :عاكاس1

Page#59

اللحظة) لكنت ألقي بنفسي إلى تحت لو أمرتني بذلك؛ ولكنت أفعل حتى ولو طلبته مني مازحة محتقرة باصقة عليٌ. قالت: - لاء لماذا؟ إنني أصدقك. ولكنها قالت ذلك بتلك اللهجة التي تجيد وحدها استعمالهاء بلهجة تبلغ من الاحتقار والمكر والتعالي ما كان يمكن أن يدفعني إلى قتلها في تلك اللحظة. لقد عرّضت نفسها لمثل هذا فعلاً. ولم أكذب عليها حين قلت لها ذلك. - ألست جباناً؟ - لا أدري. قد أكون كذلك. منذ زمن طويل لم أسأل نفسي هذا السؤال. - هبني قلت لك: (أقتل هذا الرجل). . . أفتقتله؟ من؟ - من أريد. - الفرنسي؟ - لا تسألني بل أجبني. أتقتل من أسألك أن تقتله؟ أريد أن أعرف كانت من شدة الاهتمام ونفاد الصبر في انتظار جوابي أنني دُهشت هلا قلت أخيراً ماذا يحدث هنا؟ أتراك خائفة مني؟ إنني أرى جميع التعقيدات التي تضطربون هنا في زوبعتها. أنت قريبة رجل مدمّر مجنون) يخربه هيامه بهذا الشيطان... الأنسة بلانش. ثم 59 1\_طماع © :عاكاس1

Page#60

هنالك الفرنسي وما له عليك من نفوذ خفي. وها أنت تطرحين علي منذ لحظة ذلك السؤال. فلأعلم شيئاً على الأقل. وإلا جننت واندفعت إلى تطرّف لا نعرف ما عسى يكون! أم تراك تستحين أن تشرفيني بصراحتك؟ ولكن ليس في الإمكان أن تستحي أمامي. ما عن هذا قط أكلمك. لقد ألقيت عليك سؤلاً وأنا أنتظر الجواب . فانفجرت أقول: - طبعاً أقتل من تسألينني أن أقتله؛ ولكن هل يمكن أن... هل يمكن أن تأمريني بشيء من هذا القبيل؟ - لا تقدُر على كل حال أنني سأدخرك! وإنما أنا أصدر إليك أمري) وأبقى بعيدة. أفي وسعك أن تتحمل هذا؟ ما أظن... فلست أهلاً لذلك! ولسوف ترجع إليّ تقتلني لأنني تجرأت فأرسلتك الحين أحمل كلامها على محمل نصفه المزاح ونصفه التحدي. ولكنها كانت قد تكلمت جادة مفرطة في الجد. لقد أذهلني أنها تكلمت على هذا النحوء فأكدث أن لها عليّ مثل هذا الحق) واعترفت لنفسها بمثل هذه السلطة؛ وقالت صراحة: (تهلك أنت) وأبقى أنا بعيدة). إن في هذه الأقوال من الاستهتار والصراحة ما يخرج في رأيي عن القصد ويتجاوز الخد. وكيف تراها تتصرف معي بعد أن أنقُذ أمرها؟ إن هذا يتخطى حدود العبودية والحطة. إن هذه الطريقة في النظر إلى الأمور ترفعني إلى مستواها. ومهما يكن الحديث الذي دار بيننا سخيفاً لا يصدق فقد أحسست بقلبي يتهاوى. وفجأة) انفجرت ضاحكة. كنا جالسين على مقعد أمام الأطفال 60 1\_طماع © :عاكاس1

Page#61

الذين كانوا يلعبون؛ تماماً مقابل المكان الذي تتوقف عنده العربات - أترى هذه البارونة الضخمة؟ إنها البارونة قورمو هلم. هي هنا منذ ثلاثة أيام فحسب. أنظر إلى زوجها: هذا البروسي النحيل المتخلع الذي يمسك في يده عصا. هل تذكر كيف تفرسا فينا أول أمس. الحق فوراً بالبارونة؛ وأظهر لهاء وقل لها شيئاً بالفرنسية. - لماذا؟ - لقد حلفت لي لترمينٌ نفسك من أعلى جبل شلانجنبرجر إذا أنا أمرتك بذلك؛ وأنت تحلف اليوم أنك مستعد للقتل إذا أنا أمرتك أن تقتل. فبدلاً من هذه الجرائم وهذه المآسي أريد اليوم أن أتسلى قليلاً. أريد أن أرى البارون يضربك بعصاه. - أتتحدينني؟ أتظنين أنني لن أفعل؟ - نعم أتحداك. هيا اذهب إليها. أريد ذلك. - طيب. سأذهب: ولكنها نزوة غريبة جداً. يجب أن لا يجلب هذا الأمر بعض المكاره للجنرال) ولا أن يجلب لك أنت بعض المكاره تبعاً لذلك. يميناً ما أنا بالخائف على نفسي) بل عليك. . . وعلى الجنرال. أية فكرة غريبة هذه: أن أمضي أهين امرأة! قالت لي باحتقار: ما أنت إذن إلا ثرثار كما أرى. عيناك وحدهما كانتا محتقنتين منذ قليل. ولعل مرد ذلك على كل حال إلى أنك أسرفت في الشراب أثناء الغداء. أنا أعرف أن ما أسألك أن تفعله سخيف ودنيء) وأن الجنرال سيغضب. ولكنني أحب أن أتسلى. هذا كل ما في الأمر. ولن تكون في حاجة إلى إهانة امرأة. لسوف تُخبط قبل أن تفعل. 61 1\_طماع © :عاكاس1

Page#62

نهضت ومضيت أُنِفّذ مهمتي دون أن أنطق بكلمة واحدة. واضح أن الأمر كان سخيفاً. ولم أستطع أن أتملّص. ولكنني أذكر أنني) بينما كنت أقترب من البارونة) شبت في نفسي رغبة في أن أقارف عملاً أرعن طائشاً. ثم إنني كنت من شدة اهتياجي كسكران. 3 62 1\_طماع © :عاكاس1

Page#63

الفصل السادس 9300 ذلك منذ يومين. يا له من نهار أحمق! ما أكثر ما ارتفع فيه من صياح) وما قام فيه من ضجة وجلبة) وما جرى فيه من تعليق وتعقيب! وأنا السبب في كل هذا الهرج والمرج) في كل هذا السخف,. في كل هذه العامية! على أن الأمر مهزلة تبعث على الضحكء في رأيي على الأقل. لا أستطيع أن أفهم ما وقع لي: أأنا في حالة من حماسة وحمياء أم أنا إنسان خرج عن جادة العقل) وراح يقارف السفاهات تلو السفاهات بانتظار أن إلى في بعض اللحظات أنني لم أكد أتجاوز عهد الطفولة) لم أكد أخرج من المدرسة فأنا أندفع في أعمال صبيانية فظة مما يندفع فيه التلاميذ. إن الخطأ خطأ ياولين؟ إن كل الذنب ذنبها. لعلني ما كنت أندفع في تلك الأعمال الصبيانية لولا أنها كانت هنالك. ومن يدري على كل حال؟ لعلني فعلت ذلك كله يأسا (رغم أن تفسير الأمر على هذا النحو غباء). ولست أفهمء لا لست أفهم ما تتمتع به من مزايا. إنها جميلة؛ أو هذا ما أعتقده في أقل تقدير. ولست المجنون الوحيد 63 1\_طماع © :عاكاس1

Page#64

بها. إنها فارعة القوام) حسنة الخلقة. لكنها نحيلة جداً. يُخيّل إليّ أن في وسع المرء أن يربطها عقدة أو أن يثنيها نصفين. أثر قدمها شعرها انعكاسات ضاربة إلى حمرة. عيناها عينا قطة حقاً... وما أكثر ما تستطيع أن تضع فيهما من كبرياء وعجرفة! منذ حوالي أربعة أشهرء وكنت قد دخلت في خدمتهم منذ قليل) شب بينها وبين دي جريوء ذات مساء.ء حديث طويل) في الصالون. كانا يتكلمان في صعدت أنام بعد ذلك تخيلت أنها قد صفعته) أنها قد صفعته منذ لحظة) وأنها الآن واقفة أمامه تنظر إليه. . . وفى المساء إنما وقعت في هواها. ‎١‏ ولنعد إلى ما وقع. انتظر وصول البارون والبارونة. فلما صارا مني على مسافة خمس أقدام ظهرت لهما وألقيت عليهما السلام. أذكر الآن أن البارونة كانت ترتدي ثوباً من حرير أشهب واضحء واسع سعة عظيمة تبعث على الدهشة؛ مزدان بتخاريم مطرزة) ونسيج من شعرء وذيل سابغ. إنها قصيرة) بدينة جدأء لها ذقن كثيفة متراجعة تختلط بخديها؛ ووجه أحمرء وعينان صغيرتان خبيثتان وقحتان؛ ومشية تفيض طواعية وانقياداً. أما البارون فرجل جاف خشنء طويل القامة) ذو وجه مقلوب تخدده طائفة من غضون صغيرة. وهو يضع على عينيه نظارتين) كعادة الناس في ألمانيا. وهو في الخامسة والأربعين من عمره؛ تكاد ساقاه من طولهما أن تخرجا من صدره رأساً: وتلك علامة نبالة المحتد. إنه مغرور كطاووس. 64 1\_طماع © :سا1

Page#65

ثقيل قليلاً. وشيء من مظهر الخروف في التعبير ينوب عنده مناب العمق . لاحظت ذلك كله في بضع ثوان. لم يكادا يلتفتان في أول الأمر إلى تحيتي التي ألقيتها عليهما حاملاً قبعتي في يدي. واكتفى البارون بأن قطب حاجبيه قليلاً. وأقبلت البارونة علي قدما وهي تسير بخطى جليلة. قلت بصوت - سيدتي ابارونة؛ ! نه ليشرفني أن أكون عبدك93. ومضيت قرب البارون انر إليه بابتسامة رقيقة متوددة. لقد أمرتني ياولين أن أظهر لهما. أما التذللات والصبيانيات فهي من عندي أنا. لا يعلم إلا الله ما الذي كان يدفعني إلى ذلك دفعاً. كان يُخيّل إليّ أنني أهوي من أعلى جبل. اهيه!]. . كذلك صرخ البارون أو قل كذلك عوى وهو يستدير نحوي في النظر إليه بابتسام. كان واضحاً أنه متحير. ثم ها هو ذا يقطب حاجبيه إلى أقصى حدء ويكفهر وجهه شيئاً بعد شيء مزيداً من الاكفهرار. والتفتت البارونة أيضاً إلى جهتي دهشة مستاءة. وأخذ مارّة من الناس يراقبوننا. حتى لقد توقف بعضهم يشاهد. اهيه! . . كذلك عوى البارون مرة.أخرى بصوت تضاعف صراخه وتضاعف عحلقة . 65 1\_طماع © :سا1

Page#66

يا قول040, قلت له ذلك أجرٌ الكلمة جرأء وظللت أحدّق في عينيه. - أأنت مجنون ؟2050, قال ذلك ملوّحاً بعصاهء حتى ليخال المرء حين يراه أنه أخذ يرتجف. لعل ردائي هو الذي أدخل الاضطراب في قلبه؛ وكنت حسن الهندام. بل جيد الأناقة) كرجل ينتسب إلى أرقى طبقة. - يا ووول... صحت هكذا بكل ما أملك من قوىء مطيلاً (الواو) كما يفعل سكان برلين الذين يستعملون هذه الكلمة (يا قول) في الحديث كل لحظة مطيلين الواو أو مقصرينها تبعاً لاختلاف ما يريدون التعبير عنه من الفكر أو من العاطفة بعض الاختلاف. استدار البارون والبارونة فجأة) وابتعدا بما يشبه الركض. لقد خافا خوفاً شديداً. أما المارة الذين تجمهروا فبعضهم أخذوا يتكلمون) وبعضهم راحوا ينظرون إليّ مدهوشين. ولست أذكر جيداً على كل حال. عدت أدراجي بخطواتي العادية نحو ياولين ألكسندروقنا ولكن ما إن صرت على مسافة مائة متر تقريباً من مقعدها حتى رأيتها تنهض وتتجه نحو الفندق مع الأطفال. وأدركتها أمام درجات سلم المدخل) حتى إذا صرت حذوها قلت لها: وصعدثتٌ درجات السلّم) حتى دون أن تلقي علي نظرة . 66 1\_طماع © :سا1

Page#67

ظللت السهرة كلها أطوف في الحديقة. ثم اجتزت الحديقة) واستمررت أسير إلى أن بلغت قرية من القرى) فطعمت لدى بعض ونصف تالير. ولم أعد إلا في الساعة الحادية عشرة من المساء. فما أن وصلت حتى استّدعيت إلى لقاء الجنرال. إن أصحابنا يحتلون من الفندق شقتين. إنهم يشغلون أربع غرف. فأما الأولى فهي الصالون: غرفة واسعة يزيّتها بيانو ذو ذيل) وتتصل بغرفة واسعة أخرى هي مكتب الجنرال. هناك كان الجنرال ينتظرني واقفاً في وسط الغرفة) متخذاً وضعاً في غاية الفخامة والجلال. وكان دي جريو متمدداً على الديوان في تكاسل واسترخاء. بدأ الجنرال كلامه قائلا: هلاً أذنت لى أيها السيد العزيز أن أسألك ماذا فعلت؟ - أوثر أن تمضي إلى الأمر رأساً يا سيادة الجنرال. لعلك تريد أن تكلمني في أمر لقاء مع أحد الألمان منذ قليل. أحد الألمان؟ إن هذا الألماني هو البارون فورمرهلم. إنه - أيداً. .. - لقد أرعبتهما أيها السيد. كذلك صاح الجنرال. - لم أرعبهما قط. لقد كنت في برلين أسمع كلمة (يافول' هذه في كل حديثء يرددها الناس بعد كل كلمة) ويطيلونها إطالة مزعجة. فلما صادفت البارون في الطريق الذي تحف به الأشجارء 67 1\_طماع © :عاكاس1

Page#68

استيقظَتُ هذه الكلمة في ذاكرتي فجأة (لا أدري لماذا؟)) فأثارت حفيظتي. .. زد على هذا أن البارونة قد لقيتني في الطريق ثلاث مرات قبل ذلك) فكانت تسير نحوي قُدماً كما لو كنت دودة من ديدان الأرض يمكن سحقها. ويجب أن تسلّم بأنني إنسان له كرامته. فما كان مني إلا أن نزعت قبعتي وقلت لها في أدب جم (أؤكد أنني كنت جم الأدب): (يشرفني يا سيدتي أن أكون عبدك). فلما التفت البارون صارخاً: (هيه؟): اشتهيت أن أصرخ أنا أيضاً بقولي (يا قول). ولقد قلت هذه الكلمة مرتين: مرة بطريقة عادية) ومرة أخرى بإطالتها ما وسعتني الإطالة. هذا كل ما حدث. أعترف أن هذا الشرح قد رقاني وفتنني إلى أقصى حد يليق بفتى وقح. كنت أحترق شوقاً إلى تطريز هذه القصة على أسخف صورة ممكنة. وكنت كلما أمعنت في ذلك) ازددت تلذذاً به. صاح الجنرال: والتفت نحو المركيز فشرح له باللغة الفرنسية أنني كنت أسعى إلى خلق مشكلة حتماً. فابتسم دي جريو ابتسامة احتقار) رافعاً كتفيه. هتفت أقول: لا تصدق هذا... ليس في الأمر شيء من ذلك قط. صحيح أن حركتي كانت مزعجة... أعترف لك بذلك صادقاً مخلصاً. ويمكن أن تُوصَف بأنها سخيفة) بأنها عمل صبياني قليل الحياء غبي... لا أكثر. واعلم) يا جنرال) أنني أشعر بندامة كبيرة على ما بدر مني. غير أن هنالك ظرفاً يكاد يعفيني في رأيي من الندم. إنني في الآونة الأخيرة) منذ خمسة عشر يوماًء وربما منذ ثلاثة أسابيع ) أشعر بأنني في حالة صحية سيئة: إنني مريض) عصبي) سريع 68 1\_طماع © :عاكاس1

Page#69

الاهتياج) كثير الهواجس) حتى لأفقد في بعض المناسبات كل سيطرة على نفسي وكل تحكم بأعمالي. هذا صحيح. من ذلك مثلاً أنني قد شبّت في نفسي عدة مرات رغبة رهيبة في أن أقوم فجأة إلى فقد يشعر الأمير من ذلك بإهانة فيثور غضبه... المهم أن هذه الأشياء أعراض مرض. . . لا أدري هل تأخذ البارونة فورمرهلم هذا الظرف بعين الاعتبارء حين سأعتذر إليها (وفي نيتي أن أعتذر إليها) . ولكن أغلب الظن أنها لن تفعل) خاصة وأن الناس) في الآونة الأخيرة) قد أخذواء فيما أعلم) يسيئون استعمال هذا المبرر في عالم القضاء : فالمحامونء في القضايا الجنائية) أخذوا يبررون جرائم موكليهم زاعمين أن هؤلاء كانوا لحظة ارتكاب الجريمة لا يشعرون بما يفعلون) وأن هذا مرض من الأمراض. يقول هؤلاء المحامون مثلاً: #لقد ضربء نعم. لكنه لا يتذكر الآن شيئاً؛. وتصورء يا سيادة الجنرال) أن الطب يؤيدهم... فهو يدعي أن هناك مرضاً من هذا النوعء أن هناك جنوناً مؤقتاً إذا استبد بالإنسان لحظةٌ جعله لا يتذكر أو لا يتذكر إلا نصف تذكر. ولكن البارون والبارونة هما من الجيل القديمء ناهيك عن أنهما من النبلاء البروسيين وأنهما من الريف) فهما لما يعلماء بعدء بهذا التطور الذي حققه الطب الشرعي) لذلك لن يقبلا شروحي وتعليلاتي. ما رأي الجنرال؟ قال الجنرال بغتة وهو يكظم استياءه: - كفى أيها السيد كفى!... سوف أحاول أن أجعل نفسي في منجى من أعمالك الصبيانية مرة واحدة إلى الأبد. لن يكون عليك أن تعتذر للبارون والبارونة. إن أي اتصال لك بهماء ولو اقتصر على الاعتذار إليهماء سيبدو لهما ذُلاً ما بعده ذل. وحين علم البارون 69 1\_طماع © :عاكاس1

Page#70

أنك واحد من منزلناء حدثني في الأمر بالكازينو وأوشك أن يطالبني بترضية) أعترف لك بذلك. فهل فهمت على ماذا حملتني أناء أيها السيد العزيز؟ لقد اضطررت أن أعتذر إليه) وأن أعده وعد الشرف أنك منذ هذا اليوم لن تكون واحداً من مترلنا. . . اسمح لي؛ اسمح لي يا جنرال) أهو الذي طلب أن لا أكون منذ اليوم واحداً من منزلكمء على حد تعبيرك؟ الطريقة)ء وطبيعي أن يظهر البارون ارتياحه لذلك ورضاه به. بقي أن أدفع لك أربعة فردريكات وثلاثة فلورينات. فإليك مالك). وهذا هو الحساب) في وسعك أن تراجعه. والوداع. فنحن بعد الآن غرباء لا يعرف بعضنا بعضاً. إنني لم أجن منك إلا ما يصدع الرأس ويزعج النفس. وسوف أستدعي (الجرسون؟ الآن فأقول له أنني لن أكون مسؤولاً عن نفقاتك بالفندق ابتداء من غد. الوداع . تناولت المال والورقة التي سجل عليها الحساب بالقلم الرصاص) ثم حبيت الجنرال) وقلت له بلهجة جادة كل الجد: - إن الأمر لا يمكن أن ينتهي على هذا النحوء يا جنرال. يؤسفني ويؤلمني أن البارون قد أبدى لك ملاحظات مزعجة) ولكن اسمح لي أن أقول أن الخطأ خطؤك. فلماذا توليت أن تكون مسؤولا أمام البارون نيابة عني؟ وما معنى هذا التعبير: (أنني واحد من منزلكم؟) أنا معلم أولادك لا أكثر. فلا أنا ابنك) ولا أنت وصي علىٌء وما كان لك أن تُسأل عن أعمالي. إن لي شخصيتي القانونية. عمري خمسة وعشرون عاماً. وأنا متخرج من الجامعة. وأنا نبيل. ولست أمبٌ إليك بأية قربى) فأنا غريب عنك كل الغرابة. ثق أن ما أحمله لمزاياك من احترام لا حد له هو الذي يصدني الآن عن أن أطالبك 10 1\_طماع © :عاكاس1

Page#71

بإصلاح ما بدر منك حين أعطيت نفسك حق أن تكون مسؤولاً بلغ الجنرال من شدة الانشداه أن تهدلت ذراعاه؛ ثم إذا هو يلتفت نحو الفرنسي فجأة) فيقول له موجزاً أنني أوشكت أن أطلبه لمبارزة. فانفجر الفرنسي ضاحكاً بقهقهة قهقهة واستأنفت كلامي فقلت بهدرء كامل) دون أن أدع لنفسي أبداً أن تستفزها قهقهات مسيو دي جريو: - على أن حسابي لا يكون بذلك قد صمي مع البارون) وما دمت قد رضيت اليوم أن تصغي إلى شكاوي البارون) وأن تُعنى بشؤونه لذلك يشرفني أن أبلغك يا سيادة الجنرال أنني) غداً لا بعدهء سوف أطالب البارونء باسمي أناء بتفسير قاطع للأسباب التي حملته) رغم أن شأنه كان معي) على أن يتجاهلني وأن يتجه إلى شخص ثالث) كما لو كنتٌ غير قادر على أن أتحمل مسؤولية أفعالي) أو كما لو وحدث ما كنت أتوقعه. فها هو ذا الجنرال يأخذه الخوف إذ يسمع هذه السخافة الجديدة. وصاح يقول: - أتراك تنوي أن تسير بهذه القضية المشؤومة أشواطاً أخرى! ألا إنك لتضعني في أحرج المواقف!... ولكن حذار أيها السيد. . حذار ثم حذار. .. وإلا فإنني ي أقسم بشرفي : ‎٠.‏ للحظ أن في ل, البلد سلطات أيضاً. .. وأنا... أنا... الخلاصة... نظراً لمركزي. . . ونظراً لمركز البارون أيضاً. . . لسوف توقفك الشرطة) لسرن تطريك مي هقد الصديئة) منما لكي 0 1\_طماع © :سا1

Page#72

كان الجنرال خائفاً خوفاً شديداء رغم أن الغضب كان يخنقه أجبت قائلاً بهدوء مثير: - سيادة الجنرال) لا يمكن أن يُعتقل أحد لفضيحة قبل ارتكابه الفضيحة. إنني لم أفاتح البارون بعدء وما زلتَ تجهل كل الجهل من أي جانب أنوي أن أواجه القضية) وعلى أي أسس أنوي أن أعالجهاء إن كل ما أريده هو أن أبدد ذلك الظن الذي يلحق بي إهانة كبيرة) ألا وهو أن هناك وصياً على يملك أن يضغط على حرية إرادتي. فأنت إذن تفزع وتقلق في غير ما حاجة إلى الفزع أو القلق. بدّل الجنرال أوضاعه المتكبرة فجأة فقلبها إلى لهجة توسل وضراعة حتى لقد أمسك بيديء وقال: - ناشدتك اللهء ناشدتك الله يا ألكسي إيقانوقتش) دعك من هذا المشروع السخيف المستحيل. تصور ما قد ينجم عنه! مزعجات جديدة. لاحظ أن علي هنا أن أظهر بمظهر خاصء لا سيما الآنء لا سيما الآن... لعلك لا تعرف الوضع كله. أنا مستعد لاستردادك متى سافرنا من هنا. أما الآن فالقضية قضية شكل... الخلاصة. . إنك تعرف الأسباب التي تدفعني إلى هذا دفعاً... ألكسي إيفانوفتش) ألكسي إيفانوفتش (كذلك صاح يائسأ). فرجوته مرة أخرى) وأنا أنسحبء أن لا يتملكه القلق) ووعدته بأن تجري الأمور مجرى حستاء وأسرعت أبارح الغرفة . إن الروس يسرفون في الجبن أحياناً حين يكونون في الخارج. إن بهم خوفا رهيبا مما سيقال عنهم) من نظرة الناس إليهم. إنهم يخشون أن يخلوا بمظاهر اللباقة) ولا سيما أولئك الذين يطمعون في أن يكون لهم شأن كبير. إنهم يحرصون أشد الحرص على أن 72 1\_طماع © :عاكاس1

Page#73

يراعواء مراعاة العبودية) شكلاً معيناً سبق تصوره وسبق تقريره مرة إلى الأبدء سواء في الفنادق أو في النزهات أو في الاجتماعات أو في الأسفار... ولكن الجنرال قد أفلت من لسانه أن هناك ظروفاً تضطره (إلى الظهور بمظهر خاص). فلذلك شعر فجأة بذلك الخوف كله وغيّر اللهجة التي كان يخاطبني بها. وقد لاحظت ذلك ووعيته. إنه أجبن من أن يلجأ إلى السلطات) وعليّ أن أعمل في روية وحذر. على أنني لم تكن بي أي شهوة إلى إغضاب الجنرال. إن ياولين هي من كنت أتمنى الآن لو أحنقه. لقد بلغت من القسوة في معاملتي) ودفعتني في طريق بلغ من السخف أنني أصبحت أرغب في حملها على أن ترجوني هي نفسها أن أتوقف. . . إن الأعمال الصبيانية التي قد أقوم بها يمكن أن تسيء إلى سمعتها هي أيضاً. ثم إن إحساسات جديدة ورغبات جديدة قد نبتت في نفسي: فلئن تلاشيت أمامها بإرادتي؛ مثلاًء فإن ذلك لم يكن يعني أبدا أنني إزاء الآخرين كدجاجة مبللة) وليس الأمير حتماً من كان عليه أن يؤدبني (بالعصا). كنت أريد أن أسخر من جميع هؤلاء الناس) وأن أخرج من ذلك بأمجاد الحرب. لسوف يرون. ولا شيء يُحْشى منه! وهبها لم تستدعني؛ فلسوف ترى على كل حال أنني لست بالدجاجة وهذا نبأ مدهش: لقد علمت منذ لحظة من خادمة الأولاد التي صادفتها على السلم أن ماري فيليبوفنا سافرت اليوم وحدها إلى ابنة عمتها بكارلسباد في قطار المساء. ما معنى هذا؟ وقالت الخادم إن ماري فيليبوقنا كان في نيتها أن تسافر منذ زمن طويل. فكيف لم يعلم أحد بشيء من هذا؟ على كل حالء) قد أكون الشخص الوحيد 13 1\_طماع © :سا1

Page#74

الذي كان يجهل الأمر. وقد أفهمتني الخادم أن ماري فيليبوكنا قد قامت بينها وبين الجنرال مشاحنة عنيفة أول أمس. فهمت. لا شك أنها. . . مدموازيل بلانش. نعم: إن شيئاً حاسماً يهم أن يقع. د 714 1\_طماع © :سا1

Page#75

الفصل السابع 8 هذا الصباح استدعيت خادم الفندق وطليت إليه أن يجعل حسابي مستقلاً. ولم يكن أجر غرفتي بالأجر الباهظ حتى أخاف فأترك الفندق نهائياً. كان معي ستة عشر فردريكاً . . . وهناك. . . هناك. . . ربما كانت تنتظرني ثروة! شيء غريب: لم أكن قد ربحت بعدء ولكنني أتصرف وأحس وأفكر كما لو كنت رجلاً غنياً) ولم يكن في وسعي أن أرى نفسي غير ذلك. كنت أنوي) رغم بكرة الصباح؛ أن أذهب حالاً إلى مستر آستلي الذي كان يقيم في (فندق إنجلترا) القريب من فندقنا كل القرب؛ فإذا أنا أرى دي جريو داخلاً إلى غرفتي على حين فجأة. لم يكن قد حدث هذا قبل اليوم قطء وأكثر من ذلك أن صلاتي بهذا السيد قد أصبحت في الآونة الأخيرة كلها بعيدة كل البعد متوترة أشد التوتر. حتى لقد أصبح لا يكفيه أن لا يخفي استخفافه بي واحتقاره لي) بل أصبح كذلك يحاول إعلان ذلك جهاراً. .. أما أنا... فكان لي من الدواعي ما يجعلني لا أحبه؛ حتى ليمكن أن أقول إنني كنت أكرهه كرهاً. لذلك أدهشني مجيئه كثيرأء وسرعان ما أدركت أن شيئاً خاصاً غير مألوف كان يحدث. 75 1\_طماع © :عاكاس1

Page#76

كان لطيفاً معي كل اللطف) وأخذ يطري غرفتي؛ فلما رآني أحمل قبعتي بيدي أدهشه أن أخرج للنزهة في مثل هذه الساعة المبكرة من الصباح. فقلت له إنني كنت ذاهباً إلى مستر آستلي لبعض الأعمال)؛ فشرد لحظة) وعبر وجهه عن هم شديد. كان دي جريو رجلا كسائر الفرنسيين) أي إنساناً دمثاً مرحاً متى وجب عليه أن يكون كذلك ومتى كان ينفعه أن يكون كذلك) ولكنه إنسان ممل مضجر إلى حد لا يُطاق متى زالت الضرورة التي كانت تحمله على أن يكون دمثاً مرحاً. إن الفرنسي قلما يكون لطيفاً محبباً من أول اندفاعة) وإنما هو لطيف محبب على نظام مرسوم؛ وبحساب مدروس. فإذا رأى مثلاً أن من الضرورة أن يخرج على المألوف) وأن يركب هواهء وأن يشذ عن القاعدة) وأن يتفرد في السلوكء رأيت أشد ألوان الشذوذ إغراقاً في العجب تكتسي لديه أشكالاً مقررة مقبولة من قبل) شائعة مبذولة من زمان بعيد. أما إذا ترك نفسه على سجيتها الطبيعية فهو إنسان وضعي) بورجوازي) تافه) لا طعم له؛ هو على وجه الإجمال أكثر من على وجه الأرض إملالاً وإضجاراً. وفي رأيي أن الأغرار وحدهم) ولا سيما الفتيات الروسيات) هم الذين يمكن أن يفتنهم الفرنسيون. وما من إنسان حصيف إلا ويلاحظ ثم يكره رأساً تلك السلسلة المتكررة من الأشكال الثابتة التي يصطنعها الفرنسيون لطفاً في الصالونات) وطلاوة في الحديث) ومرحاً في الحركة. بدأ الكلام منطلق الحركة ولكن على لباقة وأدب: - إنما جئتك اليوم لعمل. لا أكتمك أنني موفد إليك من الجنرال سفيراً أو وسيطاً. إنني لم أكد أفهم شيئاً من الحديث الذي جرى بينك وبين الجنرال أمس) لأنني أسيء معرفة اللغة الروسية جداء 16 1\_طماع © :سا1

Page#77

ولكن الجنرال شرح لي كل شيء تفصيلا يلاً؛ وأنا أعترف. . فقاطعته قائلاً: اسمع يا سيد دي جريو. . . ها أنت ذاء في هذه القضية أيضاًء تقوم بدور الوسيط. أنا لست إلا معلماء ولم أزعم لنفسي يوماً شرف وجود صداقة حميمة بيني وبين هذا البيت. ولا شرف وجود علاقات وثيقة خاصة تربطني بهء ولذلك فإن هناك ظروفاً أجهلها. ولكن هلا قلت لي شيئاً: أأنت قد أصبحت الآن واحداً من الأسرة على وجه التمام؟ ذلك أنني أرى أنك تبلغ من الاهتمام بهذه الأمور جميعها ساءه سؤالي. إنه سؤال مسرف في الشفافية؛ والرجل لا يريد أن قال في جفاء وخشونة: - تربطني بالجنرال أعمال من جهة) وظروف خاصة من جهة أخرى. وقد أوفدني إليك الجنرال لأرجوك أن تعدل عما كنت تنويه أمس. إن كل ما تخيلته شيء ظريف طبعاً. ولكن الجنرال يرجوني أن ألفت نظرك إلى أنك لن تصل إلى أية نتيجة. وأكثر من ذلك. . أ الباروث لن يستقبلك وهو يملك على كل حال جميع الوسائل التي تمكنه من تجنب ما قد يجيئه منك من إزعاجات. اعترف بهذا أنت نفسك. ففيم العناد إذن؟ والجنرال يعدك بأن يستردك متى سمحت الظروف بذلك) ويتعهد بأن يحتفظ لك حتى ذلك الحين بمرتباتك ألا ترى أن العرض مربح؟ فأجبته بلهجة هادئة كل الهدوء أنه مخطىء قليلاء وأن البارون قد لا يطردني) بل سيصغي إلى كلامي. ورجوته أن يعترف بأنه إنما جاء إليَ الآن ليعرف ما عساني فاعلاً على وجه الدقة! 7 1\_طماع1© :ع11اس1

Page#78

قال: - ما دام الجنرال مهتماً بالأمر هذا الاهتمام فإنه ليسرّه طبعاً أن يعرف ما سأقوم به؛ فذلك أمر طبيعي. فأخذت أشرح. وأخذ يصغيء مسترخياً على مقعده) مائلاً برأسه قليلاً نحوي) وفي عينيه شعاع من استهزاء لا يخفيه؛ أي كان يعاملني بكثير من الاستعلاء. حاولت ما وسعني ذلك أن أتظاهر بأنني أعد هذه القضية على جانب عظيم من الخطورة. قلت إن البارون) حين شكاني إلى الجنرال كما لو كنت خادم هذا الجنرال) قد خفض من شأني أولاً. وإنهء ثانياء قد عاملني معاملة شخص لا يمكن أن يكون مسؤولاً عن أفعاله) بل ولا يستحق أن يخاطب. فلقد ألحقت بي إذن إهانة كبيرة. ومع ذلك) فإنني) نظراً إلى فارق السن والمركز الاجتماعيء؛ إلخ) إلخ (لم أكد أستطيع أن أحبس نفسي عن الضحك حين قلت هذه الجملة الأخيرة))؛ لن أندفع إلى ارتكاب عمل طائش جديدء أي أنني لن أطالب البارون صراحة) بل ولا أن أعرض عليه أن يصلح ما أفسد. ومهما يكن من أمر فأنا أرى أن من حقي تماماً أن أعتذر إليه (وأن أعتذر إلى البارونة خاصة)) لا سيما وأنني أشعر حقاً في هذه الأيام الأخيرة بأنني مريض مهدم النفس غريب الأطوار إن صح التعبيرء إلخ) إلخ. غير أن البارون نفسهء إذ قام بذلك العمل الذي ألحق بي الإهانة) وأصرٌ على الجنرال أن يفصلني من عملي) قد وضعني في موقف أصبح يستحيل علي معه أن أعتذر إليه وأن أعتذر إلى البارونة) لأنني لو فعلت لظن هو ولظنت البارونة ولظن جميع الناس) بدون أي شكء أنني إنما جئت أعتذر إليه خوفاً وطمعاً في العودة إلى عملي. وينتج عن هذا كله أنني أجد نفسي الآن مضطراً أن أرجو البارون أن يعتذر هو إليّ أولآء 78 1\_طماع © :عاكاس1

Page#79

وذلك بعبارات معتدلة إلى أيعد حدود الاعتدال) كأن يقول مثلاً إنه لم يشأ أبداً أن يهينني. فإذا وافق البارون على طلبي هذاء يكون قد أطلق يدي من عقالهماء فاعتذرت إليه صادقاً من أعماق القلب. وختمت كلامي قائلاً: إن كل ما أطلبه هو أن يطلق البارون يديّ من عقالهما. هه... يا لها من حساسية! ويا لها من حذاقات! لماذا تعتذر؟ هيا اعترف) يا مسيو...) يا مسيو... أنك دبرت هذه المكيدة كلها لإزعاج الجنرال... وربما كانت لك أهداف شخصية يا أليس كذلك؟ ‎١‏ - ولكن اسمح لي يا عزيز المركيزء فيم يعنيك هذا الأمر؟ - وفيم يضير الجنرال هذا؟ لقد قال لي أمس أنه مضطر أن يظهر هنا إنما يكمن ظرف خاص. .. كذلك أجاب دي جريو بلهجة ضارعة متوسلة تشف شيئاً فشيئاً عن مزيد من الغضب. أنت تعرف مدموازيل دي كومانج؟ - تقصد مدموازيل بلانش؟ - نعمء مدموازيل بلانش دي كومانج. .. والسيدة والدتها. . . إنك تسلم أنت نفسك أن الجترال. .. أعني. . . أن الجنرال مغرم الفضائح والمشاكل في هذه المناسبة! . . . - لست أرى لا فضائح ولا مشاكل فيما يتعلق بهذا الزواج. - ولكن البارون رجل شديد الغضب سريع التأثر: طبع بروسي) كما تعلم؛؟ ولسوف يثير الأمر شجاراً كما يثيره ألماني. . . 79 1\_طماع © :عاكاس1

Page#80

- سيكون هذا شأني أناء لا شأنكم أنتم) لأنني لست بعد الآن واحداً من المنزل (كنت أحاول أن أتغابى إلى أقصى حد ممكن). ولكن اسمح لي: لقد تقرر الأمر على هذا النحو: مدموازيل بلانش تتزوج الجنرال. فماذا ينتظرون إذن؟ أقصد: لماذا يخفون الأمرء لماذا يخفونه عنا على الأقل) نحن أهل البيت؟ - لا أستطيع أن... على كل حال... ليس هناك شيء حاسم بعد .. مع ذلك... أنت تعلم أنهم ينتظرون أخباراً من روسيا. يجب أن يرتب الجنرال أموره. .. ها... ها... الجدة العريزة. . . رشقني دي جريو بنظرة كارهة مبغضة ) وقال يقاطعني: - إنني أعتمد اعتماداً قوياً على رهافتك التي فطرت عليهاء أعتمد الأسرة التي استُقبلت فيها استقبال قريب معزّز مكرّم. . . اسمح لي... لقد طردوني. إنك تذهب الآن إلى أن المسألة مسألة شكلء ولكن لا بد أن تسلم معي بأنه إذا قال لك أحد الناس: (أنا لا أريد طبعاً أن أشدك من أذنيك. ولكن اسمح لي أن أشدك من أذنيك مراعاة للشكل) لا بد أن تسلم معي بأن الأمرين واحد. - إذا كان الأمر كذلك؛ إذا كان لا يجدي فيك أي رجاءء فدعني ولسوف تُطرد في هذا اليوم نفسه... أمر عجيب. .. أفتى غرّ مثئلك يريد أن يطلب للنزال شخصية في مثل منزلة البارون؟!. .. ثم تظن أنهم سيدعونك وشأنك! ثق تمام الثقة أن أحداً لا يخشاك هنا! ولئن 80 1\_طماع © :عاكاس1

Page#81

قدمت إليك ذلك الرجاء) لقد فعلت هذا من تلقاء نفسى) لأنك أقلقت الجنرال. كيف تستطيع أن تتصور أن البارون لن يطردك بمجرد أمر بسيط يلقيه إلى خادم؟ قلت هادثاً كل الهدوء: - ولكنني لن أذهب إلى البارون بنفسي. أنت مخطىء يا مسيو دي جريو. إن الأمور ستجري على غير هذا النحو الذي تصوره خيالك. سوف أذهب توا إلى مستر آستلي أرجوه أن يكون وسيطيء أي بإيجاز) أن يكون معاوني. إن هذا الرجل يشعر بمحبة نحوي. فلن يرفض طلبي حتماً. سيمضي إلى البارون) وسيستقبله البارون. لئن كنت أنا معلماًء ولئن ظهرت بمظهر المرؤوس الخاضع لغيره العاجز عن الدفاع عن نفسه. فإن مستر آستلي هو ابن أخ لورد من اللوردات) لورد حقيقي؛ جميع الناس هنا يعرفون ذلك؟ إنه اللورد ييبروك) وهو الموجود هنا الآن. ثق أن البارون سيكون مهذباً مع مستر آستلي) وأنه سيصغي إليه. وإذا لم يصغ إليهء فإن مستر آستلي سيعد ذلك إهانة لحقت بشخصه هو (وأنت تعرف مدى عناد الانجليز)؛ فيرسل أحد أصدقائه إلى البارون) وإن له لكثيراً من الأصدقاء. هل ترى الآن كيف أن الأمر قد ينحل على غير الصورة التي تخيلتها؟ جزع الفرنسي حقاً. والواقع أن هذا كله كان قريباً من الحقيقة؛ وكان يبدو علي إذن أنني قادر فعلاً على أن أقوم بفضيحة. - أرجوك. . . دعك من كل هذا! لكأنه يسرك أن تثير فضيحة! لكأنك لا تنشد إصلاح ما فسد من الأمرء بل تنشد فضيحة. قلت لك إن هذا كله قد يصبح مثار تسلية وتفكهء ولعلك محقق هذا الهدف. .. ولكن... 7 581 1\_طماع © :عاكاس1

Page#82

هنا لاحظ أنني أنهض وأتناول قبعتي فختم يقول: أن أنتظر الجواب. قال هذا وسلّ من جيبه ورقة صغيرة مطوية مختومة) فمدها إلي. كانت الورقة من ياولين) كتبت فيها بخط يدها ما يلي: (اسمعت أنك تنوي متابعة هذه القصة. أنت زعلان) وقد بدأت تلعب لعب الصبية. غير أن هناك ظروفاً خاصةء قد أشرحها للك يوماء فرجائي إليك أن تتوقف وأ ن تعقل) ما أسخف هذا كله! أنا في حاجة إليكء. وقد وعدتني بأن تطيعني. هل تتذكر جبل (شلانجنبرج؟ أطلب إليك أن تكون طيُعاًء بل آمرك أمراً إذا لزم.) المخلصة لك ب حاشية: (إذا كنت حائقاً على بسبب ما حدث أمس) فسامحني). رأيت كل شيء يرقص وأنا أقرأ هذه الأسطر. اصفرت شفتاي وأخذت أرتعش . تظاهر الفرنسي الملعون بقلة الانتباه) وحوّل عينيه عني كمن لا يريد أن يرى اضطرابي. كنت أؤثر لو ينفجر ضاحكاً حسن. قل للآنسة أن تهدأ وأن تطيب بالاً. ثم ما لبئت أن أردفت أقول فجأة: - ولكن اسمح لي... لماذا انتظرت هذا الانتظار كله حتى تعطيني هذه الورقة؟ كان في وسعك أن تبدأ بإعطائي هذه الورقة) بدلاً من قول تلك السخافات كلهاء إذا كنت قد جئت للقيام بهذه المهمة. - كنت أريد. . . على كل حال... إن هذا الأمر كله يبلغ من الغرابة أن عليك أن تعذر ما رأبته من نفاذ صبري. . . وهو طبيعي . 852 1\_طماع © :سا1

Page#83

لقد كنت أريد أن أعرف) بأقصى سرعة) من فمك نفسه؛, ما كنت تضمر من نيات. وأنا أجهل على كل حال ما تتضمنه هذه الورقة) فقدرت أن في الوقت متسعاً لإعطائك إياها. - فهمت الآن. كل ما في الأمر أنهم أمروك بأن لا تعطيني الورقة إلا عند الضرورة؛ وأن لا تستعملها إذا أنت استطعت أن تدبر المسألة قال وهو يصطنع أقصى التحفظء وينظر إليّ نظرة غريبة: - ريما. .. تناولت قبعتي؛ وحياني بحركة من رأسه؛ وخرج. يُخْيّل إليَ أنني رأيت على شفتيه ابتسامة ساخرة. وكيف يمكن أن لا يكون الأمر كذلك؟ دندنت وأنا أهبط السلم: ما يزال بيننا حساب يا أيها المتطرف... ولسوف نعرف من كنت ما أزال عاجزاً عن جمع شتات فكري. كان يتراءى لي أنني كمن تلقى على رأسه ضربة مطرقة. ولكن الهواء النقي الطري أحسن إلي . فكرتان واضحتان: الأولى أن تسلية صبيانية) وتهديدات خيالية قالها أمس في الهواء فتى غرّء قد أثارت ذعراً شاملاً؛ والثانية: ما أعظم ما لهذا الفرنسى إذن من نفوذ على باولين! كلمة واحدة منه تحملها على أن تفعل ما هو في حاجة إليه) فتكتب رسالة) وتمضي إلى حد أن ترجوني. صحيح أن العلاقات بينهما كانت دائماً لغزا في نظري. ولكنني لاحظت في الأيام الأخيرة أنها أصبحت تنفر منه نفوراً قويآء 83 1\_طماع © :سا1

Page#84

بل تحتقره احتقاراً. أما هو فكان لا يلتفت إليها ولا يلقي عليها نظرة) وكل ما في الأمر أنه كان فظأً معها. وكنت أنا ألاحظ ذلك. حتى لقد أقرت لى ياولين باشمئزازها منهء وأفلتت من لسانها اعترافات بليغة الدلالة إلى أقصى الحدود. .. فهو إذن قابض عليها 3 54 1\_طماع © :161 1انلا 1

Page#85

الفصل الثامن 8 (النزهة): كما يقال هناء أي في الطريق الذي تصطف على صاح إذ لمحني يقول: - أوه! أوه! أنا ذاهب إليكء) وأنت آت إلئّ! إذن فقد تركت - قل لي أولاً كيف اطلعت على هذا كله. أجميع الناس على علم إذن بالأمر؟ - لا... ليس جميع الناس. .. فالمسألة لا تستحق... وما من - فكيف تعلم بها إذن؟ - أعلم بهاء أو قل لقد أتيح لي أن أعلم بها عرضاً. إلى أين أنت الآن ذاهب؟ إنى أحمل لك شعوراً بالصداقة) لذلك كنت ذاهباً قلت وقد تملكتني الدهشة من اطلاعه على المسألة: - أنت رجل شهم يا مستر آستلي؛ وإذ إنني لما أشرب قهوتي 85 1\_طماع © :عاكاس1

Page#86

بعدء وإذ إنك لم تتناول في أغلب الظن إفطاركء فهيا بئا إلى الكازينو. وسندخن هناكء فأقصٌ عليك كل شيء... وربما رويبت كان المقهى على مسافة مائة متر... شربناء وجلسنا جلسة مريحة) وأشعلت أنا سيجارة. وكان مستر آستلي لا يدخن) وها هو ذا يثبت نظره فيّ متهيئاً للإصغاء إلى حديثي. بدأت الكلام بقولي: - لن أسافر إلى أي مكان. سأبقى هنا. كذلك قال مستر آستلى بلهجة التحبيذ والتأييد. حين كنت ذاهباً إلى مستر آستلي لم يكن في نيتي أبداً أن أحدثه أكن طوال تلك الأيام الأخيرة قد نبست بكلمة واحدة في هذا الشأن. ثم إنه إنسان خجول جداً. وكنت قد لاحظت الأثر القوي الذي تحدثه باولين في نفسهء ولكنه لم ينطق باسمها في يوم من الأيام. الملحاحء شبت بي) لا أدري لماذاء) رغبة عنيفة في أن أروي له كل شيء؛ أي أن أحدثه عن حبي كله بجميع ما يشتمل عليه من ألوان. فإذا أنا أتكلم نصف ساعة تماماء وإذا أنا أحس من ذلك بارتياح عظيم: تلك أول مرة أفتح فيها نفسي لأحد في هذا الأمر. وإذ لاحظت أنه كان يضطرب حين أضل من حديثي إلى فقرات حارة) فقد زدت حرارة قصتي عامداً. شيء واحد أندم عليه: لعلني أسرفت في الكلام على الفرنسي . كان مستر آستلي يصغي إليّ جالساً أمامي) ساكناً لا ينطق بكلمة 86 1\_طماع © :عاكاس1

Page#87

الفرنسي) استوقفني فجأة وسألني بلهجة قاسية هل يحق لي أن أذكر هذا الظرف الثانوي. لقد كان لمستر آستلي دائماً طريقة عجيبة جداً في إلقاء الأسئلة. قلت: - إنك على حق. أخشى أن لا يكون لي هذا الحق. - عن هذا المركيز وعن الآنسة باولين لا تستطيع أن تقول شيئاً معيناً دقيقاً إلا على سبيل الافتراض؟ - نعمء لا شيء معيئاً دقيقاً. .. هذا أكيد. - فإذا كان الأمر كذلك فقد أخطأت لا حين حدئتني في هذا فقاطعته أقول وقد شعرت بدهشة بيني وبين نفسي: ثم قصصت عليه قصة الأمس بحذافيرها: نزوة باولين) مغامرتي مع البارون) طردي من عمليء ما أظهره الجنرال من جبن خارق؛ وحكيت له أخيراً زيارة الفرنسي تفصيلاًء وختمت القصة بإظهاره على الورقة التي أرسلتها إليّ ياولين. ثم سألته: - فماذا تستنتج من ذلك؟ إنما جئت إليك لأسألك رأيك. أما أنا فلا مانع عندي من قتل هذا الفرنسي الصغير المتطرف). ولعلني فاعل ذلك. قال مستر آستلي : - وأنا أيضاً. أما عن الآنسة باولين... فأنت تعلم أننا نعقد صلات حتى بأناس نكرههمء إذا قادتنا الضرورة إلى ذلك. فقد يكون هنالك صلات تجهلهاء صلات لها علاقة بظروف ثانوية طارئة. فتستطيع أن تطمئن نفسك من هذه الناحية. .. بعض الطمأنينة طبعاً. .. وأما عن نزوتها أمس فهي غريبة واضحة الغرابة) لا لأنها 57 1\_طماع © :سا1

Page#88

أرادت أن تتخلص منك بإرسالك إلى عصا البارون (وإني لأستغرب حقاً أنه لم يستعمل العصا وقد كانت في يده) بل لأن نزوة كهذه من فتاة مرموقة مثلها... هي نزوة تعوزها الحشمة.. . وأغلب الظن أنها ما كانت تقدّر أنك تنقُذ هذه الرغبة الخبيثة حرفاً حرفاً. . . هتفت فجأة أقول وأنا أتفرس في مستر آستلي: - هل تعرف؟ أحس أنك قد سمعت هذه القصة كلها. هل تدري ممن؟ من الآنسة باولين نفسها؟! فنظر إلى مستر آستلي مندهشاً. ثم سرعان ما استرد هدوءه فقال: - عيناك تلتمعانء وإني لأرى فيهما الاشتباه. وليس لك أن تدع لشبهاتك أن تظهر. إنني لا أعترف لك بهذا الحق) وأرفض رفضاً قاطعاً جازماً أن أجيب عن سؤالك . - طيب. دعنا من هذا. وما هو بالأمر المفيد على كل حال. .. هكذا صحت وقد أخذني اضطراب شديد) ولم أفهم كيف خطر ببالي هذا. ثم متى وأين وكيف كان يمكن أن تكون باولين اختارت الأخيرة كان مستر آستلي قد غاب عن عيني تماماً. أما باولين فلقد صلاتي بها. بالعكس: كان كل شيء أقرب إلى الخيال) غريباًء قلت وأنا أكاد ألهث: ‎١‏ -طيب. طيب. لقد خرجت عن الموضوع) وفقدت تسلسل الكلام. . . هناك أشياء أخرى كثيرة لا أقدر الآن أن أفكر فيها. . . ومهما 58 1\_طماع © :عاكاس1

Page#89

يكن من أمرء فأنت إنسان شهم : وسأسألك الآن لا نصحاًء بل رأيا . وصمتٌ لحظة ثم أردفت أقول: - ما السبب الذي جعل الجنرال يخاف ذلك الخوف كلهء فى نظرك؟ لماذا جعلوا من ذلك العمل الصبياني المضحك الذي عملته مأساة خطيرة) حتى بلغوا من ذلك أن دي جريو نفسه وجد أنه لا بد أن يتدخل في الأمر (وهو لا يتدخل إلا في أخطر الظروف شأناً)) فجاء إليّ (نعم!)) وأخذ يرجوني) ويتضرع إليّ) هوء دي جريو!... لاحظ أخيراً أنه جاءني قبيل الساعة التاسعةء وكانت ورقة الآنسة ياولين معه. فمتى كتبت تلك الورقة؟ للمرء أن يسأل نفسه هذا السؤال. أتراهم أيقظوا الآنسة باولين من نومها خصيصاً لهذا الغرض؟ إنني) عدا كوني أستنتج من ذلك أن الآنسة ياولين مستعبّدة له (ما دامت تسألني أنا الصفح والمغفرة)) أتساءل: ما شأنها هي في هذا الأمر كله؟ ما معنى شدة اهتمامها به؟ لماذا خافوا من أول بارون يظهر لهم؟ وما عسى أن يكون لهذا كله من علاقة بزواج الجنرال ومدموازيل بلانش؟ هم يقولون إن على الجنرال أن يظهر بمظهر خاص) بسبب هذا الظرف؛ ألا إنه لمظهر خاص أكثر مما يجب. ألا توافقني على ذلك؟ ما رأيك أنت؟ إني لأقرأ في عينيك أنك هنا أيضاً تعرف من الأمر أكثر مما أعرف. أبتسم مستر آستلي وهزٌّ رأسه, ثم قال: - نعم. أعتقد فعلاً أنني) في هذا الموضوع أيضاًء أعرف أكثر كثيراً مما تعرف. إن القضية كلها لا تتعلق إلا بمدموازيل بلانش) وأنا على يقين بأن هذه هي الحقيقة المطلّقة. صحت أقول نافد الصبر (وقد أمّلت فجأة أن أعرف شيئاً عن 59 1\_طماع1© :ع11اس1

Page#90

- ما شأن مدموازيل بلانش هنا؟ - أعتقد أن للآنسة بلانش الآن مصلحة خاصة في أن تتحاشى) بأية طريقة) أي لقاء مع البارون أو البارونة) فكيف إذا كان لقاء مزعجاًء وكيف إذا كان لقاء فاضحاً؟ دعك من هذا... - إن الآنسة بلانش كانت هنا في رولتنبرج) منذ سنتين) أثناء الموسم. واتفق أن كنت أنا أيضاً هنا. إن اسمها حينذاك لم يكن مدموازيل دي كومنج) ولم يكن لمدام/ أرملة كومنج وجود في ذلك الوقت. ولا كان دي جريو هناك أيضاً. وأنا مقتنع في قرارة نفسي لا بأنهم ليسوا أقرباء فحسبء بل بأنهم لم يتعارفوا إلا منذ وقت قصير. ليس دي جريو مركيزاً إلا من عهد قريب: هناك ظرف معين نفسه دي جريو إلا منذ فترة. أعرف هنا شخصاً قابله باسم آخر. - ومع ذلك فإن له حلقة متينة من العلاقات. أوه... هذا ممكن جداً. وإن مدموازيل بلانش نفسها يمكن أن تكون لها علاقات. ولكن مدموازيل بلانش هذه قد استدعتها الشرطة منذ سنتين) بناء على شكايات من هذه البارونة نفسهاء وطلبت إليها مغادرة البلدء فغادرتها. - كيف هذا؟ لقد ظهرت أول الأمر هنا في صحبة رجل إيطالي) أمير ذي اسم تاريخي) باربيني. .. أو شيء من هذا القبيل) رجل تغطيه الخواتم ويغطيه الماس. كانا يتنزهان في عربة رائعة تخلب الألباب. وكانت مدموازيل بلانش تلعب "ثلاثين وأربعين): ربحت في أول الأمر) ثم دار الحظ على ما أذكر؛ حتى لقد خسرت في ذات مساء مبلغاً 590 1\_طماع © :عاكاس1

Page#91

خرافياً. ولكن الأنكى من هذا أن أميرها غاب في أحد الأصباح لا يدري أحد أين... وغابت الخيول) وغابت المركبة الفخمة) وغاب مدموازيل زلما (استحال أسم دي باربيني إلى اسم مدموازيل زلما فجأة) في ذروة الألم واليأس) فهي تنتحب وتملا الفندق نعاقاً وعياطاً) وتأخذ تمزق ثوبها وهي في سورة الحنق والغيظ. وكان أيامئذ في الفندق كونت بولوني (إن جميع البولونيين كونتات حين يكونون على سفر)) فلما رأى مدموازيل زلما تمزق ثيابها وتخدش وجهها بيديها الجميلتين المعطرتين) كما تفعل قطة) أحدثئت في نفسه بعض التأثئير) فجرى بينهما حديث) فما جاء موعد العشاء إلا وكانت زلما قد تأست عن حزنها؛ حتى إذا كان المساء ظهرت في الكازينو متأبطة ذراع الكونت البولوني؛ فكانت تضحك ضحكاً عالياً على عادتهاء وأصبحت أكثر انطلاقاً على السجية في حركاتهاء فسرعان ما أصبحت في عداد تلك الزمرة من السيدات اللواتي اعتدن لعب الروليت) فإذا أرادت إحداهن أن تشق لنفسها طريقاً إلى مائدة القمار رأيتها تدفع أحد اللاعبين من منكبه لتتخذ لها مكاناً. هذه أناقة خاصة من أناقات السيدات هناء لا بد أنك لاحظتها. - نعم لاحظتها. والأمر لا يستحق ذلك. إن الناس يحتملوهن هنا على مضض) أو يحتملون على الأقل أولئك اللواتي يبدلن أوراقاً نقدية من ذات الألف فرنك. حتى إذا انقطعن عن تبديل الأوراق النقدية ذات الألف فرنك) أخذوا يرجونهن أن يبتعدن. وقد استمرت مدموازيل زلما تبدل أوراقاً نقدية من ذات الألف فرنك) ولكن حظها في القمار ساء مزيداً من السوء. لاحظ أن أمثال هاته السيدات كثيراً ما يحالفهن 91 1\_طماع © :عاكاس1

Page#92

الحظ في اللعب) فإنهن يملكن السيطرة على أنفسهن. على أن الأمير. فجاءت زلما تقامر في المساء وحيدة) لم يتقدم إليها هذه المرة أحد بذراعه تتأبطها. فما انقضى يومان حتى كانت قد خسرت كل ما كانت تملك) ولما قامرت بآخر ليرة ذهبية فخسرتهاء نظرت حولها فرأت البارون فورمرهلم يتأملها بانتباه وقد ظهر في وجهه استياء عميق؛ لكن مدموازيل زلما لم تميز الاستياء) فاتجهت إلى البارون بابتسامة لا لبس فيهاء راجية منه أن يضع من أجلها عشرة ليرات ذهبية على الأحمر. وبعد ذلك) على أثر شكاية قدمتها البارونة) طلب من مدموازيل زلما أن لا تظهر بعد ذلك اليوم في الكازينو. فإذا كان يدهشك أنني أعرف جميع هذه التفاصيل التافهة. فاعلم أنني اطلعت عليها من مستر فيدرء وهو قريب من أقربائي اصطحب مدموازيل زلما في ذلك المساء نفسه إلى (سبا) بمركبته. فافهم الموضوع إذن: إذا كانت مدموازيل بلانش تريد أن تصبح زوجة جنرال فأغلب الظن أنها تريد ذلك حتى لا يطلب إليها بعد الآن طلبٌ كذلك الطلب. لقد أصبحت لا تقامر) ولكن ذلك يرجع إلى أنها تملك الآن) كما تدل على هذا جميع القرائن) رأس مال تقرضه للمقامرين هنا بفائدة. ذلك أقرب إلى العقل وأدنى إلى الحكمة. وفي ظني أن الجنرال المسكين واحد من المدينين لها. ولعل دي جريو يدين لها بمال أيضاً... اللهم إلا أن يكون شريكها. فافهم إذن لماذا لا تتمنى مدموازيل بلانش) على الأقل إلى أن يتم الزواج) أن تلفت إليها انتباه البارون والبارونة. إن الأمر أمر فضيحة يمكن أن تسيء إليها أكثر مما يمكن أن يسيء إليها أي شيء آخر في الظرف الذي هي فيه الآن. إنك ملحق بأسرتهمء ويمكن 592 1\_طماع © :سا1

Page#93

لأفعالك أن تثير فضيحة) لا سيما وأنها تظهر كل يوم أمام الناس متأبطة ذراع الجنرال أو ذراع الآنسة باولين. فهل فهمت الآن؟ كلا... لم أفهم... بهذا صحت وأنا أضرب المنضدة بيدي ضربة قوية جعلت خادم المقهى يهرع مذعوراً. وأردفت أقول وأنا في سورة شديدة من الغيظ والحنق: - فإذا كنت) يا مستر آستلي) تعرف حق المعرفة من هي مدموازيل بلانش دي كومانج) فكيف لم تحذرناء لا أناء ولا الجنرال) ولا الآنسة باولين خاصة) التي تظهر هنا في الكازينو على مرأى من جميع الناس متأبطة ذراع مدموازيل بلانش؟ أهذا ممكن؟ فأجاب مستر آستلي هادثاً: - لم يكن في وسعي أن أحذركم) إذ لم يكن في وسعكم أن تفعلوا شيئاً. ثم مم أحذركم؟ لعل الجنرال يعرف من أمر مدموازيل بلانش أكثر مما أعرف) ثم لا يمنعه ذلك من أن يتنزه معها ومع الآنسة باولين. إن الجنرال إنسان سيىء الحظ. لقد رأيت مدموازيل بلانش بالأمس تعدو على حصان رائع في صحبة مسيو دي جريو والأمير الروسي القصيرء ورأيت الجنرال يتبعهم على فرس أشهب. كان قد شكا في الصباح من ألم في ساقيه؛ وها هو ذا الآن يمنطي صهوة الفرس مع ذلك. فخطر ببالي في تلك اللحظة على حين فجأة أن الجنرال رجل ضاع إلى الأبد) أضف إلى ذلك أن هذا الأمر كله لا يعنيني في شيء) وأنا لم شرف بمعرفة الآنسة باولين إلا منذ فترة قصيرة . صمت مستر آستلي؛ ولكنه لم يلبث أن أردف يقول فجأة: - ثم إنني قد سبق أن أعلنت لك أنني لا أخوّلك حق إلقاء بعض الأسئلة علىٌ) رغم ما أحمله لك من صداقة مخلصة. . 93 1\_طماع © :سا1

Page#94

- يكفيني هذا. إنني أرى الآن رؤية واضحة أن الآنسة باولين تعرف هي أيضاً ما تريد أن تعرفه عن مدموازيل بلانش) لكنها لا تتنزه معها. ثق أنه ما من نفوذ آخر كان يمكن أن يجبرها على التنزه مع مدموازيل بلانش) وعلى أن تضرع إليَ في رسالة تكتبها بخط يدها أن لا أمس البارون. هنالك إنما تدخّل هذا النفوذ الذي ينحني أمامه كل شيء! ومع ذلكء. فإنها هي نفسها قذفتني نحو البارون! عجيب!... أمور لا يفهم المرء منها شيئاً. . . - أنت تنسى أولاً أن هذه المدموازيل دي كومانج هي خطيبة الجنرال) وتنسى ثانياً أن للآنسة باولين) بنت زوجة الجنرال) أخاً مهمّلان إهمالاً تامء ولا شك أنهما مدمّرَيْن. هجراً كاملاً؛؟ أما البقاء ففيه دفاع عن مصالحهماء وقد يكون فيه إنقاذ ذلك... مع ذلك! أوه!. فهمت لماذا يهتمون جميعاً كل هذا الاهتمام بالجدة الآن! - بمن؟ - بتلك العجوز الخرفة المقيمة بموسكو والتي لم تقرر أن تموت بعد. إنهم يتنظرون البرقية التي تبلغهم نبأ وفاتها. - طبعاً. الاهتمام كله مُركّز عليها. إن كل شيء متوقف على الوصية. فمتى فتحت الوصية تزوج الجنرال) وأصبحت باولين مطلّقة اليدين) واستطاع دي جرير... 94 1\_طماع © :عاكاس1

Page#95

ماذا يستطيع دي جريو؟ - أن يسترد قروضه. ذلك كل ما ينتظره. - أتعتقد أن هذا هو كل ما ينتظره؟ لا أعرف شيئاً غير ذلك . قلت أكرر غاضباً حانقاً: ْ أنا أعرف) أنا أعرف. . . إنه يننظر الميراث أيضاًء لأن باولين ستحظى بمهر) فمتى حصلت عليه؛ ارتمت على عنقه. جميع النساء سواء. أكثرهن كبرياء يصبحن أحطهن عبودية! إن باولين لا تستطيع أن تحب إلا حباً قوياً) هذا كل شيء! ذلك هو رأيي! أنظر إليهاء خاصة حين تكون جالسة وحدها تفكر: إنها تبدو كمن كتب عليه النحس) وكتبت عليه اللعنة) وكتب عليه أن يقاسي جميع مكاره (كذلك صحت فجأة)... من ذا يصرخ؟ (لقد سمعت من يصرخ باسمي بالروسية: ألكسي إيفانوقتش. إنه صوت امرأة). إسمع إسمع! كنا في تلك اللحظة نقترب من فندقنا. لقد تركنا المقهى منذ مدة طويلة) دون أن نلاحظ ذلك تقريباً. قال مستر آستلي وهو يمد إلى يده: - سمعت صوت امرأة تصيح) ولكنني لا أعرف من كانت تنادي . كانت تتكلم بالروسية. والآن أرى من أين يأتي الصوت: إنها تلك المرأة) الجالسة على مقعد فخم حمله الآن هؤلاء الخدم الكثر إلى الشرفة. وها هم أولاء يحملون وراءها حقائب. إذن لقد وصل القطار. 95 1\_طماع © :سا1

Page#96

- ولكن لماذا تناديني؟ ها هي ذي تستأنف المناداة: أنظر! إنها تومىء إلينا. قال مستر آستلي : - نعم) أرى. - ألكسي إيفانوقتش! ألكسي إيقانوقتش! أوه! رباه ما أغباه! كانت هذه الصيحات تصل إلينا من شرفة الفندق. فركضنا حتى درجات المدخل تقريباً. فما أن اجترت فسحة السلّم حتى تهدلت ذراعاي من شدة الذهول) وحتى تسمّرت قدماي في الأرض لا تتحركان. ‎١‏ 56 1\_طماع © :161 1انلا 1

Page#97

الفصل التاسع الفسحة العليا من السلّم العريض الذي نقلت إليه قاعدةٌ يحيط بها الخدام والخادمات) ويحف بها ذلك العدد الذي لا يحصى من موظفي الفندق الذين يبالغون في إظهار آيات الاحترام بحضور مدير الفندق نفسه الذي جاء يستقبل هذه الزائرة ذات المكانة الرفيعة والمنزلة العالية)) التي تنزل الفندق مع هذه الجلبة كلها ومع ناسها هؤلاء كلهم ومع هذه الأكوام الكبيرة من الحقائب والصناديق... كانت تتربع على عرشها. . . الجدة! نعم إنها بعينها آنطونين فاسيلقنا تراسقتش) الرهيبة) الثرية) البالغة من العمر خمسة وسبعين عاماً) صاحبة الأملاك) السيدة العظيمة من سيدات موسكوء مدار تلك البرقيات الذاهبة الآيبة) الميتة التي ما تزال حية) تنبجس الآن بيننا بشخصها دون سابق إنذار. لقد فقدت القدرة على استعمال رجليهاء فهي تُحمل دائماً على مقعدء منذ خمس سنين) ولكنها ما تزال على عهدي بها نشيطة يقظى حادة اللسان معجبة بنفسها منتصبة الجذع عالية الصوت حين تتكلم) تصيح بلهجة الأمرء وتقرع جميع الناسء أي على عهدي بها تماماً حين 597 1\_طماع © :عاكاس1

Page#98

منزل الجنرال. ولقد كان طبيعياً أن أقف أمامها متجمداً من الدهشة. كانت هي قد لمحتني حينما كانوا يصعدون بها على مقعدها درجات السلّم. فعرفتني فنادتني باسمي الصغير ثم باسمي الأبوي) وكانت قد حفظتهما إلى الأبد بما عُرفت به من قوة الذاكرة. مر في خاطري هذا السؤال: (امرأة كهذه يأملون أن يروها في القبر ويعرّلون على ميراثها؟ ألا إنها لسوف تدفئنا نحن وجميع من في هذا الفندق!! رباه رباه ما عسى يحدث للآخرين الآن) ما عسى يفعل الجنرال! لسوف تقلب البيت فتجعل عاليه سافله!). وتابعت الجدة تصرخ قائلة : هيه يا عزيزي. . . ما الذي دهاك حتى جمدت في مكانك هذا الجمود محملقاً؟ ألا تعرف كيف تحيبي؟ ألا تعرف كيف تقول صباح الخير؟ ألا تعرف؟ أم تراك أشد كبرياء وأشد زهواً من أن تفعل؟ أم تراك لم تعرفني؟ هل تسمع يا يوتايتش (كذلك تابعت كلامها وهي تلتفت نحو عجوز قصير أبيض الشعرء يرتدي لباساً رسمياً مع ربطة عنق بيضاءء ورأسه أصلع بلون الوردء إنه رئيس خدمها الذي يصحبها في الأسفار) هل تسمع يا بوتايتش) إنه لم يتعرفني! لقد دفنوني وانتهوا! كانوا يرسلون البرقية تلو البرقية يسألون: (هل ماتت؟ أما ماتت بعد؟). أنا أعرف كل شيء. وها أنت ذا ترى. إن الدم ما يزال يجري في عروقي! - عفوك يا يا أنطونين فاسيليقناء فيم عساني أتمنى لك سوءاً. .. كل ما في الأمر أنني دُهشت... وكيف لا تصيبني الدهشة؟ إن وصولك أمر لا يُتوقع... - وما الذي يدهشك؟... ركبت القطار وسافرت. وكان القطار 98 1\_طماع © :سا1

Page#99

مريحاأًء فلا اهتزاز ولا ارتجاج. هل كنت في نزهة؟ - نعم قمت بجولة في الكازينو. - يرتاح المرء هنا. الجو دافىء والأشجار رائعة! هذا ما أحبه! هل جماعتنا هناك؟ الجنرال؟ - نعم هو في جناحه. إنهم يلتقون جميعاً هناك في هذه الساعة. -ها. . . هنا أيضاً. . . يضبطون المواقيت ويراعون الأصول ويضعون القواعد. قيل لي إن لهم مركبة) هؤلاء السادة الروس! إنهم بعد أن أتلفوا ثروتهم) انسلوا إلى خارج البلاد. هل براسكوقيا معهم أيضاً؟ - نعمء باولين ألكسندروقنا هنا أيضاً؟ - والفرنسي القصير؟ ولكنني سأراهم جميعاً بنفسي. ألكسي إيقانوفتش) قدني إلى الجنرال. وأنت) أأنت هنا بخير؟ - لا بأس. . . يا أنطونين قاسيليقنا. - أنت يا بوتايتش) قل لهذا الخادم الثقيل أن ينزلوني شقة مريحة) جميلة) في الطابق الأول؛ وليحملوا إليها متاعي على الفور. ولكن لماذا يسارعون جميعاً ليحملوني؟ ما الذي يدفعهم إلى هذه العجلة؟ يا لها من مذلة... والتفتت إلى مرة أخرى فسألتني: من هذا الرجل الذي معك؟ - إنه مستر آستلي؟ - من هو مستر آستلي؟ مسافر من المسافرين أصبح لي نعم الصديق. وهو يعرف الجنرال أيضاً. 99 1\_طماع © :عاكاس1

Page#100

- هو إنجليزي. لذلك يتفرس فيّ دون أن يفتح فاه. على كل حالء أنا أحب الإنجليز. طيب انقلوني إلى فوق) قودوني فوراً إلى أنهضت الجدة عن الأرض) وتقدمت أنا الموكب أصعد سلم الفندق العريض. كان موكبنا يخطف الأبصار. كان جميع من نصادفهم يتوقفون ويأخذون ينظرون بكل أبصارهم. إن فندقنا يُعَد أجمل فنادق المدينة) وأغلاها سعراًء وأرفعها أرستقراطية. وأنت تلتقي دائماً على السلم) وفي الأروقة والممرات؛ بسيدات بارعات الحُسن) وإنجليز من ذوي المهابة والوقار. وقد مضى كثير من هؤلاء يسألون مدير الفندق عن هذه السيدة من تكون) وكان مدير مرموقة من الطبقة الراقية) روسية) كونتيسة) سيدة عظيمة الشأن. وبأنها ستحتل الجناح الذي كانت تحتله منذ ثمانية أيام دوقة ن... العظيمة... إن القسمات الصارمة والملامح المسيطرة في الجدة المتربعة على عرشها هي التي كانت تجذب الانتباه خاصة. وكانت كلما صادفنا أحداً تُزنه بنظرته الفاحصة فورأء ولا تني تلقي عليّ أسئلة عن جميع الناس بصوت عال. كان للجدة مزاج قوي) ورغم أنها لم تبارح كرسيها فإن المرء يحزر متى رآها أنها طويلة القامة. إنها تجلس منتصبة الجذع كحرف الألف لا تستند على الكرسي) وترفع رأسها الواسع عالياًء أبيض الشعرء سميك القسمات بارز الملامح. وهي تنظر إليك نظرة كبرياء بل ونظرة تحدٌ. ولكنك تحس أن نظرتها وحركاتها طبيعية تماماً لا اصطناع فيها. ورغم الخمسة والسبعين عاماًء فإن في وجهها شيء من نضارة) وحتى أسنانها لم تكن قد ساءت حالها كثيراً. وكانت ترتدي ثوباً من حرير أسودء 100 1\_طماع © :سا1

Page#101

قال لي مستر آستلي مدمدماً وهو يصعد السلم إلى جانبي: - إنها تشوقني كثيراً. . قلت لنفسي: (إنها على علم بأمر البرقيات) وهي تعرف دي جريوء ولكنها ما تزال تجهل مدموازيل بلانش فيما يظهر؟. وسرعان ما أفصحت عن هذا لمستر آستلي. نكيلها للجنرال بعد لحظة. وكان لهذا الشعور في نفسي أثر الحافز والدافع) فكنت أغذّ الخطى فرحاً كل الفرح. 0 كان أصحابنا قد اتخذوا مقرهم في الطابق الثالث. فلما وصلت فتحت الباب على مصراعيه دون إنذار ومن غير أن أطرقه. فدخلت الجدة دخولها المظفر. كانوا جميعاً هنالك) كأنما على عمدء قد التأم شملهم في حجرة الجنرال. وكان الوقت ظهراًء وكانوا ينوون) فيما يظهرء أن يقوموا بنزهة مشتركة؛ إما في المركبة وإما على ظهور الخيل. وكان هناك ضيوف أيضاً. . . كان في الحجرة) عدا الجنرال وباولين والأولاد وخادمتهم) دي جريو) ومدموازيل بلانش مرتديةً تنورة الفارسات من جديدء وأمها مدام أرملة دي كومنج) والأمير القصير) وعالم ألماني كنت قد رأيته عندهم مرة. قُدَّمِ كرسي الجدة حتى صار في وسط الحجرة على بُعد ثلاث خطوات من الجنرال. اللهم إني لن أنسى الأثر الذي أحدثه دخولنا ما حييت!... حين دخلنا كان الجنرال يحكي شيئا ماء وكان دي جريو يناقشه. يجب أن أذكر أن مدموازيل بلانش ودي جريو قد أصبحا منذ يومين ع أو ثلاثة ملتفين حول الأمير القصير يحتفلان به 101 1\_طماع © :عاكاس1

Page#102

أشد الاحتفال بحضور الجنرال المسكين. وكان الجمع قد اصطنع أسلوباً لعل فيه شيئاً من تكلف ولكنه مرح ودود حميم. فلما رأى الجنرال الجدة جمد فاغراً فاه على النصف من كلمة كان ينطق بها... وأخذ يحدق فيها جاحظ العينين كأن غولاً ظهر له فأذهله وفتنه عن نفسه. وكانت الجدة تتأمله أيضاً دون أن تنطق بكلمة) ولكن ما كان أعجبها نظرة ظافرة متحدية ساخرة! هكذا ظل الاثنان ينظر أحدهما في الآخر مدة عشر ثوان في صمت مطبق. وقد ذهل دي جريو أول الأمرء ولكنه لم يلبث أن ظهر في وجهه قلق شديد إلى أبعد حدود الشدة. أما مدموازيل بلانش فقد رفعت حاجبيهاء وفغرت فاهاء وراحت تتفرس في الجدة كالبلهاء. وكان الأمير والعالم يتأملان هذا المنظر متحيرين مرتبكين. وفي نظرة باولين كان يقرأ المرء دهشة عظيمة واضطراباً شديداً) ثم لم تلبث أن أصبحت بيضاء كالئلج على حين فجأة؛ وما هي إلا لحظة حتى عاد الدم يزدحم في وجهها فإذا خداها بلون الأرجوان حمرة. نعم لقد كان وصول الجدة كارثة للجميع! وكنت أنا لا أزيد على أن أنقل نظراتي بين الجدة وسائر الحضور. أما مستر آستلي فقد ظل) على عادته) وانفجرت الجدة تقطع الصمت أخيراً فتقول: - نعم... ها أنذا! لقد جئتكم بدل البرقية. ما كنتم تتوقعون مجيئي) أليس كذلك؟ كذلك جمجم الجنرال) ولو قد لزمت الجدة الصمت بضع ثوان أخرى) إذن لكان يمكن أن يصاب بنوبة. - عن أية مصادفة تنحدث؟ لقد ركبت القطار وجئت. وما فائدة 102 1\_طماع © :عاكاس1

Page#103

السكك الحديدية إذن؟ كنتم تتصورون أنني سأخرج من منزلي على نعش) تاركة لكم الميراث؟ إنني أعرف أنك أرسلت برقيات. ولا بد أن يكون ذلك قد كلفك نفقات باهظة. إن أجور إرسال البرقيات من أجاب دي جريو: - نعم يا سيدتي) وثقي أنني مبتهج أشد الابتهاج؛ مغتبط أعظم الاغتباط) لاستردادك عافيتك. . . إنها لمعجزة أن نراك هنا. . . إنها لمفاجأة رائعة. .. - أما أنها رائعة فنعم. إنني أعرفك أيها الممثل المهرج) ولا أصدق من كلامك مقدار أنملة (قالت ذلك وهي ترفع خنصرها). من هذه؟ (سألت هذا السؤال وهي تشير إلى مدموازيل بلانش). كان واضحاً أن الفرنسية التي يدل مظهرها على كثرة الحركة والصخب) والتي ترتدي تنورة الفارسات. وتحمل بيدها سوطأء قد خطفت بصر الجدة . وأردفت الجدة تقول: قلت: - هي مدموازيل بلانش دي كومنج وهذه أمها مدام دي كومنج؛ سألت السيدة العجوز بغير كلفة ولا حرج: - أهي متزوجة؟ قلت بأكبر احترام ممكن وأنا أغض طرفي عامداً: 103 1\_طماع © :عاكاس1

Page#104

- أهي مرحة؟ ولم أفهم السؤال. - ألا يشعر المرء بالضجر من صحبتها؟ هل تتكلم الروسية؟ لقد كان دي جريو في موسكو يلئلث بضع كلمات. / فشرحت لها أن مدموازيل دي كومنج لم تذهب إلى روسيا يوما. قالت الجدة بلهجة مباغتة وهي تتجه بالكلام إلى مدموازيل بلانش بغير توطئة ولا تمهيد: - صباح الخير. - صباح الخير يا سيدتي. كذلك ردت مدموازيل بلانش) مغرقةً في تبجيل مقصود واحتفال مدروسء. مظهرةً من تحت ستار هذا التهذيب الشديدء بكل تعبير وجهها وشخصهاء دهشتها من سؤال غريب هذه الغرابة) ومن سلوك شاذ هذا الشذوذ. - أوه... إنها تغض عينيهاء وتصطنع الأدب) فيرى المرء فوراً مع أي طير من الطيور يتعامل: ممثلة أو شيء من هذا القبيل. لقد نزلتُ هذا الفندق) وسكنت تحت (قالت هذه الجملة الأخيرة وهي تتجه فجأة نحو الجنرال). ستصبح جيراناً. أيسرك هذا أم لا؟ فأجاب الجنرال: - أوه. . . عمتي. . . ثقي أنني أشعر بأصدق عواطف الابتهاج. . . كان الجنرال قد ثاب إلى نفسه بعض الشيء) وإذ كان يعرف عند الضرورة كيف يجد التعابير المناسبة طامعاً في أن تُحدِث أثرهاء فقد أخذ يسهب في الكلام ويطنب فيقول فيما يقول: لشد ما آلمنا وهزنا ما كان يصل إلينا من أنباء عن مرضك. .. لقد كانت تصلنا برقيات 104 1\_طماع © :سا1

Page#105

فقاطعته الجدة فوراً تقول: فقاطعها الجترال بدوره) رافعاً لهجته متظاهراً بأنه لم يسمع: - كيف قررت أن تقومي برحلة كهذه الرحلة؟ لا شك أنك إذا دهشنا. . . ولكنني سعيد جداً بوصولك إلينا. وسوف نبذل كل ما في وسعنا (هنا أخذ يبتسم معبّراً عن فرح حنون) من أجل أن نجعل إقامتك هنا ممتعة إلى أقصى حد ممكن. .. دعك من هذا الكلام... كفى ثرئرات لا فائدة منها ولا جدوى فيها. ما أراك تقول إلا ترهات) على عادتك. لسوف أعرف بنفسى كيف أحسن قضاء الوقت. على أنني غير حانقة عليك؛ فما أنا بالحقود. .. تسألني كيف قررت القيام بهذه الرحلة؟ الأمر بسيط غاية البساطة. ما لهم يتعجبون جميعاً؟ صباح الخير يا براسكوفيا©". ماذا تفعلين هنا؟ قالت باولين) وهي تقترب: - صباح الخير يا جدتي. هل طالت رحلتك؟ هذا سؤال على الأقل) بدلاً من تلك الأوهات والآهات جميعها... هذا ما حدث: لبثت زماناً طويلاً راقدة في سريري أعالّج من المرض. وبعدئذ طردت جميع الأطباء) واستدعيت قندلفت كنيسة القديس نيقولاء وكان قد شفى إحدى النساء من هذا المرض نفسه ببعض الأعشاب؛ فخفف هذا الدواء عني) إذ رأيتني في الغداة أنضح عرقاً من كل جسميء) فنهضت) وجاء الألمان فقالوا لي مجمعين) بعد أن وضعوا نظاراتهم على أعينهم) وبعد أن تذاكروا 105 1\_طماع © :سا1

Page#106

في الأمر: (إذا قمت الآن برحلة إلى الخارج للتداوي بالمياه المعدنية) فإن انسداد الشريان سيزول زوالاً كاملاً). قلت لنفسي: (لم لا؟). وأخذ أفراد أسرة دور زايجين يصيحون صيحات عالية قائلين: (إنه لجنون أن تذهبي إلى هناك؟). ولكنني لم أكترث. فما انقضت أربع وعشرون ساعة حتى صُرّت أمتعتي. فأخذت خادمة وبوتايتش ثم فيدور الذي عدت فأرجعته من برلين إذ رأيت أنني في غير حاجة إليه قطء وأنه كان في وسعي أن أسافر وحدي.. وحجزت في القطار حجرة خاصة. ألا ما أكثر الحمالين في جميع ختمت الجدة كلامها وهي تنظر حواليها قائلة: - إن لكم لشقة جميلة. من أين تجيء بالمال يا عزيزي؟ لقد رهنت كل شيء إذا صدق ظني : هذا الفرنسي الصغير وحده له عليك أكوام من مال. أنا أعرف كل شيء... لا تؤاخذني. . . أعرف كل شيء. ا قال الجنرال وقد بلغ ذروة الاضطراب: - أنا يا عمتي في دهشة. .. وأحسب أنني أستطيع دون رقابة أحد أن... ثم إن نفقاتي لا تزيد على مواردي) ونحن هنا. . - نفقاتك لا تزيد على مواردك؟ ألا إنك لجريء!... لا بد أنك جردت أولادك من آخر قرش إذن) وأنت الوصي عليهم. . عاد الجنرال يقول: - بعد هذاء بعد مثل هذا الكلام الذي تقولينه. .. لا أدري. . - لا تدري ماذا؟ إنني أفرض أنك لا 3 تعرك الروليت! فأنت إذث على الحصير! بلغ الجنرال من الانصعاق أنه كاد يختنق من شدة الانفعال. 106 1\_طماع © :سا1

Page#107

- أنا أذهب إلى الروليت؟ أنا؟ أرجل في مثل مركزي يفعل ذلك؟ - كل هذا أكاذيب! أراهن على أنه يستحيل انتزاعك من الروليت! أنت تهرف لا أكثر... سأذهب اليوم بنفسي لأرى ما هي هذه الروليت؟ يراسكوقياء أذكري لي ما يستحق أن يُزار هنا. سيقودنى ألكسي إيفانوقتش. . . أنت يا بوتايتش سبل قائمة بجميع الأماكن التي سنزورها. ما الذي يستحق أن يُرى هنا؟ (كذلك رددت تقول متجهة بالسؤال إلى ياولين) . - في الضواحي توجد آثار قصر خرب؛ ثم هنالك شلانجتبرج. - ما هو شلانجنبرج هذا؟ أهو غابة؟ ما هي هذه القمة؟. . . - هي أعلى موضع في الجبل) قد أحيط بسياج) فليس لجمال المنظر من هنالك ما يضارعه. - ويجب الصعود إلى هناك في الكرسي. أهذا ممكن؟ جداً. في إمكاننا استئجار حمالين. وفي لحظة من اللحظات جاءت فيدوسياء الخادمة؛ تحبي الجدة) وأتت لها بأولاد الجترال. . . -آ.. . دعونا من التبويس. . . أنا لا أحب تقبيل الأطفال. إنهم جميعاً تسيل أنوفهم. . . كيف تجدين نفسك هنا يا فيدوسيا؟ أجابت فيدوسيا تقول: نحن هنا بخير يا سيدتي الطيبة أنطونين فاسيليقنا. وأنت كيف حالك يا سيدتي العزيزة؟ لشد ما أقلقنا أمرك! 107 1\_طماع © :عاكاس1

Page#108

- أعرف. أنت وحدك على الأقل إنسانة بسيطة النفس. أجميع هؤلاء الناس ضيوف عليكم؟ (هكذا أضافت الجدة توجه السؤال مرة أخرى إلى ياولين). من هذا النحيل ذو النظارتين؟ فأجابت باولين بصوت خافت: -1... هو إذن روسي؟ وأنا كنت أظن أنه لا يفهم كلامنا... لعله لم يسمع! لقد سبق أن رأيت مستر آستلي! ولكن ها هو ذا مرة أخرى (قالت الجدة ذلك حين لمحته) . وحيّته مسرعة بقولها: - صباح الخير. فانحنى مستر آستلى دون أن يقول شيئا . قالت الجدة: 2 يا ياولين. وترجمت باولين. - سأقول لك إنني مبتهج برؤيتك ابتهاجاً كبيراً) ويسعدني أن أراك موفورة العافية . كذلك أجاب مستر آستلي بلهجة جادة؛ ولكن على لطف كبير. وترجمت هذه الكلمات للجدة) فكان واضحاً أنها أعجبت بها . قالت الجدة: - إن لدى هؤلاء الإنجليز جواباً على كل شيء دائماً. لا أدري لماذا أحب الإنجليز! لقد أحببتهم عمري كله. لا وجه للمقارنة بينهم وبين الفرنسيين! أرجو أن تزورني يا مستر آستلي) وسأحاول أن لا أضجرك كثيراً. ترجمي له هذا الكلام) وقولي له إنني أقيم في الطابق الأول. في الطابق الأول) هل فهمت؟ (كررت الجدة هذه 108 1\_طماع © :عاكاس1

Page#109

الجملة الأخيرة وهي تشير بأصبعها إلى أرض الغرفة). سر مستر آستلي لهذه الدعوة سروراً عظيماً. وألقت السيدة العجوز على باولين نظرة منتبهة راضية لفتها من قمة رأسها إلى أخمص قدميها. ثم قالت لها بغتة: - سأحبك كثيراً يا يراسكوقيا. أنت فتاة شهمة. أنت خيرهم حال.. . استديري قليلا: هل شعرك هذا مستعار؟ لاا يا جدتي) هذا شعري أنا! جداً. لو كنت شاباً لوقعت في غرامك. لماذا لا تتزوجين؟ ولكن آن لي أن أنصرف. أحب أن أتنزه قليلاً بعد أن قضيت ذلك الوقت كله في عربة القطار. .. وأضافت تقول للجنرال: هه. . . أما زلت غضبان؟ قال الجنرال وقد هدأ روعه: دمدم دي جريو يقول لي همساً: - هذه العجوز رجعت إلى الطفولة. قالت الجدة للجنرال تسأله: - أريد أن أرى كل شيء هنا؛ هل تستغني لي عن ألكسي إيفانوقتش؟ - المدة التي تريدين. ولكننا جميعاًء أنا وياولين ومسيو دي قال دي جريو وهو يبتسم ابتسامة مخادعة متملقة: 109 1\_طماع © :عاكاس1

Page#110

- ولكن يا سيدتي) إنها لمسرة لنا أن. . أعطيك شيئاً من المال (أضافت هذه الجملة الأخيرة متجهة إلى الجنرال). خذوني إلى شقتي: أريد أن ألقي عليها نظرة؛ ومن ثم نمضي نطوف في كل مكان. انقلوني. حُملت الجدة من جديدء ونزلنا السلّم موكباً وراء كرسيها. كان الجنرال يسير كمن أطاشت صوابه ضربة من عصا. وكان دي جريو ممعناً في التفكير. أما مدموازيل بلانش فقد أرادت في أول الأمر أن تمكث في الفندق ولكنها رأت بعد ذلك أن من الأفضل أن تتبعناء فمشى الأمير وراءها رأساً. فلم يبق في شقة الجنرال إلا الألماني ومدام/ أرملة دي كومنج . 110 1\_طماع © :عاكاس1

Page#111

الفصل العاشر 8 مدن المياه المعدنية) وربما في أوربا كلها. ترى مديري \*ذ الفنادق)؛ حين يعيّنئون لأحد النزلاء شقة من الشققء لا يستوحون اختيارهم من رغبات النزيل أو مطالبه) بل يستوحونه من رأيهم في هذا النزيل. ويجب أن نعترف أنهم قلما يخطئون. ولكنهم خصصوا للجدة) الله يدري لماذاء) مسكناً يبلغ من البذخ أنهم في هذه المرة تجاوزوا الحدود: أربع غرف مزدانة بفاخر الأثاث) مع إن دوقة عظيمة قد قضت في هذه الغرف ثمانية أيام فعلا) وسرعان ما أبلغ النزلاء الجدد هذه الواقعة طبعاء بغية أن يُخْلع على المسكن الغرف) فكانت تدفق النظر فيها بانتياه وقسوةء يصحبها المدير نفسه) وهو رجل متقدم في السن قليلاً) ويلاطفها أثناء هذه الجولة التي قامت بها تتفقد الحجرات تفقد مالك. لا أدري ماذا حسبوا الأميرة. لا شك أنهم عدوها شخصية مرموقة جدأء وثرية جداً بخاصة. حتى لقد أسرعوا يسجلون في سجل النزلاء: السيدة الجنرالة) أميرة ثاراسقشيقاء رغم أن الجدة لم تكن 111 1\_طماع © :سا1

Page#112

يوماً أميرة. ولا شك أن كثرة الخدم) والجناح المحجوز في القطار) وهذا الجبل من الرزم التي لا لزوم لهاء ومن الحقائب). بل ومن الصناديق التي أنزلت مع الأميرة) لا شك أن هذا كله كان بمثابة عليه) واللهجة القاطعة التي تخاطب الناس بهاء وصوتهاء وأسئلتها الغريبة الشاذة التي تلقيها طلقة بلا تحفظ) ولا تحتمل أي رد عليهاء وجملة شخصيتها المنتصبة) العنيفة) المتسلطة) أقول إن هذا كله قد انتهى بأن أكسبها تعظيم جميع الناس وتبجيلهم. كانت السيدة العجوز) أثناء استعراض شقتهاء تأمر بوقف كرسيها فجأة) فتشير إلى قطعة من قطع الأثاث) وتلقي على المدير أسئلة ليست في التوقع أو الحسبان) فيبتسم المدير إجلالاً واحتراماًء ولكنه كان قد أخذ يرتجف ويرتعد. وكانت تلقي عليه أسئلتها بفرنسيتها الرديئة) فكان علي في أكثر الأحيان أن أتولى الترجمة. وكانت أكثر أجوبة المدير لا ترضيهاء وكانت تبدو لها هذه الأجوبة ناقصة غير كافية. ثم إنها كانت تلقي أسئلة لا معنى لها تمليها عليها النزوة الطارئة والخيال العجيب: كانت تتوقف مثلاً أمام لوحة من اللوحات على حين فجأة) لوحة هي نقل ضعيف عن أصل شهير موضوعه مستمد من الأساطير اليونانية) فتسأل: - من تصوّر هذه الصورة؟ - كيف؟ أأنت لا تعلم ذلك علم اليقين؟ أتسكن هنا ثم لا تعلم علم اليقين؟ لماذا وضعت هذه الصورة في هذا المكان؟ ولماذا تنظر المرأة هذه النظرة الحولاء؟ 112 \_طماع !© :اعاااسس 1

Page#113

فكان المدير لا يستطيع أن يجيب على هذه الأسئلة كلها إجابات ترضيهاء حتى لقد كان يُشده ويذهل. قالت الجدة باللغة الروسية: وثقلت الجدة إلى أبعد من ذلك) فتكرر هذا الأمر نفسه بصدد تمثال صغير من الساكس تأملته العجوز طويلاء ثم أمرت بإخراجه من هذا المكان) لا يدري أحد لماذا! وأغرقت المدير أخيراً بوابل من الأسئلة: كم كانت أثمان سجادات غرفة النوم) وأين تصنع هذه السجادات) فوعدها المدير بأن يستعلم عن هذه الأمور. دمدمت تقول: - يا لهم من حمير! ثم التفتت بانتباهها كله إلى السرير. وقالت: يا لهذه المظلة كأنها مظلة عرش! هيا. . . فكوها! - أيضاً أيضاًء انزعوا كل شيء. انزعوا المخدات) والأغطية) واللحاف. قلب السرير رأساً على عقب . وراحت الجدة تنعم النظر في كل شيء. من حسن الحظ أنه لا يوجد بق. خذوا جميع الأغطية. وستضعون في مكانها أغطيتي ومخداتي. على كل حالء هذا كله مسرف في الترف والبذخ. ما حاجتي إلى مثل هذه الشقة وأنا في هذه السن؟ إن المرء يشعر بالملل والضجر وحده! يا إيقان إيقانوقتث لا يفوتنك أن تأتي إليّ كثيراً بعد فراغك من تدريس الأولاد. - لقد أصبحت لا أعمل في خدمة الجنرال منذ أمس. 113 1\_طماع © :عاكاس1

Page#114

- لماذا؟ - وصل من برلين منذ مدة ألماني ذو مكانة) تصحبه زوجته. إنه بارون. وأمس) أثناء النزهة) خاطبته بالألمانية دون أن أراعي اللهجة - وبعد ذلك؟ - عد ذلك وقاحة منيء فشكاني إلى الجنرال) فطردني الجنرال من عملي فوراً. - ولكن ماذا؟ هل أنت شتمت ذلك البارون؟ وهبك فعلت) فليس - بالعكس . إنه هو الذي رفع عصاه عليّ. فقالت العجوز للجنرال بغتة: - وأنت يا مخاط) كيف سمحت للبارون أن يعامل مربي أولادك هذه المعاملة؟ ثم تطرده من عمله فوق ذلك كله؟... ما أرى إلا أنكم جميعاً تافهون لا تصلحون لشيء. أجاب الجنرال بلهجة فيها الألفة والتعالي معاً: - لا تقلقي يا عمتي. إنني أعرف كيف أدبر شؤوني بنفسي. ثم إن ألكسي إيقانوقتش لم يصور لك الواقع تصويراً صحيحاً. قالت لي الجدة: - وكيف احتملت ذلك؟ قلت مصطنعاً أكبر التواضع وأعظم الهدوء: أردت أن أدعوه إلى المبارزة) ولكن الجنرال عارض في ذلك. سألت الجدة: - لماذا؟ ثم التفتت إلى المدير فقالت له: 114 1\_طماع © :سا1

Page#115

- أمض إلى شأنك أنت يا عزيزي) ثم تعود متى ناديناك . وأضافت: - إنني لا أطيق رؤية هؤلاء النورنبرجيين الذين تشبه وجوههم وجوه السكارى. فحيا المدير وانصرفء. دون أن يفهم هذا التقريظ طبعاً. أجاب الجنرال وهو يطلق ضحكة صغيرة: - عفوك يا عمتي. .. هل المبارزات ممكنة؟ ولم لا؟ الرجال جميعاً ديكة. كانا سيقتتلان) وينتهي الأمر. ولكنكم دجاجات مبتلة) هذا واضح. إنكم عاجزون عن الدفاع عن شرف بلدكم. هيا احملوني. بوتايتش! أصدر الأوامر بأن يكون هنالك دائماً شيالان في خدمتي. عيّنهما وحدد الشروط. يكفي إثنان. لن يكون عليهما أن يحملاني إلا عند صعود السلم. أما على الأرض المستوية) وفي الشارع) فساجر جراً. إشرح لهما هذا. وأنقدهما سلفة. فيكونوا أكثر أدباً وتهذيباً. وستظل أنت دائماً قربي. وأنت يا ألكسي إيقانوفتش) سوف تريني هذا البارون أثناء النزهة: أحب على الأقل أن أرى من هو هذا ال (فون بارون). هيا بنا! أين هي تلك الروليت؟ فشرحت لها أن موائد الروليت موضوعة في قاعات الكازينو ثم أخذت أسئلة الجدة تنهمر: هل هناك كثير من موائد الروليت هذه؟ هل ثمة ناس كثيرون يقامرون؟ هل تستمر المقامرة طول النهار؟ كيف هي مرتبة؟...) فأجبت أخيراً بأن الأفضل أن ترى هذا كله بعينيهاء لأن الوصف بهذه الطريقة - طيب. احملوني إذن إلى هناك رأساً. تقدمنا أنت يا ألكسي إيفانوئتش ! 115 1\_طماع © :سا1

Page#116

- كيف هذا يا عمتى؟ هلا نلت قسطاً من الراحة أولاً؟ كذلك سألها الجنرال متلطفاً متوسلاً. كان الجنرال مضطرباً بعض الاضطراب. على أن الجميع كان يبدو في وجوههم شيء من الارتباك؛ وكانوا يتبادلون النظرات. ولعل مردٌ ذلك إلى أنه كان يزعجهم أو يخجلهم أن يصحبوا الجدة إلى الكازينوء فقد تندفع هنالك في سلوك شاذء على مرأى من الناس في هذه المرة. ومع ذلك اقترحوا أن يرافقوها. - وعلام أرتاح؟ لست تعبانة . لقد لبشت خمسة أيام برمتها ساكنة لا أتحرك. وبعد ذلك نمضي إلى ينابيع المياه المعدنية؛ المياه براسكوقيا؟. . . إلى القمّة... أهكذا سمّيتها؟ - نعم يا جدتي! - أذهب إلى القمة. وماذا يوجد هنا أيضاً؟ قالت باولين مرتبكة: - يوجد أشياء كثيرة . - طيب. أنت لا تعرفين شيئاً. مارتاء تعالي معي أيضاً. كذلك خاطبت الجدة وصيفتها. فقال الجنرال قلقاً على حين فجأة: - لماذا تريدين أن ترافقك يا عمتي؟ هذا مستحيل. وإني لأشك أيضاً في أن يسمح لبوتابتش بالدخول إلى الكازينو. سخافات. أندعها إذن خارج الكازينو)؛ لأنها خادم؟ أليست مخلوقاً حيا؟ لقد قضينا ثمانية أيام نقطع الطرقء فهي تحب أيضاً أن ترى شيئاً. مع هن يمكن أن تذهب إذا لم تذهب معي أنا؟ إنها لا تجرؤ حتى أن تخطو في الشارع وحدها! 116 1\_طماع © :عاكاس1

Page#117

لعلك تخجل أن تصحبني. فما عليك إلا أن تبقى حيث أنث؛ ولست أطلب منك شيئاً. جنرال! شخصية عظيمة! ولكنني جنرالة أنا أيضاً! ثم إنني لست في حاجة إلى أن أجر ورائي كل هذا الموكب) سأرى كل شيء في صحبة ألكسي إيقانوقتش. . . ولكن دي جريو أصر على أن يرافقوها جميعاً. وأخذ يتدفق جُمَلاً لطيفة تعبّر عن متعة مرافقتهاء إلخ. وسار الجميع. كرر دي جريو يقول للجنرال: - لقد رجعت إلى الطفولة. . . فلو تركناها وحدها إذن لارتكبت حماقات . . . ولم أسمع ما قاله بعد ذلك. ولكن لا شك أنه كان يبيّت في ذهنه فكرة ماء بل لعله قد عاوده الأمل. . . المسافة بيننا وبين الكازينو خمسمائة متر تقريباً. سلكنا طريق أشجار الكستناء حتى وصلنا إلى الدائرة فدرنا حولها ثم دخلنا الكازينو رأساً. كان الجنرال قد اطمأن روعه بعض الاطمئنان) لأن موكبنا كانء على غرابته وشذوذه) لا يخلو من مهابة ووقار. وليس غريباً أن تأتي إلى مدن المياه شخصية مريضة أصابها الضعف والكساح. ولكن كان واضحاً أن الجنرال يخشى الكازينو. فعلام تذهب امرأة كسيحة؛ هي فوق ذلك عجوز هرمة) علام تذهب امرأة كهذه إلى الروليت؟ وكانت ياولين ومدموازيل بلانش تسيران على جانبي الكرسي المتحرك. إن مدموازيل بلانش تضحكء وتظهر شيئاً من مرح متخفٌ) وتتبادل والجدة بعض الأمازيح من حين إلى حين) حتى أن الجدة لم يسعها إلا أن تكيل لها آخر الأمر بعض المديح. وكانت ياولين) على الجهة الأخرى من الكرسي؛ مضطرة إلى 117 1\_طماع © :عاكاس1

Page#118

الإجابة على الأسئلة المستمرة التي تلقيها عليها السيدة العجوزء) وهي من نوع الأسئلة التالية: (من هذا الذي صادفتاه الآن؟ من هي تلك المرأة الراكبة العربة؟ هل المدينة كبيرة؟ هل الحديقة واسعة ممتدة الأطراف؟ ما هذه الأشجار؟ ما أسماء هذه الجبال؟ هل يوجد هنا نسور؟ ما هذا السطح المضحك؟)... وتمتم مستر آستلي الذي كان يسير إلى جانبي) تمتم يقول لي: إنني أتوقع من هذا الصباح أشياء ككيرة . وكان يوتايتش ومارتا يسيران في الخلف وراء الكرسي تماماً: فأما بوتابتش فهو يرتدي لباساً رسمياً مع ربطة عنق بيضاءء ولكنه يضع على رأسه قبعة من نوع (الكاسكيت)) وأما مارتاء وهي في الأربعين من العمرء وذات خدين حمراوين وشعر غزاه الشيب منذ ذلك الحين) فقد كانت تضع على رأسها قبعة من نوع (البونّيه؛) وتلبس ثوباً من حرير الهندء وتنتعل حذاءين من جلد الماعز يطقطقان. وكانت الجدة تلتفت إليها كثيراً فتكلمها. وقد ظل دي جريو والجنرال وراءنا بعيدين بعض البُّعد. يدور بينهما الحديث حامياً حاراً. كان الجنرال مصعوقاً خائر القوى. فيما دي جريو يحاول أن يرد إلى رفيقه بعض الشجاعة؛ وكان واضحاً أنه يسدي إليه بعض النصائح . ولكن الجدة كانت قد نطقت بجملتها الحاسمة: (لن التصديق) ولكن الجنرال يعرف ععبمته حق المعرفة. وكنت قد لاحظت أن دي جريو ومدموازيل بلانش مستمران في تبادل النظرات المختلسة. ولمحت الأمير والألماني في آخر الطريق: لقد تركا لنا أن نتقدم. ومضيا في اتجاه آخر. دخلنا الكازينو دخول الظافرين. وقد أظهر السويسري والحجاب 118 1\_طماع © :سا1

Page#119

من الاحتفال بمقدمنا مثل الذي أظهره خدم الفندق. ومع ذلك كانوا ينظرون إلينا متعجبين. وأصدرت الجدة أمرها أولاً بالقيام بجولة في القاعات. فكانت تكيل المديح والإطراء تارة) وتبقى غير مكترثة ولا إلى قاعات القمار. فما أن رآنا الحاجب الواقف أمام الباب الموصدء حتى فتح الباب على مصراعيه كمن تملكته دهشة وأحدث ظهور الجدة في قاعة الروليت أثراً عميقاً في الئاس . كان يتجمهر حول موائد الروليت وفي الطرف الآخر من القاعة) حيث وضعت مائدة (الثلاثين والأربعين)) نحو من مائة وخمسين مقامراً أو مائتين اصطفوا صفوفاً متراصة. إن الذين استطاعوا منهم أن يتسللوا حتى المائدة يحرصون على البقاء في أماكنهم أشد الحرص) وقد جرت العادة أن لا يتنازلوا عنها لأحد قبل أن يخسروا كل ما معهم من مال. ذلك أنه ليس يباح لأحد أن يكون في مكان من تلك الأماكن مشاهداً فحسبء فيحتل بالمججان مكان لاعب. ورغم أن هناك كراسي مصفوفة حول المائدة) فإن عدداً قليلاً من اللاعبين كان يجلس على الكراسيء خاصة حين يكون الجمهور كثيفاًء لأن الوقوف يشغل حيّزاً أضيق من الحيّز الذي يشغله الجلوس) كما أن الواقف يسهل عليه أن يضع الرهان حيث يريد أن يضعه أكثر مما يسهل ذلك على القاعد. والناس يتزاخمون في الصف الثاني أو الثالث وراء الواقفين في الصف الأول) ينتظرون دورهم؛ ولكن صبرهم ينفد في بعض الأحيان فتراهم يدسون أيديهم بين اللاعبين ليضعوا رهانهم على المائدة. والواقفون في الصف الثالث يجاهدون على هذه الطريقة نفسها من أجل أن يوصلوا رهانهم إلى المائدة الخضراء. لذلك ما تكاد تنقضي عشرة دقائق أو خمس حتى يسمع 119 1\_طماع © :عاكاس1

Page#120

المرء أصوات مشاجرة أو مشاحنة عند طرف من أطراف المائدة. على أن شرطة الكازينو منظمون أحسن تنظيم. إنهم لا يستطيعون طبعاً أن يمنعوا الهرج والمرج. حتى ليسرّهم أن يكون الازدحام شديداًء لأنهم يستفيدون من ذلك. غير أن هناك ثمانية موظفين جالسين حول المائدة يراقبون اللعب مراقبة يقظة. إنهم هم الذين يدفعون الأرباح) فإذا نشب خلاف كانوا هم الذين يفصلون في الخلاف. ولا نُستدعى الشرطة إلا في الحالات القصوى) فيُسرّى الأمر عندئذ على الفور. ورجال الشرطة في القاعة يرتدون اللباس المدني2 ويقفون بين المشاهدين) فلا يستطيع المرء أن يعرفهم. وهم يراقبون خاصة صغار اللصوص والمحترفين) وما أكثرهم في الروليت) وما أسهل ممارستهم صناعتهم في قاعتها! ذلك أن السرقة في غير هذا المكان تحتاج إلى نبش جيوب أو كسر أقفال) وقد تجلب للسارق في حالة الإخفاق متاعب كثيرة. أما هنا فحسب اللص أن يقترب من الروليت) وأن يأخذ يقامره ثم إذا هو فجأة) على رؤوس الأشهاد ومن غير تخف ولا مداورة) يمد يده إلى ربح غيره بصوت عال مفهوم أن الربح ربحه. فإذا كان قد أحكم الضربة حاذقاًء وتردد الشهودء استطاع اللص في كثير من الأحيان أن يحتفظ بالمال) هذا إذا لم يكن المبلغ ضخماً بطبيعة الحال) وإلا فإن القيّمين يكونون قد لاحظوهء أو يكون لاعب آخر قد لاحظه. أما إذا لم يكن المبلغ ذا بال) فإن الرابح الحقيقي يكف من تلقاء نفسه عن مواصلة الشجار في بعض الأحيان وينسحب من اللعب مخافة الفضيحة. ولكن إذا أمكن كشف القناع عن وجه اللصء طرد من اللعب فوراً بغير مراعاة ولا مداراة. 120 1\_طماع © :سا1

Page#121

تأملت الجدة هذا كله من بعيد) باستطلاع شره. ولشد ما كانت والأربعين) وإنما أعجبتها الروليت وأسرتهاء وخاصة حين كانت تدور الكرة . وأرادت أخيراً أن تشاهد اللعب عن كثب. فإذا بالخدم وأفراد أَخَر (أغلبهم يولونيون دمرهم القمارء فهم يفرضون خدماتهم على المقامرين الموفّقين وعلى جميع الأجانب) يسارعون فيؤمّنون لها مكاناً قريباً من وسط المائدة قرب القيّم الرئيسي) ويجرون كرسيها إليه رغم الزحام الشديد. وها هي ذي جمهرة كبيرة من الزوار الذين لا يقامرون بل يشاهدون (وأكثرهم من الإنجليز مع أسْرهم) تتزاحم فوراً نحو المائدة تريد أن ترى الجدة من فوق أكتاف المقامرين. وعقد القيّمون على الجدة آمالا كباراً: إن مقامرة غريبة هذه الغرابة) شاذة هذا الشذوذء لتعدٍ حقاً بأشياء خارقة. امرأة في السبعين من عمرهاء كسيحة. تريد أن تقامر... ذلك ظرف نادر قلَّ أن يواتي.. . واندسست أنا أيضاً حتى وصلت إلى المائدة فوقفت قرب الجدة. أما بوتايتش ومارتا فقد ظلا بعيدين وسط الجمهور. وانضم الجنرال وباولين ودي جريو إلى صفوف المشاهدين كذلك. أخذت الجدة فى أول الأمر تلاحظ اللاعبين الذين يحيطون بهاء فتسألنى بصوت خافت أسئلة سريعة: (من هذا الرجل؟؟ (من تلك المرأة؟) . وقد اهتمت اهتماماً شديداً بشاب صغير كان على طرف المائدة يقامر بمبالغ ضخمة) فهو يضع الفرنكات آلافاء وكان قد ربح؛ فيما كان يدمدم به الجيران) حوالي أربعين ألف فرنك كانت قابعة أمامه كومة من الليرات الذهبية والأوراق النقدية. كان الفتى ممتقع اللون) وكانت عيناه تقدحان شرراء ويداه ترتجفان. كان يضع المال من غير أن يعده) فإنما هو يتناوله قبضات قبضات) وما ينفك 121 1\_طماع © :عاكاس1

Page#122

مع ذلك يربح) وما ينفك المال يتكدس أمامه؛ وكان الخدم يتحركون من حولهء فهذا يحمل إليه كرسياًء وذاك يوسّع من حوله المكان) حتى تزداد حركته طلاقة) وحتى لا يزحمه الناس. . . كل ذلك أملاً في مكافأة طيبة. إن يعض المقامرين الموفقين يعطونهم أحياناً بلا عد يخرجون المال من جيوبهم قبضات ملأى يمدونها إليهم عطايا. وإلى جانب الفتى كان قد جلس بولوني لا يستقر في مكانه) ويوشوشه في كل لحظة باحترام) ليسدي إليه النصح وليوجهه في اللعب من غير شكء أملاً في مكافأة بطبيعة الحال. ولكن الفتى المقامر لا يكاد ينتبه إليه؛ وإنما هو يراهن ذات اليمين وذات الشمال خبط عشواء؛ وما ينفك يكدس ثم يكدس . كان واضحاً أنه فقد صوابه. - قل له أن يكفء قل له أن يلم ماله بأقصى سرعة وأن يفر. سوف يخسرء سوف يخسر كل شيء في لحظة واحدة. قالت ذلك وهي تكاد تلهث من فرط الانفعال. ثم أضافت: - أين يوتايتش؟ أرسلوا إليه بوتايتش. لماذا لا تقول له؟ قل له أن يرحل (قالت لي ذلك وهي تنكعني). ولكن أين بوتابتش؟ أخرج) أخرج (هكذا أخذت تصيح لتهيب بالفتى أن يخرج). فملت عليها وقلت بصوت خافت ولهجة حاسمة أنه لا يُسمح بالصراخ في هذا المكان على هذا النحوء بل ويحظر الكلام إلا بصوت منخفض. . . لأن ذلك يعرقل إجراء الحسابات)؛ ولسوف يخرجوننا من القاعة. . . - خسارة! إن هذا الرجل ضائع لا محالة. لا شك أنه يريد ذلك... لا أستطيع أن أنظر إليه. لقد حولت بصري عنه. . . يا له 122 1\_طماع © :عاكاس1

Page#123

قالت الجدة ذلك) والتفتت إلى جهة أخرى على الفور. وهناك) على الشمال) كانت تُرى بين اللاعبين سيدة شابة يصحبها رجل يشبه أن يكون قزماً من الأقزام. من هو هذا القزم؟ لا أدري. . . أهو قريب من أقربائهاء أم أنها جاءت به لتحدث أثراء وتلفت نظراً؟ كنت قد لاحظت هذه السيدة قبل ذلك. إنها تجيء إلى الكازينو كل يوم؛ في الساعة الواحدة بعد الظهرء وتنصرف في الساعة الثانية تماماً. كانت تلعب إذن ساعة في كل يوم. والناس يعرفونهاء وسرعان ما قُدّم لها كرسي قعدت عليه. فأخرجت من جيبها بضعة دنائير ذهبية وبضع أوراق نقدية من ذات الألف فرنك) وأخذت تراهن برصانة وبرود) وتسجل الأرقام على ورقة) محاولةٌ أن تكتشف نظام تجمع الاحتمالات في لحظة من اللحظات. كانت تخاطر بمبالغ كبيرة. وتربح في كل يوم ألف فرنكء) أو ألفين) أو ثلاثة آلاف) لا أكثر من ذلك؛) ثم ما تلبث أن تنسحب. راقبتها الجدة برهة طويلة. - هذه لن تخسر. . . هذه لن تخسر. من هي هذه السيدة؟ هل تعرف؟ فدمدمت أقول: - هي فرنسيةء لعلها من أولئك النسوة. . - من طيرانه يُعرف الطير. واضح أن لها مخالب حادة... إشرح لي الآن ماذا تعني كل دورة) وكيف تجب المراهنة. فشرحت للجدة) ما أمكنني الشرح) مزاوجات اللعب التي لا حصر لعددها: أحمر وأسودء مزدوج ومفردء إلخ؟ وشرحت لها بعد ذلك بعض الأمور المتصلة بنظام الأعداد. فكانت السيدة العجوز تصغي إلى كلامي منتبهة أشد الانتبا وتحفظ ما أقول) وتلقي أسئلة 123 1\_طماع © :عاكاس1

Page#124

جديدة وتستزيد من التعلم والفهم. وكان من السهل أن أضرب لها مثالاً مباشراً على كل نظام من نظم المراهنة) فكان ذلك ييسر لها حفظ الدرس. وسرت الجدة من ذلك كله سروراً عظيماً. - وماذا يعني صفر؟ إن القيّم الرئيسي) هناكء ذا الشعر الأجعد) قد صاح يقول الآن: صفر. ولماذا لمّ كل ما كان على المائدة؟ هل أخذ تلك الكومة كلها لنفسه؟ ما معنى هذا؟ - الصفرء يا جدة) يعني أن الرابح هو البنك. فإذا وقفت الكرة على الصفر كان كل ما على المائدة للبنك بغير تمييز. الواقع أنهم يديرون دورة أخرى تبرئة للذمة) ولكن البنك لا يدفع شيئا. - غريب. . . ولا آخذ شيئاً! إذا كنت قد راهنت على الصفر سلفاًء فإنهم يدفعون لك المبلغ الذي وضعته مضاعفاً خمساً وثلاثين مرة. خمساً وثلاثين مرة؟ وهل يخرج الصفر كثيراً؟ فلماذا لا يضعون عليه هؤلاء الأغبياء؟ لأن هناك ستة وثلاثين احتمالاً مخالفاًء يا جدة! يا له من سخف! بوتايتش! انتظر. إن معي بعض المال. خذه وضعه على الصفر فوراً. - ولكن الصفر قد خرج الآنء ولن يخرج مرة أخرى إلا بعد زمن طويل. إنك تجازفين كثيراً: تريّئي بعض التريّث. - لن أنتظر. كلامك سخيف. ضع هذا. اسمحي لي. قد لا يخرج مرة أخرى قبل المساء) ولو وضعت عليه ألف مرة. هذا شيء معروف. 124 \_طماع !© :اعاااسس 1

Page#125

- سخافات) سخافات. لا يذهب إلى الغابة من يخاف الذئب. ماذا؟ خسرت؟ ضع مرة ثانية. وخسرنا مرة ثانية . ووضعنا مرة ثالثة. إن الجدة لا تكاد تستقر في مكانها. إنها تحضن بعينيها البراقتين الكرة التي تتوائب بين حجرات الصفيحة الدائرة. لقد خرجت الجدة عن طورها. أصبحت لا تستطيع المحافظة على هدوثهاء حتى لقد ضريت المائدة بقبضة يدها حين نادى الموظف قائلاً: ست وثلاثون) بدلاً من أن يعلن خروج الصفر المرتقب. قالت الجدة زعلانة : هيا. .. لا بأس. .. إن هذا الصفر اللعين سيخرج قريباً! أفضّل أن أضيع على أن لا أبقى إلى أن يخرج الصفر! الذنب ذنب ذلك القِيّم الخبيث الأجعد الشعرء إن الصفر لا يخرج معه أبداً. ألكسي إيقانوقتش ضع دينارين مرة واحدة! إن ما تضعه قليل) فلو خرج الصفر لما ربحنا شيئا. جدة!.. 1 ضعء ضعء ليس المال مالك! ووضعت فردريكين. وتدخرجت الكرة برهة طويلة على الصفيحة) ثم أخذت تتوائب فوق الحجرات. تهالكت الجدة وشدت على ذراعي . وفجأة... تك.. - صفر. كذلك أعلن القيّم . قالت الجدة وهي تلتفت نحوي بحماسة : - رأيت؟ رأيت؟ قلت لك إن الصفر سيخرج... قلت لك... الرب نفسه هو الذي ألهمني أن أضع دينارين ذهبيين. كم أقبض 125 1\_طماع © :عاكاس1

Page#126

الآن؟ لماذا لا يدفعون؟ بوتابتشء) مارتا! أين هي إذن؟ وجماعتنا كلهم) أين ذهبوا؟ بوتايتش) يوتايتش! فدمدمت أقول لها: - حالاً يا جدة. يوتايتش على الباب. لن يأذنوا له بالدخول إلى وألقيت إلى الجدة لفة ثقيلة تضم 50 فردريكاً مغلفة بورق أزرق قاتم) وعُدَّ لها عدا ذلك عشرون فردريكاً بغير ألف. وقُرْبَ المبلغ كله بمجرفة إلى أمام الجدة. - إلعبوا أيها السادة! إلعبوا أيها السادة! هل انتهى كل شيء؟ كذلك صاح القيّم يدعو اللاعبين إلى الحظء ويتهيأ لقذف الكرة. - رباه! تأخرنا في الحط. سيبدأون فوراً. حط. حط. أسرع. لا هكذا أخذت تقول الجدة) وقد خرجت عن طورها وأخذت تلكزني بكوعها. - ولكن أين أحط يا جدة؟ - على الصفر! على الصفر! أيضاً على الصفر! حط أكبر مبلغ ممكن. كم يبلغ كل ما معنا؟ سبعين فردريكاً؟ لا فائدة من التباخل. حط عشرينا دفعة واحدة! - تعقلي يا جدة! قد لا يخرج الصفر بعد مائتي دورة! كذلك هو في بعض الأحيان. أحلف لك. لسوف تخسرين كل ما معك من مال . - كفى سخافات) كفى سخافات. حط بسرعة. هذه هى المطرقة تدق! أنا أعرف ما أفعل. ْ هذا ما قالته الجدة التي كانت ترتجف من توتر أعصابها. 126 1\_طماع © :عاكاس1

Page#127

- النظام يحظر أن يحط اللاعب أكثر من اثني عشر فردريكاً على الصفرء ها قد حططتها. وكان القيّم على يسارها يهم أن يقذف الكرةء فلكزته الجدة بكوعها تسأله بفرنسية لا تفهم: - كيف هذا؟ أصحيح هذا يا مسيو؟ أصحيح هذا يا مسيو؟ كم على الصفر؟ اثنا عشر؟ اثنا عشر؟ فأسرعت أشرح السؤال بالفرنسية. فأجابها القيّم في أدب: - نعم يا سيدتي) كما لا يجوز أن تتجاوز حطة كل فرد أربعة آلاف فلورين. وأضاف معللاً ذلك: - بهذا يقضي النظام . طيب. لا حيلة لنا إذن. حط اثني عشر فردريكاً. صاح القكم : تم اللعب. ودارت الدائرة) فخرج الرقم (ثلاثة عشر). لقد خسرنا. صاحت الجدة تقول لي: حط أيضاًء حط أيضاً. لم أعترض في هذه المرة) لم أظهر أية مقاومة؛ بل أسرعت أحط اثني عشر فردريكاً وأنا أرفع كتفي. ودارت الدائرة زمناً طويلاً. فكانت الجدة ترتجف وهي تلاحقها. قلت لنفسي وأنا أنظر إليها مندهشاً: "أهي تعتقد حقاً أن الصفر سيربح أيضاً). وكان يلتمع في وجهها إيمان مطلق بأنها ستربح) وأمل راسخ في أنها ستسمع القيّم يصيح بعد قليل: صفر. ووثبت الكرة إلى إحدى الحجرات: فهتف القيِم : 127 1\_طماع © :عاكاس1

Page#128

- صعمر. قالت الجدة ملتفتة نحوي وقد بدا في وجهها معنى الانتصار وروح التهجم: - أرأيت؟ لقد كنت مقامراً. أحسست بذلك في تلك اللحظة عينها. كانت ذراعاي وساقاي ترتجف. لقد كان نادراً بطبيعة الحال أن يخرج الصفر ثلاث مرات خلال عشر ضربات. ولكن لم يكن في هذا ما يبعث على دهشة خاصة. فلقد رأيت الصفر بنفسيء أول البارحة) يخرج ثلاث مرات متتالية؛ وقال أحد اللاعبين في تلك المناسبة) وكان قد سجل الضربات على ورقة تسجيلا دقيقا) قال بصوت عال إن الصفرء في اليوم السابق نقسه) لم يخرج إلا مرة واحدة خلال أربع وعشرين ساعة. أعطيت الجدة ربحها مقروناً بالاحترام والانتباه الخاصين اللذين فردريكاً على التمام والكمال) أي أربعة آلاف فلورين وعشرين فردريكاً. عدت لها الفردريكات نقوداً ذهبية) وأعطيت الفلورينات أوراقاً مالية. ولكن الجدة لم تناد يوتابتش في هذه المرة. لقد كان في رأسها شيء آخر يشغلها عن ذلك! أصبحت الآن لا تضطرب ولا ترتعش في الظاهر؛ ولكنها كانت في داخل نفسها ترتعش إن صح هذا التعبير. كان انتباهها كله مرئزاً على نقطة كأنها تسدد إلى هدف؛ وقررت أخيراً فقالت لي: - ألكسي إيقانوفتش) لقد قال القيِّم إن اللاعب لا يجوز له أن يحط أكثر من أربعة آلاف فلورين في آن واحد؛ أليس كذلك؟ إليك 128 1\_طماع © :عاكاس1

Page#129

إذن هذه الأربعة آلاف؛ حطها على الأحمر. كان من العبث أن يحاول المرء صرفها عن تصميمها. ودارت الدائرة. وإذا بالقيُم يصيح: أحمر. ربح جديد قدره أربعة آلاف فلورين. أصبح المجموع ثمانية آلاف . أمرتني الجدة بقولها: - دع لي أربعة آلاف. وحط الأربعة الأخرى على الأحمر مرة فجازفت بالآلاف الأربعة مرة أخرى. ثم إذا بالقيّم يعود فيصيح: أحمر. - المجموع اثنا عشر ألفاً. أعطني كل شيء. ضع الذهب في الكيس) ولمّ الأوراق المالية. كفانا هذا الآن. لنعد إلى المنزل. دحرجوا كرسبي . 129 1\_طماع © :عاكاس1

Page#130

الفصل الحادي عشر 6 الكرسي نحو الباب في الطرف الآخر من القاعة. د كانت الجدة مشرقة. وأسرع جماعتنا كلهم يحيطون بها مهنئين. فمهما يكن سلوك الجدة غريباً شاذاًء فإن انتصارها يغطي أشياء كثيرة؛ لقد أصبح الجنرال لا يخشى على سمعته ومهابته بين الناس من قرابته بامرأة غريبة الأطوار هذه الغرابة كلها ؟ حتى لقد أخذ يطري الجدة وهو يبتسم ابتسامة متلطفة) ويظهر مرحاً ودوداًء كما يفعل المرء مع طفل يريد أن يسليه. وكان واضحاً من جهة أخرى أنه كان مأخوذاً كسائر المشاهدين) الذين يعلّقون على الحادث ويشيرون إلى الجدة. حتى أن كثيراً منهم كانوا يمرون قربها ليروها عن كثب. وكان مستر آستلي يتحدث عنها بعيداً مع اثنين من أصدقائه الإنجليز. وهذه سيدات مرموقات وقورات يتأملنها في دهشة فخمة كنظرتهن إلى ظاهرة عجيبة. وكان دي جريو يتدفق تهاني وبسمات . قال: وأضافت مدموازيل بلانش وهي تبتسم ابتسامة مداهنة متملقة: - ولكن) يا سيدتي) لقد كنت كمن يطلق النار! هه 130 1\_طماع © :عاكاس1

Page#131

فقالت الجدة: - نعمء بدون أن أعد واحداً أو اثنين) ربحت اثني عشر ألف فلوربن. ماذا أقول؟ إثني عشر ألف؟ هذا عدا الدنانير الذهبية. فيكون المجموع ثلائة عشر ألفأ على وجه التقريب. كم يساوي هذا المبلغ بالروبلات؟ حوالي ستة آلاف؟ فأوضحت لها أن المبلغ يساوي أكثر من سبعة آلاف روبل) وقد يصل إلى ثمانية آلاف بالسعر الراهن. - ثمانية آلاف... ليس هذا بمزحة! ما لكما تجمدان هنالك ككلاب من خزف؟ هل رأيتما يا بوتايتش ويا مارتا؟ صاحت مارتا مفرطة في الإطراء: - ولكن كيف فعلت يا سيدتي؟ ثمانية آلاف روبل... فأسرع يوتابتش ومارتا يقبّلان يدها. - وليوهب فردريك واحد لكل حمال. أعط كلاً منهم ديناراً ذهبياً يا ألكسي إيفانوقتش . ما لذلك الخادم ينحني تلك الانحناءات؟ وذاك الآخر أيضاً؟ تهنئةٌ لي؟ هب لكل منهما ديناراً أيضاً. الأمراء الروس كرام جداً. كذلك أخذ يقول مستجدياً مستعطياً شخص ذو شاربين وقف قرب الكرسى بمعطفه المهترىء وصديرته المبرقشة) رافعاً قبعته) مبتسماً ابتسامة التذلل والخضوع . أعطه ديناراً أيضاء بل أعطه ديئارين. والآن كفى! وإلا لما كان لهذا نهاية.. . إحملوني) أنقلوني! براسكوقيا! (قالت هذا لباولين ألكسندروثنا) سأشتري لك ثوباً في الغدء وكذلك مدموازيل... ما 131 1\_طماع © :عاكاس1

Page#132

اسمها؟ مدموازيل بلانش) أليس كذلك؟ سأعطيها ما تشتري به ثوباً. ترجمي لها هذا الكلام يا براسكوثيا! - كذلك قالت مدموازيل بلانش وهي تنحني إجلالاً للجدة) وترسم على شفتيها ابتسامة ساخرة تتجه بها إلى دي جريو والجنرال. وكان الجنرال منزعجاً بعض الانزعاج) فلم يخفف من ضيقه وبرمه إلا حين بلغنا الطريق الذي تصطف على حافتيه أشجار الكستناء . قالت الجدة وهي تتذكر خادمة الأطفال: - وفيدوسياء وفيدوسيا! لن تصدق أذنيها حين تسمع النبأ. يجب أن أعطيها أيضاً ما تصنع به لنفسها ثوباً. هيه! ألكسي إيفانوقتش) ألكسي إيقانوقتش أعط هذا الشحاذ شيئاً. كان يمر في الطريق رجل مقوس الظهر يرتدي أسمالاً بالية) - قد لا يكون هذا الرجل شحاذاً بل وغد من الأوغاد! أعطه! أعطه! أعطه فلوريناً! فاقتربت من الرجل ومددت إليه قطعة النقدء فنظر إليْ مشدوها. ولكنه تناول الدرهم دون أن ينبس بكلمة. وكانت رائحة الخمرة تفوح منه. - كانت عيناك تلتمعان؛ لاحظت أنا ذلك. - سأحاول حتمأًء يا جدة) ولكن في المستقبل. - وخط على الصفر دون تردد. وسوف ترى! كم معك من مال؟ 132 1\_طماع © :سا1

Page#133

- عشرون فردريكاً يا جدة. ليس هذا بالكثير. سأقرضك خمسين فردريكاً إذا شئت . خذء خذ هذه اللفة. أما أنت يا عزيزي (قالت هذه الجملة متجهة بها إلى الجنرال على حين فجأة) فلا تراودنك الأوهام والأحلام: لن أعطيك شيئاً . فاضطرب الجنرال ولكنه لم يقل شيئاً؛ وقطب دي جريو حاجبيه؛ ثم التفت إلى الجنرال يدمدم من بين أسنانه قائلاً: - امرأة فظيعة صاحت الجدة. - شحاذء شحاذء شحاذ آخر! يا ألكسي إيقانوقش) أعط هذا الرجل فلوريئاً أيضاً. على ساق من خشب) ويرتدي نوعاً من معطف طويل كحلي اللون) ويحمل بيده عصا يتوكأ عليها. إنه يشبه أن يكون واحداً من قدماء المحاربين. فما أن مددت إليه الفلورين حتى ارتد خطرة إلى وراء) وهو يحدق إلى مهدداًء ويقول بالألمانية: ما هذا؟ ثم يضيف إلى سؤال التعجب هذا سيلاً من الشتائم . قالت الجدة وهي تومىء بيدها إيماءة احتقار. - يا له من غبي! أمضوا بي. أكاد أموت جوعاً. سوف أتناول غدائي فورأء ثم أرتاح قليلاًء لأعود بعد ذلك إلى هناك. - أتريدين أن تقامري أيضاً يا جدة؟ ماذا تظن إذن؟ أتحسب أن عليّء إذا أنت لبثت تتعفن هناك) أن أكتفي بالنظر إلى محياك؟ 133 1\_طماع © :عاكاس1

Page#134

قال دي جريو وهو يقترب: - ولكن الحظوظ يا سيدتي يمكن أن تنقلب. ورب حظ سيىء واحد يفقدك كل شيء؛ وخاصة إذا لعبت على طريقتك الرهيبة تلك! وزأزأت مدموازيل بلانش تقول: وما شأنك أن نت؟ إن ما سأخسره ليس مالك بل مالي! ولكن أين هو ذلك المستر آستلي؟ (ألقت هذا السؤال عليّ) . - بقي في الكازينو يا جدة. حسارة! إنه لفتى شهم حقاً! لما وصلنا إلى المنزل) صادفت الجدة رئيس الخدم على السلم) نادته وأخذت تتباهى بما حققته من ربح. ثم استدعت فيدوسيا فأعطتها ثلائة فردريكات) وأمرتها بإعداد الغداء. وفي أثناء تناول الطعام كانت فيدوسيا ومارتا تتدفقان عبارات تعجب. قالت مارتا: كنت أنظر إليك يا عزيزتي) فأقول ليوتايتش: (ماذا تريد سيدتنا أن تفعل؟). ثم تكدّس المال وتكدّس. يا قديسي السماء! لم أرَ في حياتي مالاً بهذا المقدار! وليس من حولك إلا رجال) ليس من حولك إلا رجال! (من أين يأتي جميع هؤلاء السادة يا بوتايتش؟) كذلك كنت أسأل بوتايتش. ثم أقول: (فلتساعدها العذراء أم الرب!) كنت أدعو لك يا سيدتي الطيبة. وكان قلبي يكاد يبارحني؛ لقد توقف عن الخفقان. وكنت أرتعش ارتعاش ورقة. (كن في عونها يا رب) كذلك كنت أضرع إلى الله. وقد حماك الله ورعاك. وما زلت أرتعش من ذلك حتى الآن) ما زلت أرتعش من قمة رأسيى إلى 134 1\_طماع © :سا1

Page#135

- ألكسي إيقانوفتش! هيىء نفسك بعد الغداء. سنعود إلى هتاك في نحو الساعة الرابعة. فإلى ذلك الحين أودعك الآن. ولا تنس أن تبعث إليّ بواحد من أولئك الأطباء التافهين. يجب علي أن أعالج بالمياه المعدنية أيضاً. أتراك تنسى أن تفعل؟ خرجت من عند الجدة كمن طاش صوابه. كنت أحاول أن أتصور ما سيحدث لأفراد جماعتنا كلهم) وأن أتخيل المجرى الذي ستجري فيه الأمور. كنت أرى رؤية واضحة أنهم لم يفيقوا بعد من الصدمة الأولى (وخاصة الجنرال). إن.وصول الجدة بدلاً من البرقية التي كان يُرتقب وصولها من ساعة إلى ساعة منبئةٌ بموتها (ومنبئة تبعاً لذلك بفضٌ الوصية) قد دمر جميع ما بنوه من مشاريع وخرّب ما اتخذوه من قرارات) حتى أصبحوا يتابعون باضطراب شديد وبنوع من الانشداه ما ستقوم به السيدة العجوز من مغامرات في الروليت. ومع ذلك فلعل هذا الأمر الثاني أن يكون أخطر شأناً من الأمر الأول) ذلك أن تصريح الجدة مرتين بأنها لن تعطي الجنرال شيئاً من المال) يجب أن لا يفقدهم مع ذلك كل أمل. لا شك أن دي جريوء المشارك في جميع شؤون الجنرال) لم ييأس. وأغلب الظن أن مدموازيل بلانش التي تهتم بالأمر اهتماماً كبيراً (أو التي لا بد أن تهتم به اهتماماً كبيراً على الأقل: زواج من الجنرال) وميراث عريض) لن تتثبط عزيمتها كذلك) وأنها سوف تعمد إلى جميع ما تملكه من وسائل الإغراء والفتنة والغنج للتأثير في الجدةء خلافاً لباولين المتغطرسة المتعجرفة التي لم تكن تجيد الخضوع ولا تحاول أن تجامل سعياً إلى الإرضاء. أما الآن. الآن وقد قامت الجدة بتلك المغامرات الطائشة في الروليت) الآن وقد تأكدت شخصيتها أمام أعينهم واضحةً هذا الوضوح كله (عجوزاً عنيدة مستبدة متقهقرة إلى 135 1\_طماع © :عاكاس1

Page#136

عهد الطفولة)) أما الآن فلعل كل شيء قد ضاع. لقد كانت سعيدة سعادة تلميذ تحرر من الحَجْرٍ عليهء فلا بد أنه سيندفع في اللعب إلى أن ينتف ريشه نتفاً. قلت لنفسي (وأنا أشعر بفرح خبيث أسأل الله أن يغفره لى): يا رب) يا رب! إن كل دينار جازفت به الجدة منذ قليل) كان يطعن قلب الجنرال طعناء وكان يحنق دي جريو حنقاً شديداً) وكان يثير غضب مدموازيل كومنج التي تمر الملعقة تحت أنفها! شيء آخر: حتى حين راحت الجدة) وهي في فرحة الربح) توزع المال على جميع الناس) وتعد كل عابر شحاذاً) حتى حينلاك لم تستطع الجدة أن تمئع نفسها أن تقول للجترال: (أما أنت فلن أعطيك شيئاً). هذا معناه أن العجوز قد استقرت على هذه الفكرة) وأنها مصرة عليهاء وأنها آلت على نفسها أن تفعل. فالأمر إذن خطر خطر! هذه الخواطر كلها كانت. تضطرب في رأسي ي بينما كنت أصحد من كان ذلك كله يهمني كثيراً. ورغم أنني استطعت أن أستشف ‏ الخيوط المتينة التي تشد هؤلاء الممثلين بعضهم إلى بعض أمام بصري) فلقد كنت أجهل دوافع هذه التمثيلية وأسرارها. إن ياولين لم تمحضني ثقة كاملة في يوم من الأيام. صحيح أنها كانت قد فتحت لي قلبها أحياناً كالمكرهة على ذلك؛) ولكنني كنت قد لاحظت أنها في كثير من الأحوال) بل في جميع الأحوال تقريباً) ما تكاد تفضي إليَ ببعض الأسرار حتى تحيل إلى مزاح كل ما سبق أن قالته) أو حتى تبادر إلى (لخبطة) كل شيء فتعمّي الأمور عامدة. نعم... لقد أن هذا الوضع السرّي العجيب المتوثّر يقترب من خاتمته. فما هي 136 \_طماع !© :اعاااسس 1

Page#137

إلا ضربة واحدة حتى ينتهي كل شيء) ويزول كل قناع. أما مصيري أناء وهو مرتبط بهذا كله أيضاء فكنت لا أكاد أحفل به. ما أغرب هذه الحالة النفسية التي أنا فيها: ليس في جيبي إلا عشرون فردريكاًء وأنا بعيد عن وطنيء بلا مركزء بلا مواردء بلا أمل؛ بلا مشاريعء إلخ... ثم لا يقلقني ذلك! ولولا أن باولين ماثلة في ذهني) إذن لاستسلمت استسلاماً تامأ لهذا الاهتمام بالخاتمة القريبة التي ستختتم بها هذه المهزلة) ولضحكت ملء صدري. ولكن باولين تبث في نفسي الاضطراب. إنني أحس أن مصيرها سيتقرر قريباً. ومع هذا فأنا أعترف أن ذلك ليس ما يشغل بالي. لعلني أتمنى أن أنفذ إلى أسرارهاء أن تجيء إليّ فتقول (أنت تعلم أنني أحبك)) وإلا فما الذي أرغب فيه) إذا لم تكن هذه الفكرة الجنونية ممكنة التحقيق؟ هل أعرف ما الذي أرغب فيه؟ إنني كالذي فقد صوابه. إن كل ما أريده هو أن أبقى قريباً منهاء في الهالة التي تحيط بهاء في الإشعاع الذي يصدر عنهاء إلى الأبد) مدى الحياة. لا أعرف أكثر من هذا... هل أطيق أن أبتعد عنها؟ لما بلغت الطابق الثالث شعرت) في دهليزهم) بما يشبه الصدمة؛ فالتفت فإذا أنا ألمح ياولين على مسافة عشرين خطوة خارجةً إلى الممر. لكأنها كانت تتربص بي) وتتجسس عليء وسرعان ما أومأت إليْ أن أقترب. - ياولين ألكسندروقنا. .. أخفض صوتك . 137 1\_طماع © :سا1

Page#138

- تصوري أنني أحسست في هذه اللحظة بما يشبه ضربة في جنبي) فالتفتٌ فإذا أنا أراك! لكأن شعاعاً يخرج منك. قالت باولين وقد بان في وجهها التجّهم والهم (وأغلب الظن أنها لم تسمع كلامي): خذ هذه الرسالة فاعطها مستر آستلي حالاً. فوراً. أرجوك. ولن ولم تتم باولين جملتها. قلت مدهوشا: - أعطي الرسالة إلى مستر آستلي؟ ولكن باولين كانت قد اختفت. هكذا إذن. إن بينهما مراسلة. . . وهرعتٌ طبعاً أبحث عن مستر آستلي: ذهيبت أولاً إلى الفندق فلم أجده. ثم مضيت إلى الكازينو فطفت في جميع قاعاته فلم أجده؛ وفيما كنت أعود إلى المنزل حائقاً غاضباً يائساء رأيته مصادفة مع موكب من الإنجليزء رجال ونساء على ظهور الجياد. فأشرت إليه) فوقف, فناولته الرسالة. ولم يتسع الوقت لأن نتبادل كلمة واحدة. وأظن أن مستر آستلي قد تعمد ذلك) فهو ما إن تناول الرسالة حتى لكز حصانه يستحث خطاه! هل كانت الغيرة تعذبني؟ لقد كنت منهاراً انهياراً كاملاً. لم أشأ حتى أن أستطلع موضوع المراسلة. هو موضع سرها ومحل ثقتها إذن! أما أنه صديقها فذلك واضح (منذ متى؟)) ولكن هل بينهما حب؟ همس لي عقلي قائلاً: (حتماً لا). ولكن العقل وحده ليس له كبير وزن في مثل هذه الحوادث. وكيف كان الحال) يجب على أن أخرج هذا أيضاً إلى النور. كانت الأمور تتعقد تعقداً مزعجاً. ‎١‏ 138 1\_طماع © :سا1

Page#139

ماكدت أدخل الفندق حتى هرع إليّ البواب ورئيس الخدم يبلغاني أن الجماعة طلبتني) وأنها تسأل عني) وأنها أرسلت ثلاث مرات حتى الآن تستطلع عن المكان الذي ذهبت إليه؛ وأنها ترجوني أن أمضي إلى منزل الجنرال بأقصى سرعة. كنت معتكر المزاج مضطرب النفس. وجدت الجنرال في حجرته ومعه دي جريوء ومدموازيل بلانش) وحدها دون أمها؛ لا شك أن هذه الأم كانت تمثل دور من له شأنء وهي في حقيقة الأمر لا شأن لها البتة. فمتى كان هناك (قضية) حقاًء رأيت مدموازيل بلانش تصرّف الأمور وحدها؛ بل إنني لأشك في أن تكون هذه المرأة على علم بشؤون ابنتها المزعومة . كانوا يتناقشون في كثير من الحرارة والاندفاع) حتى أن باب الغرفة كان مقفلاً بالمفتاح) وذلك أمر لم يسبق أن حدث يوماً. سمعت) حين اقتربت من الباب) صيحات متدفقة: سمعت لهجة دي جريو الوقحة الساخرة المستهزئة) وسمعت الشتائم الحانقة البذيئة تطلقها مدموازيل بلانش) وسمعت الصوت المتباكي؛ صوت الجنرال الذي كان واضحاً أنه يحاول أن يبرىء نفسه. فلما دخلت عليهم ثابوا إلى أنفسهم؛ وأصلحوا وضعهم. فها هو ذا دي جريو يعدل شعره ويصنع لنفسه وجهاً باسماً: يا لهذه البسمة الفرنسية) المتظرفة) الرسمية) كم أمقتها! وهذا هو الجنرال) المرهق) الطائش اللب) ينتصب) ولكن بحركة تشبه أن تكون آلية. إن مدموازيل بلانش وحدها لم تكد تغير هيئة الغضب والحنق في وجههاء فصمتت وهي تحدق إلى بنظرة نافدة الصبر. يجب أن أذكر هنا أنها كانت إلى ذلك الحين تعاملني معاملة فيها من قلة الاكتراث ما لا يصدقه عقل) فهي 139 1\_طماع © :عاكاس1

Page#140

ابتدرني الجنرال يقول لي بلهجة عتب ودود: - ألكسي إيقانوفتش! اسمح لي أن ألفت نظرك إلى أنه من الغريب) من الغريب كل الغرابة... أقول باختصار إن سلوكك نحوي ونحو أسرتي. . . أقول بإيجاز إن هذا السلوك عجيب) غريب إلى أقصى حدود الغرابة. هكذا قاطعه دي جريو بحنق يمازجه احتقار (كان لا بد أن يتدخل في كل أمر. . .)؛ وأردف يقول: يا سيدي العزيزء يا سيدي العزيزء إن الجنرال يخطىء حين يتخذ هذه اللهجة (تابعتٌُ كلامه بالروسية). إنه يريد أن يقول لك) أعني أن ينبهك) أو قل أن يرجوك مُلحَاً أن لا تضيعه. نعم أن لا تضيعه! وأنا أستعمل هذا التعبير صراحة. .. فقاطعته قائلاً: - ولكن كيف؟ كيف؟ قال دي جريو مرتبكاً: - اسمح لي) لقد جعلت من نفسك اليوم دليلاً (أو ماذا أقول؟) نعمء جعلت من نفسك دليلا لهذه السيدة العجوزء لهذه العجوز الرهيبة. ولكنها ستخسرء ستخسر آخر قرش تملكه! لقد رأيت فلن تترك مائدة القمار بعد ذلك قطء عناداً وإصراراً أو خنقاً وغيظًء وستقامر بكل شيء) ستقامر بكل شيء! إن المرء في مثل هذه الحالة لا يئوب إلى رشده. وعندئل.) عتدئك. .. قال الجنرال مؤيداً : - وعندئذ ستضيع الأسرة كلها. .. إنناء أنا وأسرتي) وَرَنّتهاء 140 1\_طماع © :سا1

Page#141

فليس هناك من هو أقرب إليها منا. وإني لأقول لك بصراحة: إن أموري مضطربة) مضطرية أشد الاضطراب. ولعلك تعرف طرفاً من ذلك... فإذا خسرت مبلغاً ضخماً أو إذا خسرت ثروتها كلها وهذا ممكن (يا رب!)) فما عسى أن يصير إليه أولادي (قال الجنرال ذلك وهو يلقي نظرة على دي جريو)؛ وما عسى أن أصير إليه أنا (قال هذا ونظر إلى مدموازيل بلانش التى أشاحت وجهها باحتقار). أنقذنا يا ألكسي إيقانوفتش! ْ قلت: - ولكن كيف يا جنرال) قل لي كيف أستطيع أن... أية سلطة لي عليها؟ قال: - أرفض) أرفضء) أتركها! . . فصحت أقول: فقال دي جريو مقاطعاً مرة أخرى: - ليس هذا هو الموضوع! ليس هذا هو الموضوع! لا لا تتركهاء تخسر كثيرأء سلّها بطريقة من الطرق. - ولكن كيف أفعل؟ ليتك تتولى هذا الأمر بنفسك يا مسيو دي جريو! فما أن قلت هذا الكلام حتى رأيت يت نظرة سريعة) محرقة) متسائلة) تلقيها مدموازيل بلانش على دي جريو. فإذا بوجه دي جريو يتخذء في مدى لمحة طرف) تعبيراً خاصاً صادقاً لم يستطع إخفاءه. المصيبة أنها لن تقبل هذا في أغلب الظن! 141 1\_طماع © :سا1

Page#142

كذلك هتف دي جريو وهو يحرك يده بإشارة عجز. أما إذا. . ثم ألقى دي جريو نظرة ذات دلالة على مدموازيل بلانش. فإذا بمدموازيل بلانش نفسها تجيء إليّ وهي تبتسم ابتسامة فاتنة) فتتناول كلتا يديّء وتشد عليهاء وتقول لي: - عزيزي السيد ألكسيء) كن طيباء كن شهماً. إن هذا الوجه الشيطاني يعرف كيف يتحول على الفور! إن وجهها يعبّر الآن عن ضراعة كبيرة) ولطف عظيم) إلى ابتسامة كابتسامة الأطفال. ومكر كمكر الأطفال. حتى لقد توججهت إليَء في ختام عبارتهاء بغمزة عابثة مختلسة؛ أتراها تريد أن تغزوني؟ إنها تعرف كيف تفعل ذلك) ولكن الأسلوب كان هنا مفضوحاً! وانبجس الجنرال وراءها (نعم #انبجس)) هذه هي الكلمة)ء فأخذ ألكسي إيفانوقتش) إغفر لي الطريقة التي استعملتها في التعبير منذ هنيهة؛ ليس ذلك ما كنت أريد أن أقوله تماماً. فإنما أنا أرجوك. بل أضرع إليك. وأنحني لك حتى الحزام على الطريقة الروسية. أنت وحدكء وحدك تستطيع أن تنقذنا! أنا ومدموازيل دي كومنج نتوسل إليك) نبتهل إليك. أنت فاهم؛ أنت فاهم) أليس كذلك؟ قال هذه العبارة الأخيرة وهو يدلني بنظرته على مدموازيل بلانش . كان يُرئى لحاله حقاًء كان يبعث على الشفقة. وفي هذه اللحظة ثُقر الباب ثلاث نقرات خفيفة مهذبة. فلما تتح للطارق) ظهر خادم الطابق) وظهر وراءه) على مسافة بضع خطوات) يوتايتش واقفاً. لقد أرسلتهما الجدة) وأمرتهما أن يبحثا 142 \_طماع !© :اعاااسس 1

Page#143

قال يوتايتش: إنها غاضبة . - ولكن الساعة لم تتجاوز الثالثة والنصف. - لم تستطع أن تنام لم تزد على أن التفتت) ثم إذا هي تنتصب فجأة) فتطلب كرسيهاء وترسل تستدعيك. هي الآن على باب الفندق. صاح دي جريو يقول: امرأة فظيعة . ووجدت الجدة فعلاً عند فسحة المدخل) حائقة من غيابي. لم تطق الانتظار حتى الساعة الرابعة. هيا. قدني إلى هناك! وعدنا إلى الروليت. 143 1\_طماع © :سا1

Page#144

الفصل الثاني عشر 3 الجدة مهتاجة اهتياجاً شديداً. وكان واضحاً أن الروليت لم تحاصر فكرها. إنها لا تنتبه الآن إلى شيء آخر غير الروليت) وتبدو ذاهلة ذهولاً قوياً على وجه العموم. من ذلك مثلاً أنها لم تلق على أسئلة أثناء الطريق كما فعلت في الصباح. وحين لمحت عربة فخمة تتبختر أمامناء حركت يدها قليلاً تسألني عن صاحب العربة) ولكنها لم تسمع جوابي في أغلب الظن. وكان يقطع استرسالها في الأحلام حركات متقطعة تنبىء عن نفاد الصبرء فرأيت البارون والبارونة فورمرهلم؛ فأشرت إليهما وسميتهماء نظرت إليهما نظرة ذاهلة تدل على أنها لا تكترث للأمر أقل اكتراث) ولم تزد على أن قالت: (هه!) وهي تلتفت بحركة قوية نحو يوتايتش ومارتا اللذين كانا يتبعانهاء فتقول لهما: - ما لكما تلازماني؟ لن أصحبكما في كل مرة! عودا. .. وأضافت تقول لي حين انصرف الآخران بعد أن ودّعاها بتحية سريعة : 144 1\_طماع © :سا1

Page#145

كانت الجدة تُنتظر في الكازينو. وسرعان ما ُحجز لها المكان نفسهء قرب القيّم . يُخيّل إليّ أن هؤلاء القيميّين الذين يظهرون بمظهر الموظفين المتجردين الذين يكاد يستوي عندهم أن تربح الخزنة أو أن تخسرء ليسوا في حقيقة الأمر غير مبالين بالخزنة. فلا شك أنهم مزوّدون بتعليمات لاجتذاب المقامرين؛ والحرص على مصالح الضرائب) ولا شك أن هذا يعود عليهم بمكافآت وهبات. إن أقل ما يقال هو أنهم كانوا ينظرون منذ الآن إلى الجدة نظرتهم إلى ضحية. ووقع ما كان يتوقعه جماعتنا . وإليكم كيف جرت الأمور: اختارت الجدة الصفر رأساًء وأمرتني أن أحط اثني عشر فردريكاً دفعة واحدة. فحططنا مرة أولى) فمرة ة ثانية) فمرة ثالثة... ولكن قائلة: (استمرء استمر). فكنت أطيع الأوامر. وسألتني أخيراً وهي تصر بأسنانها من شدة الغيظ والحنق: كم مرة لعبنا؟ - اثنتي عشرة مرة. وقد خسرنا مائة وأربعة وأربعين فردريكاً. أعود فأقول لك. قد يجيء المساء قبل أن. . أسكت. حط على الصفرء وحط ألف فلورين أيضاً على الأحمر. هاك ورقة نقدية. فخرج الأحمرء ولكن الصفر امتنع عن الخروج في هذه المرة أيضاً. ولمحت الألف فلورين. قالت الجدة بصوت خافت: على الصفر. وسننصرف بعد عشر دورات. 145 1\_طماع © :سا1

Page#146

ولكن العجوز استغنت عن الصفر بعد خمس دورات. قالت لي آمرة: دعك من هذا الصفر المنحوس. خذ. حط أربعة آلاف فلورين على الأحمر. هذا كثير يا جدة!... ماذا إذا لم يخرج الأحمر؟ ولكنها أوشكت أن تضربنى (هذا إلى أن لكزات كوعها كانت لطمات حقا)ء وكان لا بد من الامتثال لأمرهاء فوضعت على الأحمر الأربعة آلاف فلورين التي ربحناها في الصباح. وأخذت الدائرة تدور. كانت الجدة هادئة) منتصبة القامة) معتزةء وائقة من أنها ستربح. صاح القيّم : - صفر. فلم تفهم الجدة في أول الأمر؛ ولكنها حين رأت القيّم يلم ألوفها الأربعة من الفلورينات مع كل ما كان موجوداً على المائدة) فأدركت أن الصفر الذي ظل مختفياً طوال تلك المدة والذي حططنا عليه ما يقرب من مائتي فردريك) قد ظهر الآنء كأنما عن عمد وقصدء بُعيّد أن أهانته وهجرته) صرخت صرخة تعجب) وصفقت كفا بكف صققاً مدوياً. فأخذ الناس من حولها يضحكون. صرخت الجدة بصوت حاد تقول: - يا قديسي الجنة! ها هو ذا يخرج الآنء هذا الجرو! الذنب ذنبك. هذا كله ذنبك (قالت ذلك وهي تهجم علي حانقة وتأخذ - يا جدة؛ أنا حاولت أن أردك إلى التعقل) ولست مسؤولاً عن جميع الحظوظ . 146 \_طماع !© :اعاااسس 1

Page#147

- لسوف أعطيك حظوظاً. هيا انصرف! قلت وأنا أتحول عنها كمن يريد أن ينصرف: وداعاً يا جدة. - ألكسي إيقانوقتشء) ألكسي إيقانوفتش! إبق معي . إلى أين أنت ذاهب؟ إبق) إبق قليلاً أيضاً. أنا الحمقاء. أنا الغبية. قل لى الآن ما - لن أنصحك بشيء بعد الآن يا جدة) حتى لا تلوميني. إلعبي بنفسك . أنت تأمرين) وأنا أحط . ا - طيب طيب: حط أيضاً أربعة آلاف فلورين على الأحمر. إليك محفظتي (قالت ذلك وهي تخرج محفظتها من جيبها وتمدها إليَ) . أسرع . فيها عشرون ألف روبل. تمتمت أقول: - يا جدة! هذه مبالغ. . . - أوثر أن أشنق على أن لا أسترد. حط. حط أيضاً. حط أيضاً. حط ثمانية آلاف دفعة واحدة. هذا محظور يا جدة. الحد الأقصى الذي يجوز حطه هو أربعة آلاف. حط إذن أربعة آلاف. أرأيت؟ أرأيت؟ حط أربعة آلاف أخرى. 17 1\_طماع © :سا1

Page#148

ضاعت الاثنا عشز ألف فلورين يا جدة. أعرف أنها ضاعت. ثم أضافت مدمدمة؛. وهي جامدة النظر كأنها تفكر: أعرف أنها ضاعت يا عزيزي) أعرف. هيه! سوف أخسر هنا جلدي نفسه. ولكن لا ضير... حط أربعة آلاف فلورين أخرى. روسية بفائدة خمسة في المائة) وبضعة سندات؛ أما المال فلا مال. - وفي كيسي؟ - نقود صغيرة يا جدة. - ألا يوجد هنا صرافون؟ لقد قيل لي إن في وسعنا أن نبدّل جميع ما معنا من سندات وصكوك. - تستطيعين تبديل كل ما تريدين تبديله. ولكنك ستخسرين في عملية التبديل. . . ألا أن يهودياً ليرتعش من هذا. - سخافات! أريد أن أسترد مالي. قدني إلى الصرافين. استدع هؤلاء الأوغاد. فدحرجت الكرسي) وهرع الحمالون يدركونناء وخرجنا من الكازينو. قالت الجدة آمرة: - مزيداً من السرعة) مزيداً من السرعة! أرني الطريق يا ألكسي إيقانوقتش . . . خذنا إلى أقرب صراف... أهو بعيد؟ - على مسافة خطوتين يا جدة. 148 \_طماع !© :اعاااسس 1

Page#149

ولكن) عند المنعطف. حين اجتزنا الساحة وسلكنا طريق أشجار الكستناء؛ صادفنا جماعتنا كلها: الجنرال ودي جريو ومدموازيل بلانش وأمهاء ولم تكن باولين ألكسندروقنا معهمء ولا مستر آستلي . هيا بناء هيا بنا. لن نتوقف. ماذا تريدون؟ ليس في وقتي متسع لكم! كذلك صاحت الجدة. خسرت كل ما ربحته في الصباح) واثني عشر ألفاً زيادة. ونحن ذاهيون نبدل سندات فائدتها خمسة في المائة. فضرب دي جريو الأرض برجله) وهرع ينبىء الجنرال بالخبر. وكنا ما نزال ندفع كرسي الجدة. فتمتم الجنرال يقول لي وقد جن جنونه غضباً: إمنعهاء إمنعها. حاول ذلك أنت! فقال الجنرال وهو يقترب: - يا عمتي) يا عمتي الطيبة. . . نحن ذاهبون. . . نحن ذاهبون فقالت الجدة بحركة من نفد صبره لتدفعه عنها: إذهب أنت وقمتك إلى الشيطان! فاستأنف الجنرال يقول وقد فقد الأمل في هذه المرة: - يوجد هنالك قرية. . . نحتسي فيها الشاي. . . 149 1\_طماع © :سا1

Page#150

وأضاف دي جريو بلهجة تنم عن عداوة كاسرة: - وسنشرب لبنأ على العشب الطري الأخضر. لبن)ء عشب طري أخضرء ذلك أقصى ما يتخيله بورجوازي باريسي من متعة شعرية؛ ذلك هوء كما تعرفون) كل تصوره للطبيعة والحقيقة . قالت الجدة: - لا يهمني لبنك. إذهب فاشرب منه وحدك. أما أنا فاللبن يؤذي معدتي. لماذا تلح؟ قلت إن وقتي لا يتسع! صحت أقول للجدة: - وصلنا يا جدة! ودفعنا كرسيها نحو المكان الذي يوجد فيه مكتب الصراف. ومضيت أنا أتولى تبديل السندات) ولبثت الجدة تنتظرني عند المدخل. وظل دي جريو والجنرال وبلانش بعيدين لا يعرفون ماذا عساهم صانعين. ورشقتهم الجدة بنظرة غضبىء) فساروا في الطريق إلى الكازينو. الجدة ما تأمر به. فصاحت الجدة وهي تصفق يدا بيد: -1... يا لهم من لصوص! ولكن اقبل مع ذلك. - سيان. أدع أحد الموظفين. آه... يا للصوص! ورضي الموظف أن يخرج حين علم أن التي تستدعيه كونتيسة عجوز ضعيفة عاجزة. فألقت عليه العجوز خطاباً طويلاً) وصفته فيه 150 1\_طماع © :سا1

Page#151

بأنه نشالء) وبأنه مختلس) وبأنه. .. وكان خطابها مزيجأاً من روسية وإنجليزية وألمانية) فكنت مضطراً أن أترجمه له. فكان الموظف) القاسي الوجهء ينظر إلينا كلينا هازاً رأسه دون أن ينبس بكلمة؛ حتى لقد كان يتفرس في الجدة باستطلاع ملحاح يقارب قلة الأدب. ثم صرحت الجدة تقول: طيب طيب. . . هيا. . . إن شاء الله يخنقك مالي. بدّل عنده يا ألكسي إيانوقتش؛ ليس لدينا متسع من الوقت) فإن لم نبدل عنده كان علينا أن نمضي إلى غيره. . - هو يذّعي أن غيره يعطي سعراً أبخس من سعره. لا أتذكر الآن كم كانت (العمولة) على وجه الضبطء ولكنها كانت رزية. قبضت اثني عشر ألف فلورين) دنانير ذهبية وأوراقاً نقدية) وأخذت فاتورة الحساب) ومضيت بها إلى الجدة. قالت الجدة وهي تحرك يدها: حتى إذا صرنا قرب الكازينو دمدمت قائلة : لن أحط شيئاً بعد الآن قط لا على الصفر المنحوسء) ولا على الأحمر. وحاولت في هذه المرة) بكل ما أوتيت من قوة) أن أقنعها بأن لا نحط إلا مبالغ ضئيلة في أول الأمرء حتى إذا رأينا الحظ يواتينا أخذنا نحط مبالغ ضخمة. ولكنها كانت نافدة الصبرء فرغم أنها استجابت لحججي في البداية) لم تستطع أن تملك زمام نفسها أثناء اللعب. وما أن أخذت تربح عشر فرديكات أو عشرين حتى راحت تلكزني بكوعها قائلة : 1531 1\_طماع © :سا1

Page#152

أرأيت؟ أرأيت؟ لقد رحناء فلو قد حططنا أربعة آلاف فلورين بدلاً من عشرء إذن لربحنا أربعة آلاف. أما الآن... إن الذنب في ذلك كله ذنبك . فقررت أخيراً أن أصمت وأن أعدل عن إسداء النصح لها بتاتأء رغم ما كنت أشعر به من غيظ حين أراها تقامر بهذه الطريقة. وها هو ذا دي جريد ينبجس على حين فجأة. لقد كانوا هم الثلائة في أطراف القاعة. لاحظت أن مدموازيل بلانش كانت منتحية جانباً مع أمها في صحبة الأمير القصير تلاطفه وتتودد إليه. وكان واضحاً أن الجنرال منبوذء حتى ليكاد يكون منفياً. إن مدموازيل بلانش ترفض حتى أن تنظر إليه) رغم تقربه منها واحتفاله بها. مسكين هذا الجنرال! لقد كان يصفرٌ ويحمَرُ ويرتعش) منصرفاً حتى عن مراقبة مقامرات الجدة. وخرجت بلانش أخيراً مع الأمير) فهرع الجنرال يعدو في أثرهما. قال دي جريو مُوَشْوشاً الجدة بصوت متلطف متظرف: مدامء مدام. .. هذا اللعب لن يربح. . . مستحيل. قال ذلك بلغة روسية رديئة. فسألته الجدة: - فماذا أفعل إذن؟ قل لي ما ترى أن أفعله! فأخذ دي جريو يتكلم بالفرنسية متدفقاء ويسدي النصائح تلو النصائح) ويقول إنه كان عليها أن تنتظر.موافاة الحظء حتى لقد أخذ يجري بعض الحسابات. لم تفهم الجدة شيئاً. وكان دي جريو يلتفت إليَ في كل لحظة من أجل أن أترجم. وكان يسدد إصبعه نحو المائدة يُظهر الجدة على ما يريد إظهارها عليه وتناول آخر الأمر قلماً فألقى على الورق بعض الأرقام. فنفذ صبر الجدة) فقالت له: 152 1\_طماع © :سا1

Page#153

امض) امض! ما أراك قائلاً إلا خزعبلات: المدام) مدام؟. وأنت لا تفقه شيئاً! هيا اذهب. فتمتم دي جريو يقول مستأنفاً التوضيح والشرح) وكان جلياً أنه فأمرتنى الجدة قائلة: طيب. .. حط مرة كما يقول: فقد ينجح نصحه. كان كل ما يريده دي جريو أن يمنعها من حط مبالغ) ضخمة : فاقترح عليها أن تحط على الأرقام منفصلة متسلسلة. فاتبعت رأيهء فحطت فردريكا على سلسلة من الأعداد الشفعية في الاثني عشر اثني عشر إلى ثمانية عشر ومن ثماية عشر إلى أربع وعشرين: وبذلك حططنا مبلغاً مقداره ستة عشر فردريكا. وأخذت الدائرة تدور. بهذا صاح القيّم. فخسرنا كل ما حططناه. هتفت الجدة ملتفتة نحو دي جريو تقول: ما هذا القوق الذي جاءنا! ما هذا الفرنسي السخيف! انظر إلى هذا الطِرْح يسدي إلنا بنصائحه! هيا امضء؛ امض. لا يفقه شيئاً ثم فاستاء دي جريو استياءً فظيعاً. فرفع كتفيه استخفافاء وألقى على الجدة نظرة احتقار)ء ثم انسحب. لقد شعر بالعار من تدخله في شأنها وتعريض نفسه للمهانة منهاء ولكنه لم يطق أن يمنع نفسه عن ذلك. 153 1\_طماع © :سا1

Page#154

وما انقضت ساعة واحدة) إلا وقد خسرنا كل شيء) رغم جميع لنعد إلى المنزل . طريق أشجار الكستناء. وهناك) في هذا الطريق) حين أوشكنا أن نصل إلى الفندق) أفلتت من لسانها عبارات كهذه: يا لي من بلهاء! يا لي من حمقاء! ما أنا إلا عجوز غبية. . حتى إذا صرنا في مسكنها صاحت تقول: - إليّ بشيء من الشاي. ولنتهيأ للسفر رأسأ بعد ذلك. سوف نسافر. قالت مارتا مجازفة: - إلى أين تريدين أن تذهبي يا سيدتي الطيبة؟ فأجابتها الجدة: أهذا شأنك؟ اهتمي بأمورك أنت. يا يوتايتش) هيىء جميع الأمتعة. نحن عائدون إلى موسكو. لقد خسرت خمسة عشر ألف روبل فضة. خمسة عشر ألفاء يا سيدتي العزيزة؟ رباه رباه! هكذا صاح بوتابتش) وهو يضرب كفاً بكفء مظهراً الإشفاق والحزن) لاعتقاده أن هذا يرضي سيدته. - هيا هيا أيها الغبي! ها هو ذا قد أخْذْ يتباكى! أسكت. وامض هيىء السفر. وليأتوني بفاتورة الحساب بأقصى سرعة. قلت من أجل أن أهدىء روعها: - يسافر القطار التالي في الساعة التاسعة والنصف)ء يا جدة. 134 1\_طماع © :سا1

Page#155

وكم الساعة الآن؟ - السابعة والنصف. شيء مضجر! لا بأس! ألكسي إيانوفتش) لم يبق معي قرش واحد. إليك بهاتين الورقتين النقديتين؛ فأسرع إلى هناك لتبديلهماء وإلا لم يكن معي ما أسافر به. فخرجت ممتثلاً لأمرها. حتى إذا رجعت بعد نصف ساعة وجدت جميع أصدقائنا عند الجدة. كانوا كمن أذهلهم نبأ رحيلها المفاجىء إلى موسكو. أكثر ما أذهلهم نبأ الخسارة التي منيت بها في الروليت. ما عسى أن يصير إليه الجنرال بعد رحيلهاء مع التسليم بأن رحيلها هذا ينقذ ثروتها من الضياع؟ من ذا الذي سيرد إلى دي جريو ديونه؟ إن مدموازيل بونش لن تنتظر موت الجدة) ولا شك أنها ستنسلٌ مع الأمير الصغير أو مع شخص آخر. لقد كانوا جميعاً . هنالك) أمام الجدةء يحاولون أن يواسوها وأن يردوها إلى الصواب. وكانت ياولين غائبة في هذه المرة أيضاً. وكانت الجدة تصليهم ناراً من السب المقذع والشتم القاسي . ابعدوا عن طريقي أيها الجن! لماذا تتدخلون في شئوني؟ فيم تأتي لحية التيس هذا فتتحكك بي؟ (بهذا كانت الجدة تصيح في وجه دي جريو). وأنت يا بيغاء؛ ماذا تريدين؟ (بهذا قذفت مدموازيل بلانش) مالك تتهززين؟ . كانت عينا مدموازيل بلانش تقدح شرراً من شدة الغضبء فما لبثت أن دمدمت تقول: 155 1\_طماع © :سا1

Page#156

- لسوف تعيش مائة عام. فصاحت الجدة بصوت حاد تقول للجنرال: - إذن فأنت تعوّل على موتي! هيا أغرب عن وجهي. يا ألكسي إيقانوقتش) اطردهم جميعاً! ما شأنكم أنتم؟ لقد خسرت مالي أنا لا مالكم أنتم! فرفع الجنرال كتفيه) وحنى ظهرهء وخرج) وتبعه دي جريو. قالت الجدة تأمر مارتا: - ناد براسكوقيا. فما هي إلا خمس دقائق حتى عادت مارتا مصطحبة ياولين. لقد ظلت باولين طوال تلك الفترة في غرفتها مع الأطفال (لا شك أنها قررت عامدة أن لا تخرج في ذلك النهار). وكان وجهها ينم عن حزن وهم بادرتها الجدة بقولها: أصحيح يا براسكوقيا ما علمته منذ قليل على نحو غير مباشر من أن زوج أمك يريد أن يتزوج تلك المرأة المذبذبةء تلك (الفرنسية) التي لا أدري أهي ممثلة أم هي شر من ذلك أيضاً؟ قولي لا أعلم شيئاً علم اليقين يا جدة) ولكنني أستنتج من أقوال مدموازيل بلانش التي لا ترى أن من المفيد أن تخفي الأمرء أستنتج فقاطعتها الجدة قائلة بلهجة قوية: - كفى. فهمت كل شىء! ولقد كنت دائماً أقدّر أنه سينتهى إلى هذه النهاية) وكنت دائماً أعدّه أفرغ رجل وأطيش رجل على وجه, 156 \_طماع © :اعاخاسد1

Page#157

الأرض . إنه يتباهى برتبة الجنرال التي يحملها (وقد أخذها حين أحيل على التقاعد وهو في رتبة كولونيل)) ويتخذ أوضاع الأبهة والعظمة. ولكنني أعرف كل شيء يا عزيزتي؛ أعرف أنكم أرسلتم البرقية تلو البرقية إلى موسكو تسألون: (هل ماتت الجدة العجوز؟ تنتظرون أن ترئوني. ولولا هذا المال لما كان لهذه المخلوقة (ما اسمها؟ دي كومنج فيما أظن!) أن ترضاه خادماً لها بأسنانه المصنوعة هذه! يقال إنها تملك مالا كثيرأء وأنها تُقرض بالرباء وأنها كرّنت لنفسها كنزأً. لست أتهمك يا براسكوقياء فما أنت التي أرسلت البرقيات) ولا أريد أن أعود إلى الماضي. أنا أعلم أن لك طبعاً سيئاً. . أنا أعلم أنك... زنبور. . . ذا لسع أوجع وأورم! ولكئني أشعر بالشفقة عليك) لأنني كنت أحب والدتك المرحومة كاترين) فاسمعي ما سأقوله لك: دعي كل هذاء وتعالي معي. ليس هناك مكان تذهبين إليه) وليس يليق بك أن تبقي معهم الآن. انتظري)ء (قالت الجدة ذلك لباولين حين همت باولين أن تجيبها) لم أتم كلامي بعد. لن أطلب منك شيئاً. أنت تعرفين منزلي بموسكو: إنه قصر. لسوف تحتلين طابقاً بأسره إذا شئت؛ وفي وسعك أن تمكثي أسابيع بكاملها دون أن تجيئي إليَ إذا كان طبعي لا يرضيك. أتقبلين أم لا؟ - اسمحي لي أن ألقي عليك أولاً هذا السؤال: أأنت تنوين حقأ أن ترحلي على الفور؟ - هل يظهر في وجهي أنني أمزح؛ يا صغيرتي؟ قلت إنني سأسافرء فسأسافر. خسرت اليوم خمسة عشر ألف رويل فضةء في هذه الروليت المنحوسة الملعونة. 1537 \_طماع !© :اعاااسس 1

Page#158

والموجودة في أراضيّ حوالي موسكوء نذرت أن أعيد بناءها بحجر؛ فبدلاً من أن أحقق النذرء رحت أدمر نفسي اليوم في القمار. وإنني أسافر الآن يا عزيزتي لأنفذ النذر فأعيد بناء كنيستي . والمياه المعدنية يا جدتى؟ لقد جئت إلى هنا للاستشفاء بالمياه دعيني من مياهك المعدنية! لا تغضبيني يا يراسكوقيا! أ تفعلين هذا عامدة؟ قولي: أتجيئين معي أم لا تجيئين؟ فبادرت ياولين تقول بانفعال وتأثر: - أنا يا جدتي ممتنة أشد الامتنان لما تعرضينه علي من إيوائي في منزلك. لقد حزرت بعض الوضع الذي أنا فيه. فأنا أشكر لك ذلك أجزل الشكرء بل أبلغ من هذا الشعور بالجميل الذي تقدميئه لي أنني قد ألحق بك قريباًء صدقيني. أما الآن فهناك أسباب. . . هامة. . . فلا أستطيع أن أعزم أمري وأتّخذ قراري على الفور. ولكن إذا مكثت هنا ولو خمسة عشر يوماً. . - إذن أنت لا تريدين؟ - لا أستطيع. يضاف إلى ذلك أنني لا أقدر على ترك أخي ضم الطفلين يا جدتي) فلا شك في أنني سأجيء إليك؛ وثقي أنني سأكون جديرة بهذا (أضافت ياولين هذه العبارة اللأخيرة بحرارة وحماسة). أما بدون الأطفال) فلا أستطيع يا جدتي. . - طيب طيب. . . دعيك من التباكي (والحق أن باولين لم يخطر ببالها أن تتباكى) ثم إنها لم تذرف في حياتها دمعة) سنجد مكاماً للأفراخ: العش واسع سعة كافية. ثم إنه قد آن للطفلين أن يذهبا إلى 158 1\_طماع © :سا1

Page#159

المدرسة. إذن لن تسافري الآن. خذار يا يراسكوقيا! إننى أريد لك الخيرء وأعلم لماذا تريدين أن تسافري... إنني أعرف كل شىء يا يراسكوقيا! لا تتوقعي خيراً من هذا الفرنسي الصغير الحقير. 7 احمرت باولين احمراراً.شديداً. وارتعشت أنا (كانوا جمعياً يعلمون.. وكنت أنا الجاهل الوحيد) . لا أريد أن أفيض في هذا الموضوع. ولكن حذار أن تقع كارثة. . هل تفهمين ما أريد أن أقول؟ أنت فتاة ذكية) ولسوف يحي في نفسي أن يصيبك سوء. حسبي هذا الآن. ولا ترينى وجهك بعد اليوم! هيا اذهبي . وداعاً . ‎١ ١‏ قمة الرأس. قلت باولين يد الجدة) ولكن الجدة سحبت يدها وقبّلت الفتاة على خدها. وحين مرت باولين أمامي ألقت عليّ نظرة سريعة) ثم أشاحت - أودّعك أنت أيضاً يا ألكسي إيفانوقتش! لم يبق لسفر القطار إلا ساعة واحدة. وما أحسب إلا أنك قد تعبت مني. خذ هذه الخمسين فردريك. - أشكر لك هذا أجزل الشكر يا جدة ولكنني لا أجرؤ أن. .. فصاحت الجدة تقول بصوت بلغ من العنف والتهديد أنني لم أتجاسر أن أرفضء فتناولت 'المال. 159 1\_طماع © :سا1

Page#160

وأضافت قولها: - إذا وُجدت يوماً في موسكو بغير وظيفة) فتعال إليّ لأوصي بك . والآن هيا الصرف. . . مضيت إلى غرفتي وتمددت على سريري. لبئت مستلقياً على ظهري) طاوياً ذراعّ تحت رأسي) قرابة نصف ساعة. لقد انفجرت الكارثة) وثمة ما يوجب التفكير. وقررت أن أحدّث باولين في الغداة جاداً. هه! الفرنسي الصغير. الأمر إذن صحيح! ولكن ما الذي عساه حدث؟ ياولين ودي جريو؟ يارب يارب! أي تقارب هذا التقارب؟ . حقاً إن هذا أمر لا يصدقه العقل. ورأيتني أنهض فجأة وقد خرجت عن طوريء) لأمضي باحثاً عن مستر آستلي على الفور) ولأحمله على الكلام مهما كلف الأمر. لا شك عندي في أنه يعرف عن هذا الأمر أكثر مما أعرف. مستر آستلي؟ ألا إنه لغز هو أيضاً! . ولكنني ما لبئت أن سمعت طرقاً على باب غرفتي) ففتحت لأرى من عسى يكون الطارقء فوجدتني أمام بوتايتش. - يا سيدي الطيب ألكسي إيقانوقتش): إن سيدتي تطلب أن تجيء - ماذا جرى؟ هل عدلت عن الرحيل؟ لم يبقّ لسفر القطار إلا عشرون دقيقة؟. - إنها مضطربة أشد الاضطراب يا عزيزي) لا تكاد تستطيع الاستقرار في مكانها. (أسرعء أسرع!) إنها تطلبك أنت) ناشدتك الله لا تتأخر! . فنزلت حالاً. فوجدت العجوز قد نقلت إلى الدهليزء وفى يدها محفظة نقودها. فما أن رأتني حتى قالت: 1 160 1\_طماع © :سا1

Page#161

ألكسى إيقانوقتش). سر أمامناء إننا ذاهبون إلى هناك , - إلى أين يا جدة؟ . - لسوف أسترد مالي ولو كان عليٌ أن أهلك! هياء امش. لا تلق علي أي سؤال. اللعب يستمر إلى منتصف الليل) أليس كذلك؟. 7 جمدت في مكاني مطرقاً أفكر. ولكنني ما لبثت أن اتخذت قراراً. 1 ‎١ ١‏ لماذا؟ ما الذي جرى؟ أية ذبابة لسعتكم جميعاً؟ . - لك ما تشائين يا جدة. ولكنني لا أريد أن أندم في المستقبل) لا أريد. لن أكون لا شاهداً ولا مشاركاً. اعفيني من هذا يا أنطونين كاسيليقنا! إليك الخمسين فردريكا التي أعطيتنيهاء والوداع! . قلت هذا ووضعت لفة الدنانير الذهبية على منضدة صغيرة كانت موجودة إلى جنب كرسي الجدة)؛ ثم حبيت وانصرفت. صاحت الجدة تقول: ما هذه البلاهة! طيب) لا تجىء؛ سأعرف الطريق بنفسي. تعال معي يا يوتايتش. هيا جروني!. لم أعثر على مستر آستلي) فعدت إلى الفندق. وفي وقت متأخر من الليل) في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل) عرفت من يوتايتش كيف انتهى يوم الجدة. لقد خسرت كل ما كنت قد بذّلته لهاء أي عشرة آلاف روبل أخرى. إن البولوني الذي سبق أن أهدت إليه دينارين) قد تعلق بأذيالهاء ووجّه لعبها طوال الوقت. اعتمدت في أول الأمر على بوتابتش. ولكنها لم تلبث أن طردته. وفي تلك اللحظة إنما ظهر اليولوني. ومن المصادفات التي تشبه أن تكون مقصودة أن هذا البولوني كان يفهم اللغة الروسية) وكان يرطن بعض 161 \_طماع !© :اعاااسس 1

Page#162

الرطن بخليط من ثلاث لغات) فأمكن أن يتفاهما. وكانت الجدة تقسو عليه قسوة شديدة وتغلظ له القول رغم أنه (يزحف بين قدميها زحفا). وأضاف يوتايتش يحكي القصة قائلاً: لا وجه للمقارنة بينك وبينه يا ألكسي إيقانوقتش. لقد كانت تعاملك أنت معاملتها سيدا من السادة. أما الآخر (رأيته بأم عيني) وليصعقني الله صعقاً إن كنت كاذباً) فقد كان يسرق مالها على مرأى ووصفته بجميع الأوصاف) بل لقد شدت شعره. صحيح لست أكذب. وقد ضحك الناس من ذلك. خسرت كل شيء يا سيدي الطيب: خسرت كل ما كان معهاء كل ما بِدَّلتَه لها. ورجعنا بها إلى هناء السيدة العزيزة. فما زادت على أن طلبت كأساً من ماء. ثم رسمت إشارة الصليب) ومضت إلى فراشها على الفور. أسأل الله أن يبعث إليها بأحلام ملائكية! . آه آه من البلاد الأجنبية! لقد قلت إن هذه الرحلة إلى الخارج لن تأتي بخير. فلنعد بسرعة إلى مدينتنا العزيزة موسكو. ماذا كان ينقصنا هنالك؟. .. حديقة جميلةء. وأزهار لا نرى لها هنا مثيلاً وهواء نقي. وأشجار غضة؛ ومكان فسيح. . لا يجب أن نسافر إلى الخارج. آه آه. . 162 1\_طماع © :سا1

Page#163

الفصل الثالث عشر 9ع شهر تقريباً لم ألمس هذه المذكرات التي بدأت كتابتها وأنا كلد نهب مشاعر مضطربة مشوشة لكنها قوية عنيفة. إن الكارثة التي كنت أحس اقترابها قد وقعتء. ولكنها جاءت أقوى وأسرع مما كنت أتصورء مائة مرة. كان كل شيء عجيباً فاضحاًء بل فاجعاً. فيما يتصل بي أنا على الأقل. لقد وقعت لي أمور تشبه أن تكون معجزات؛ أو هذا ما أراه فيها حتى الآنء رغم أنها لا تكاد تستحق أن توصف إلا بأنها استثنائية بعض الشيء)؛ إذا نحن نظرنا إليها من زاوية أخرى. ولكن المعجزة) بالنسبة إلىّء هي ذلك السلوك الذي سلكته وسط تلك الأحداث. .. إنني ما زلت عاجزاً عن الفهم! ولقد وقع ذلك كله كأنه حلم... وحتى هيامي بياولين يصدق عليه هذا الوصف. ولقد كان حبي قوياً صادقاً مخلصاً مع ذلك. ولكن ماذا أصبح الآن؟ إنه ليخطر ببالي هذا السؤال فجأة في بعض الأحيان: (ترى ألم أكن مجنوناً حينذاك؟ ألم أقضى ذلك الوقت كله في مستشفى من مستشفيات المجانين؟ ألا يمكن أن أكون في مستشفى من مستشفيات المجانين حتى الآن؟ ألا يمكن أن يكون كل ما وقع أشباحاً ظهرت لي وما تزال؟..2. 163 1\_طماع © :سا1

Page#164

ومن يدري؟ لعلني ما جمعت هذه المذكرات وأعدت قراءتها إلا لأقتنع بأنني لم أكتبها في مستشفى من مستشفيات المجانين! أنا الآن وحيد في هذا العالم. لقد جاء الخريف) واصفرّت أوراق الأشجاء . إنني أقيم في هذه البلدة الصغيرة الكالحة (آه ما أشد ما يمكن أن تكون المدن الألمانية الصغيرة حزينة كثيبة!)؟ وبدلاً من أن أفكر في المستقبل) أراني أحيا تحت تأثير ذكريات حديثة) تحت تأثير كل تلك العاصفة التي ما تزال قريبة) تلك العاصفة التي حملتني زوبعتها زماناً ثم ألقتني على الأرض . وما زلت أحس في بعض الحظات أن الزوبعة ستأخذ بي) أن الصاعقة ستنطلق) فيطبق جناحها على أثناء عبورهاء وأننى وقد فقدت التوازن وطاشس صوابي ) سآخل أدور) وأدور) وأدور. 55 على أنني قد أثبت وأكفت عن الدوران, إذا أنا أوجزت كل ما وقع خلال هذا الشهر إيجازاً دقيقاً صحيحاً. إن بي حاجة إلى الإمساك بالقلم من جديد. ثم إنني في بعض الأحيان لا أجد ما أعمله إطلاقاً إذا جاء المساء. ومن عجب أنني) من أجل أن أشغل نفسي) أستعير من القاعة الحقيرة المخصصة للمطالعة في هذه البلدة روايات للمؤلف يول دوكوك (مترجمة إلى الألمانية)) وهي روايات لا تطاق ولا تحتمل) ولكنني أقرؤهاء وأستغرب أنا نفسي لماذا أقرؤها: لكأنني أخشى إذا أنا قرأت كتباً ذات شأن أو شغلت نفسي بأمر ذي بال) أن أنفصل عن عالم السحر والافتتان الذي تبدد منذ تلك المشاعر التي خلفها في نفسي) عزيزة عندي إلى حد أخشى معه كل اتصال جديدء مخافة أن تتبدد دخاناً! أفأكون إذن حريصاً على سأظل أتذكره أربعين سنة. . 164 \_طماع !© :اعاااسس 1

Page#165

ها أنا ذا أمسك بالقلم إذن. وعلى كل حال فإن جميع الأمور يمكن أن تسرد الآن سردا موجزأً سريعاً: ذلك أن أحاسيسى ليست الآن كما كانت من قبل. ‎١‏ ولنبدأ أولاً بالكلام على الجدة فنفرغ منها. لقد خسرت في الغداة كل شيء. وكان لا بد أن يحدث ذلك: فإن من يسير مثلها فى هذه الطريق ينحدر بسرعة ما تنفك تزداد) كأنه يتدحرج على زلاقة من قمة جبل تغطيه الثلوج. لقد ظلت تقامر طوال النهار حتى الساعة الثامئنة من المساء. ولم أشهد أنا ذلك) وإنما رُوِيَ لي. كان بوتايتش يصحبها خفيراً لها في الكازينو من أول النهار إلى آخره. والبولونيان اللذان كانا يوجُهانها قد حل كل منهما محل الآخر عدة مرات. لقد بدأت بطرد البولوني الذي وجهها في الليلة البارحة والذي شدت شعره؛ طردته وأحلت محله يولونياً آخر. ولكن البولوني الثاني كان أسوأ من صاحبه؛ فما لبثت أن طردتهء واستعادت الأول الذي لم يبارح المكان) بل ظل يحوم وراء كرسيها بعد فقدانه حظوتهاء مادا رأسه في كل لحظة من فوق كتفها. وأصبحت الجدة آخر الأمر في حالة انهيار كامل. والبولوني الثاني لم يشأ هو أيضاً أن يغادر المكان: فاستقرٌ أحد الرجلين على يمين الجدة؛ واستقر الثاني على يسارها. وكانا لا ينفكان يتشاجران ويتشاتمان لاختلافهما في الرأي حول المبالغ التي يجب حطها والمواضع التي يجب حطها فيهاء وحول مجرى اللعب على وجه الإجمال) فهما يتراشقان السباب) وينعت كل منهما صاحبه بأنه وغد حقيرء ويصفه بصفات جميلة أخرى مما تجري به ألسنة البولونيين؛ ثم يتصالحانء ويرميان المال ذات اليمين وذات الشمال على كل حال. وكانا إذا اختصما حط كل واحد منهما مبلغا في موضعء فهذا 165 1\_طماع © :سا1

Page#166

يحط على الأحمر مثلاً. وذاك يحط على الأسود. وقد بلغا من إخسار الجدة أنها توسلت إلى قيّم عجوزء والدموع تكاد تترقرق في عينيهاء أن يحميها من هذين الرجلين فيطردهما. وذلك ما تم فورا. رغم صراخهما ورغم احتجاجهماء فقد أخذا كلاهما يرغيان ويزبدان معاً مدعيين أن الجدة مدينة لهما بمال) وأنها خدعتهما وغشتهماء وأنها لم تعاملهما معاملة شريفة. قص علي يوتايتش هذا كله في ذلك المساء نفسه وهو يبكي بدموع غزار) قائلاً إنهما قد ملآ جيوبهماء وأنه رآهما بعينه يختلسان المال جهاراً بغير حياء فيحشوان به جيوبهما. وكان من أعمالهما مثلاً أن يطلب أحدهما من الجدة خمسة فردريكات أجراً له ثم يحط هذا المبلغ مع المبلغ الذي يحطه للجدة على موضع ما من المائدة) فإذا ربحت الحطة صا يقول إنه هو الذي ربح) وإنها هي التي خسرت. فلما ضاقت ذرعا بهما فتم طردهما تدخل بوتايتش قائلاً إن جيوبهما ملأى ذهباً. فأسرعت الجدة تطلب إلى القيّم أن يتخذ الاجراءات اللازمة) وما هي إلا لحظة إذا بالشرطة تظهر) فتفرغ جيوبهما على الفور رغم عياطهما وشياطهماء وترد المال إلى الجدة. إن الجدة تتمتع بمهابة واحترام لدى القيّمين ولدى إدارة الكازينو) ما بقي معها مال. وقد ذاع صيتها في المدينة كلها شيئاً بعد شيء. وصار الناس الذين يستحمون في المياه المعدنية من جميع البلادء أبسطهم وأشهرهم على السواءء يهرعون إلى الكازينو ليروا (تلك الكونتيسة الروسية العجوز التي تقهمقرت إلى الطفولة)؛ وخسرت على مائدة الروليت (عدة ملايين). ولكن الجدة لم يُجَْدِهَا تخلصها من البولونيين إلا قليلاً جداً جداً. فما أن طرد البولونيان حتى ظهر ثالث يعرض عليها خدماته. وكان 166 1\_طماع © :سا1

Page#167

هذا الثالث يجيد الكلام باللغة الروسية إجادة تامة) ويرتدي من الملابس ما يرتديه سّراة القوم) رغم أنه أشبه بخادم. كان هو أيضاً يقبّل (أثار خطوات) السيدة (ويزحف على قدميها"') ولكنه يعامل سائر من حوله في غطرسة) ويأمر كما يأمر طاغية مستبد؛ أي كان يصطنع لا وضع الخادم للجدة بل وضع الوصي عليها. وكان يلتفت إليهاء عند كل ضربة) فيحلف لها بأغلظ الإيمان أنه (سيد؛ محترم وأنه لن يأخذ منها قرشاً واحداً. وبلغ من تكرار هذه الأيمان أن الجدة أصبحت تخشاه حقاً. ولكن لما كان هذا (السيد) قد بدا فى أول الأمر أنه يصحح اللعب). ولما كان قد أخذ يربح) فإن الجدة نفسها لم تعزم أمرها على التخلص منهء وبعد ساعة واحدة عاد البولونيان اللذان طردا من الكازينوء فظهرا وراء كرسي الجدةء يعرضان عليها خدماتهما من جديد) بل ويعرضان عليها أن يشتريا لها ما تريد شراءه. وقد حلف لي بوتايتش أن هذا (السيد المحترم) قد تبادل معهما غمزاتء. بل وأنه أعطاهما بعض المال خلسة. وإذ كانت الجدة جائعة لم تتناول عشاءها ولم تكد تبارح كرسيهاء فقد استطاع أحد البولونيين أن يفيدها فعلاً. فها هو ذا يهرع إلى "بوفيه) الكازينو فيأتيها بفنجان من المرق أولاء وبشيء من الشاي بعد ذلك. والحق أن البولونيين كليهما كانا يسعيان في هذا. ولكن في آخر النهارء حين استطاع الناس أن يدركوا أنها تخسر آخر ورقة مالية تملكهاء كان ستة بولونيين يقفون وراء كرسيهاء لم يسبق أن رآهم أحد قبل ذلك قط. فلما خسرت الجدة آخر نقودها أصبحوا لا يصغون إليهاء بل أصبحوا لا ينتبهون إليها البتة) فهم يميلون على مائدة القمار من فوق كتفيهاء يلمون المال) ويصدرون الأوامرء ويحطون المبالغ؛ ويتشاجرون) ويخاطبون (السيد المحترم) بلا 167 \_طماع !© :اعاااسس 1

Page#168

كلفة. أما هذا (السيد المحترم) فقد نسي حتى وجود الجدة. وحين أفلست الجدة إفلاساً كاملا فأعيدت إلى الفندق في نحو الساعة الثامنة من المساءء كان هناك ثلاثة أو أربعة يولونيين لم يستطيعوا أن يقرروا تركهاء فهم يتراكضون حول كرسيها صائحين منادين) يرددون جهاراً أن الجدة قد خدعتهمء وأنها مدينة لهم بمال. على هذا النحو وصلت الجدة إلى الفندق) وهناك في الفندق طرد البولونيون ركلا بالأرجل . لقد خسرت الجدة في ذلك اليوم) إذا صدقت حسابات بوتابتش) حوالي ستة وثمانين ألف روبل) عدا ما خسرته في الليلة البارحة. لقد أبدلت جميع ما كانت تملكه من سندات على الدولة بفائدة خمسة في المائة) وباعت كل ما كان معها من أسهم واحداً بعد آخر. أدهشني أن الجدة استطاعت أن تظل خلال هذه الساعات السبع أو الثماني) قابعة في كرسيها لا تكاد تترك مائدة القمار لحظةء ولكن بوتابتش روى لي أنها قد أخذت فعلاً) خلال مرتين أو ثلاث مرات) تجني أرباحاً ضخمة) فقوى ذلك عزيمتها وشحذ آمالهاء فلم تملك أن تنصرف. على أن المقامرين يعرفون أن في إمكان المقامر أن يمكث في مكانه أربعاً وعشرين ساعة) حاملاً أوراق اللعب بيديه) وفي أثناء ذلك اليوم؛ كانت تقع أحداث حاسمة في فندقنا. ففي الصباح) قبل الساعة الحادية عشرة) بينما كانت الجدة ما تزال في مسكنهاء اتفقت كلمة أصحابنا على أن يقوموا بمسعى أخير يحسم الأمر (ذلك كان رأي الجنرال ودي جريو). لقد علموا أن الجدة عدلت عن السفرء وعادت إلى الكازينوء فجاؤوا إليها جماعة (باستثناء ياولين) يحدّئونها في الأمر حديئاً جازماً بل وامخلصاً 168 \_طماع !© :اعاااسس 1

Page#169

صادقاً). وكان الجنرال يرتجف وينهار حين يتصور العواقب الرهيبة أن يعنف لها القرل: فبعد أن ظل مدة نصف ساعة يقدم لها الرجاء تلو الرجاء؛ والضراعة تلو الضراعة) بل وبعد أن اعترف لها يهيامه بمدموازيل بلانش (كان قد طاش صوابه تماماً) لم يلبث أن اتخذ لهجة التهديد والوعيد على حين فجأة) بل طفق يصيح ويصرخ ويضرب الأرض بقدمهء ويصيح قائلاً إن الجدة تلطخ شرف الأسرة كلهاء وإنها أصبحت فضيحة في المديئة بأسرهاء ثم إنها أخيراً. . . اتوسخ اسم الروس). وهتف يقول خاتما كلامه (يا سيدتي) إن لهذا الأمر شرطة تمنعه). فما كان من الجدة إلا أن رفعت عصاها فضربت بها الجنرال تطرده من عندها طرداً. وقد تباحث الجنرال ودي جريو مرة أخرى أو مرتين أخريين في ذلك الضحى نفسهء فكانا يتساءلان خاصة: ألا يستطيعان أن يستنجدا بالشرطة فعلاً؛ ألا يستطيعان أن يقولا للشرطة إن هناك امرأة مسكينة) لكنها سيدة عجوز محترمة) قد تقهقرت إلى الطفولة. فهي بسبيل تبديد ثروتها في القمارء إلخ. فهلا يمكن أن تُرْدَعَ أو أن تُمْئَعَ بطريقة من الطرق؟ ولكن دي جريو لم يلبث أن رفع كتفيه هازئاء وانفجر ضاحكاً أمام أنف الجنرال) فأخذ الجنرال وقد نفدت حججه وأسقط في يدهء يذرع حجرته جيئة وذهاباً. وأخيراً حرك دي جريو يده بحركة احتقار) ثم لم يظهر بعد ذلك قط. وعُلم في المساء أنه قد غادر الفندق إلى غير رجعة بعد حديث حاسم سري جرى بينه وبين مدموازيل بلانش. أما مدموازيل بلانش فقد اتخذت إجراءات قاطعة منذ الصباح: فطرديت الجنرال طردة أخيرة) وأصبحت لا تطيق حتى أن يوجد حيث توجد عَرَضاً. وحين جرى الجنرال وراءها إلى 169 1\_طماع © :سا1

Page#170

الكازينوء فصادفها متأبطة ذراع الأمير الصغيرء لم تعرفه لا هي ولا السيدة أرملة دي كومنج؛ ولا حيّاه الأمير القصير. قضت مدموازيل بلانش النهار كله تسبر غور الأمير وتجس نبضه وتداوره بشتى الوسائل بغية أن يصرّح لها آخر الأمر بشيء جازم! ولكن حساباتها كانت خاطئة خطأ صاعقاً واأسفاه! وقد وقعت هذه الكارثة الصغيرة عند المساءء حين اكتشفت فجأة أن الأمير فقير فقر أيوب) حتى أنه كان يعوّل على أن يقترض منها مبلغاً آخر ليقامر في الروليت. فطردته بلانش مستاءة حانقة) وحبست نفسها في غرفتها لا تبارحها. إنني ظللت أبحث عنه طول الصباح دون أن أعثر له على أثر. لم يكن فى الفندق هذه المرة. وفى الساعة الخامسة بعد الظهر لمحته على حين فجأة عائداً من محطة القطار إلى فندق انجلترة. وكان يحث وجهه شيئاً مما يشغل باله أو أي نوع من الاضطراب. مد إلىّ يده مصافحاً فى مودة) مطلقاً صيحته المألوفة ١ها!).‏ ولكنه لم يتوقف بل تابع سيره بخطى سريعة. فلحقت به) ولكنه عرف كيف يجيبني بما لا يدع مجالاً لأي سؤال ألقيه عليه. يضاف إلى ذلك أني كنت أشعر الأمر كذلك. حكيت له ما وقع للجدة) فكان يصغي إلى كلامي في جد وانتباه) ثم لم يلبث أن هز كتفيه . 100 1\_طماع © :سا1

Page#171

- أوهء طبعاً. حين سافرتثٌ أنا كانت قد ذهبت إلى الكازينو لتقامر وكنت على يقين من أنها ستخسر. ولسوف أمضي إلى الكازيئو إذا اتسع وقتي) لأرى الأمور بنفسي) فإن هذا لطريف شائق. . . - إلى أين سافرت؟ كذلك هتفت مدهوشاً من أنني لما أطرح عليه ذلك السؤال بعد. فقال: - إلى فراتكفورت . الأعمال؟. عمَّ كنت أستطيع أن أسأله زيادة على ذلك؟ ثم إنني كنت أحاذيه في السيرء فإذا هو يتجه فجأة نحو فندق (الفصول الأربعة) الذي كان في الطريق) فحياني مودّعاً بحركة من رأسه) واختفى. وفيما كنت عائداً إلى مسكني وصلت شيئاً فشيئاً إلى يقين كامل بأنني لو لبئت أكلمه ساعتين لما استطعت أن أعرف منه شيئاً البتة. لأنني لم أكن أملك سؤالاً ألقيه عليه! نعم) كذلك كان الأمر حتماً. فإنني ما كنت لأستطيع أن أصوغ سؤالي. وقد ظلت ياولين تتئزه في الحديقة طول النهار مع الأطفال والخادمة) أو تمكث في منزلها وحيدة) كانت قد أخذت منذ فترة طويلة تتهرب من لقاء الجنرال) ولا تكاد تكلمه) أو لا تكاد تكلمه في أمور جدية على أقل تقدير. كنت قد لاحظت ذلك مند مدة. لكنني) وقد عرفت كيف كان وضع الجنرال في ذلك اليوم) قدّرت أنه لم يستطع إلا أن يَلْقى الفتاة) أي لا بد أن يكون قد قام بينهما حديث تناول أموراً عائلية هامة. ومع ذلك فإنني حين عدت إلى الفندق بعد المحادثة التي جرت بيني وبين مستر آستلي) التقيت 171 1\_طماع © :سا1

Page#172

بباولين والأطفال) فرأيت في وجهها معاني الهدوء ورباطة الجأش) كأن تلك الزوابع العائلية كلها لم توفر أحداً سواها. حتى إذا حييتها ردت التحية بحركة من رأسها. وصعدتٌ إلى غرفتي مهتاجاً أشد الاهتياج . كنت أتحاشى أن أكلمها طبعاًء ولم ألتق بها مرة واحدة منذ حادئتي مع فورمرهلم. كنت أعد القضية قضية شَرف. ولكن الحنق كان يزداد غلياناً في نفسي بمرور الزمن: هبها لا تحبني البتة) إن هذا لا يجيز لها أن تدوس عواطفي على هذا النحوء ولا أن تقابل اعترافاتي بمثل هذا الاحتقار. لقد كانت تعلم أنني أحبها حقاً؛ وتسامحت فأذنت لي أن أكلمها على هذه الصورة. صحيح أن الأمر بدأ با بداية غربية ‎٠‏ كنت قد لاحظت من زمن (لزمن أصيح منذ الآ بعيداً) فقد انقضى عليه شهران) أنها تريد أن تتخذنى صديقاً) وأن تجعلني نجيّها وموضع سرّها. حتى لقد قامت بمحاولات في هذا السبيل. ولكن الأمر لم ينجح) فاحتفظنا بهذه الصلات الغريبة العجيبة. وبسبب هذا إنما بدأت أكلمها على هذه الصورة ولكن إذا كان حبي قد ساءهاء فلماذا لم تمنعني من أن أكلمها فيه منعاً باتاً؟ إنها لم تفمل شيثاً من ذلك) حتى لد كانت في بعض الأحيان تحضني على الكلام... لتسخر مني طبعاً. أنا واثق من هذا. لقد شعرت به: كان يمتعها ويحلو لهاء بعد أن تصغي إليّ وتستثيرني إلى حد العذاب) أن تبلبلني فجأة بعلامة صارخة تنبىء عن احتقار أو تدل على قلة الاكتراث وعدم المبالاة. وهي تعلم مع ذلك أنني لا أستطيع أن أحيا بدونها. ها قد انقضت إذن أيام ثلائة على حادثتي مع البارونء وها أنا ذا أصبحت منذ الآن لا أستطيع احتمال (فراقنا). وحين صادفتها مند هنيهة قرب الكازينو؛ بلغ قلبي من شدة 172 \_طماع !© :اعاااسس 1

Page#173

الخفقان أن وجهي امتقع لونه. وهي أيضاً لا تستطيع أن تعيش بدوني! إنها في حاجة إليّ... فهل يمكن أن تكون حاجتها إلىّ كحاجتها إلى مهرج مثل بالاكيريف فحسب”07؟ ْ إن لها سراً. .. هذا واضح. إن حديثها مع الجدة قد طعن قلبي طعناً. ذلك أنني طلبت إليها ألف مرة أن تكون صريحة صادقة معي) أبعدتني دائماً باحتار وازدراء)ء أو طلبت إليّء بدلا من التضحية بحياتي في سبيلهاء أ ن أقوم بأعمال شاذة) كما فعلت ذلك يوم سألتني أن أتحرش بالبارون. أليس هذا أمراً مثيراً؟ هل يمكن أن يكون ذلك الفرنسي كل شيء عندها؟ ومستر آستلي؟ هنا تستعصي القضية على الفهم) ما في ذلك ريب... ومع ذلك فما أشد ما كنت أقاسي من عذاب يا رب! حين وصلت إلى غرفتي رأيتني وقد استبد بي الحنق والغيظ أمسك بالقلم وأخط لها هذه الأسطر: (باولين ألكسندروقنا! إنني أرى اقتراب الخاتمة. وواضح أنها ستتناولك أنت أيضاً. لذلك أعود فأكرر لك مرة أخرى هذا السؤال: أأنت في حاجة إلى حياتي؟ إذا كان في وسعي أن أكون مفيداً لك في أي أمر من الأمورء فتصرفي بي كما تشائين. أنا الآن في غرفتى) أمكث فيها أكثر الأوقات على الأقلء) ولا أبارحها إلى أي مكان . فإذا احتجت إلىّء اكتبي لي أو استدعيني). غلفت الرسالة؛ وأمرت خادم الطابق أن يمضي بها إلى باولين) فيسلمها إياها يدا بيد. ولم أكن أتوقع جواباء ولكن الخادم جاءني وفي نحو الساعة السابعة من المساءء استدعاني الجنرال. 173 1\_طماع © :سا1

Page#174

كان الجنرال في حجرته مرتدياً ملابسه كمن يتهيأ للخروج. وكانت قبعته وعصاه على الديوان. فلما دخلت عليه بدا لي واقفاً في وسط الغرفة مباعداً ما بين ساقيهء خافضاً رأسة) يكلم نفسه. فما أن رآني حتى ارتمى نحوي وهو يوشك أن يصرخ) فإذا أنا أتراجع خطوة إلى وراءء على غير إرادة مني) وأهم أن أولي هارباً) ولكنه كرسي أمامه؛ وراح يقول لي بصوت متوسل متضرع) دون أن تطلق يداه سراحي) وقد أخذت شفتاه ترتجفان) بينما الدموع تتلألأ في - ألكسي إيقانوفتش) أنقذني) أنقذني) ارحمني. لبت برهة طويلة لا أستطيع أن أفهم شيئاً. كان يتكلم بلا توقفء ويكرر في كل لحظة قوله: (ارحمني) ارحمني). وقدّرت أخيراً أنه يطلب مني شيئاً يشبه أن يكون نصحاًء أو قل إنه وقد هجره الجميع وداهمه الغم واستبد به اليأس) تذكرني فاستدعاني لا لشيء إلا أن يتكلم) ويتكلم) ويتكلم. . . ولكنه كان قد فقد عقله) أو طاش صوابه تماماً في أقل تقدير. فها هو ذا يضم يديه إحديهما إلى الأخرى متضرعاًء ويوشك أن يرتمي على ركبتي راجياً (هل في وسعكم أن تحزروا ما عسى أن يكون رجاؤه؟) أن أمضي فوراً إلى مدموازيل بلانش) فأبتهل إليها وأحضها على أن تعود إليه فتتزوجه. هتفت أقول: اسمح لي يا جنرال! لعل مدموازيل بلانش لما تلاحظ وجودي بعد. فماذا أستطيع أن أفعل؟ كان عبثا أن أحتج وأن أتعلل. فإنه لم يكن يفهم شيئاً مما يقال 1/4 \_طماع !© :اعاااسس 1

Page#175

له. وطفق يفيض في الكلام على الجدة أيضاًء فيقول عبارات مفككة غير منسجمة) ولا يعدل عن فكرة اللجوء إلى الشرطة. أخذ يقول وهو يغلي حئقاً على حين فجأة: منظمة لها سلطات مسؤولة؛ توضع أمثال هذه العجائر تحت الوصاية على الفور. وأضاف بغتة بلهجة فخمة وهو ينهض من مكانه على حين فجأة ويأخذ يذرع الغرفة جيئة وذهاباًء ويخاطب شخصاً خيالياً في ركن من الأركان: - نعم أيها السيد العزيز... إنك لم تكن تعرف هذا... فاعلم إذن أن الأمر كذلك... نعم... في بلادنا يُخبجَر على العجائز اللواتي من هذا النوع) يحجر عليهن. نعم أيها السيد. آه... يا وارتمى على الديوان من جديد؛ وبعد لحظة. أخذ يقص علي مسرعاً لاهثاً يكاد يختنقء وكأنه في حلمء كيف أن مدموازيل بلانش لا تريد أن تتزوجه لأن الجدة هي التي وصلت بدلاً من البرقية) ولأنه أصبح واضحاً الآن أنه لن يرث. كان الجنرال يظن أنني لما أطلع على شيء من ذلك بعد. فأردت أن أتكلم عن دي جريوء ولكنه أوقفني عن الكلام بإشارة منه قائلاً: - سافر! وقد رهنت جميع أملاكي لديه) فأنا الآن عريان عرى دودة. إن ذلك المال الذي جئتني به. .. ذلك المال... ولا أدري كم كان المبلغ على كل حال... أظن أنه كان سبعمائة فرنك. .. هو كل ما بقي لي) كل ما بقي لي. والآن لا أدري) لا أدري. .. صحت مذعوراً: 175 1\_طماع © :سا1

Page#176

- ومن أين ستدفع أجور الفندق؟ ثم... بعد ذلك؟ فنظر إلى نظرة شاردة) ولكن كان واضحاً أنه لم يفهم شيئاء بل ولا سمع شيئاً. وحاولت أن أجيل الكلام حول باولين ألكسندروثنا وحول الصغارء فأسرع يقول (نعم نعم") ولكنه لم يلبث أن طفق يتحدث عن الأمير الذي سيسافر مع مدموازيل بلانش.. قال وهو يلتفت فجأة نحوي: - وعندئذ ما الذي سأصير إليه يا ألكسي إيقانوفتش؟ ما الذي سأصير إليه؟ يا رب يا رب... قل لي يا ألكسي إيقانوفتش: هذا عقوق. هذا عقوق؟ ألا ترى أن هذا عقوق؟ وطفق يبكي آخر الأمر بدموع سخيّة. لم يكن ثمة ما يصنعه المرء لرجل في مثل حاله. ثم أن تركه وحيداً لا يخلو من خطر كذلك: فقد يقع له شيء ما. وعلى كل حال فقد تخلصت منه بطريقة من الطرق) لكنني قلت للخادمة أن تجيء إليه من حين إلى حين لترى كيف حاله. وكلمت خادم الطابق عدا ذلك) وهو فتى ذكي جداء فوعدني أن يكون يقظأ هو أيضاً. ما كدت أترك الجنرال حتى جاءنى يوتايتش يرجونى أن أوافى الجدة. كانت الساعة قد بلغت الثامنة) وكانت الجدة قد عادت من الكازينو منذ برهة قصيرة) بعد أن خسرت فيه آخر قرش . نزلت إلى الجدة. كانت السيدة العجوز قاعدة في كرسيها مهدودة القوى مرهقةء وكان واضحاً أنها مريضة. ناولتها مارتا قدحاً من الشاي حملتها على احتسائه بما يشبه القسر. وكان صوت الجدة لهجتها قد تغيرا تغيراً واضحاً . قالت لي ببطء وهي تحني رأسها بجد ووقار: 176 \_طماع !© :اعاااسس 1

Page#177

- نعمت يوماً يا ألكسي إيفانوفتش؛ يا عزيزي. اغفر لي ازعاجي إياك مرة أخرى) وما أحسب إلا أنك مسامح امرأة عجوزاً تقدمت بها السن. لقد خلفت كل شيء هناألك يا صديقي) لقد خسرت قرابة مائة ألف روبل. كنت على حق حين رفضت أن تصحيبنى أمس. والآن ليس معي شيء البتة) ليس معي قرش . ولا أحب أن ألبث هنا لحظة واحدة. يجب أن أسافر في الساعة التاسعة والنصف. لذلك استدعيت صاحبك الإنجليزي: اسمه مستر آستلي فيما أظن. أريد أن أقترض منه ثلاثة آلاف فرنك أردها إليه بعد ثمانية أيام. فقل له أن لا يظن بي سوءاًء وأن لا يرفض إقراضي هذا المبلغ. ما زلت حتى الآن على جانب من الغنى يا عزيزي. إني أملك ثلاث قرى ودارين) وما يزال عندي مالء فإنني لم أحمل إلى هنا كل ما أملك من مال. أقول لك ذلك حتى يطمئن صاحبك ولا يقلق. . . ها.. . ها هو ذا قد وصل. واضح أنه رجل شهم. لقد هرع مستر آستلي يلبي نداء الجدة. ولم يلبث أن نقدها ثلاثة آلاف فرنك بغير تردد وبغير كلام نافل؛ ووقّعت له الجدة سنداً بالمبلغ فأخذه. ثم حيا وانصرف. - والآن دعني يا ألكسي إيفانوفتش. لم يبقّ لي من الوقت إلا ساعة وبعض ساعة. سأستلقي على فراشي لحظة:) فإن عظامي تؤلمني. لا تؤاخذني. فما أنا إلا عجوز بلهاء. لن أتهم الشبان بعد اليوم بالخفة. بل إنني لأتحرّج الآن من لوم صاحبك الجنرال المسكين. ولكني لن أعطِه شيئاً من مال. وما ينبغي أن يسوءه هذاء فهو في رأيي حيوان كبير. .. أما أنا فدجاجة عجوز لا أملك من الذكاء أكثر مما يملك هو. إن الله يقتص من المفترين عاجلاً أو آجلاً. هياء وداعاً. أنهضيني يا مارتا. 177 1\_طماع © :سا1

Page#178

وكنت أنوي أن أصحب الجدة. غير أنني كنت في الوقت نفسه أتوقع حدوث شيء ما. كان يُخْيّل إليّ أن هناك أمراً سيقع بين لحظة وأخرى. لم أستطع أن أمكث في غرفتي. فخرجت إلى الدهليز أريد أن أمضي إلى طريق أشجار الكستناء متنزهاً بعض الوقت. لقد كانت رسالتي إلى ياولين واضحة قاطعةء وكانت الكارثة الراهنة حاسمة من غير شك. لقد سمعت في الفندق أن دي جريو سافر. الخلاصة: إذا كانت ياولين ترفضنى صديقاًء فقد تقبلني خادماء لأنها في حاجة إليّء ولو لأشتري لها ما تريد شراءه. نعم هي في حاجة إليّء ذلك واضح! حين أزفت لحظة رحيل الجدة هرعتٌ إلى المحطة) فأركبتها القطار؛ وكانوا جميعهم قد اتخذوا أماكنهم في حجرة محجوزة. قالت لي الجدة وهي تودعني: - أشكر لك مسايرتك البريئة المنزهة عن الغرض يا صديقي؛ كرر لبراسكوقيا ما قلته لها أمس. لسوف أنتظرها. وعدت أدراجي قاصداً غرفتي. فلما مررت قرب شقة الجنرال التقيت بالخادمة) فسألتها عن حال سيدها. فأجابتني حزينة: - لا بأس يا سيدي الطيب. ودخلت مع ذلك. ولكنني لم ألبث أن تسمرت عند باب حجرته مذهولا. كان الجنرال ومدموازيل بلانش يضحكان مقهقهين. وكانت السيدة أرملة دي كومنج موجودة معهماء جالسة على الأريكة. كان واضحاً أن الجنرال قد جن عقله فرحاًء فهو يتدفق في الكلام سخافات وترهات من كل نوع) وهو يصاب بنوبات من المرح العصبي والضحك المتواصل تخدّد وجهه بغضون صغيرة) وتخفي عيئية . 178 \_طماع !© :اعاااسس 1

Page#179

علمت) فيما بعد أن مدموازيل بلانش نفسهاء بعد أن طردت الأمير وعلمت بما آلت إليه حالة الجنرال من حزن وقنوط) أرادت أن تعزيه فجاءت تزوره زيارة قصيرة. ولكن الجنرال المسكين كان يجهل إلى تلك اللحظة أن مصيره قد تقررء وأن مدموازيل بلانش كانت قد أخذت تعد حقائبها وتحزم أمتعتهاء لتسافر في الغداة إلى باريس على قطار الصباح الأول. لبئت لحظة عند عتبة حجرة الجنرال) ثم عدلت عن الدخول) فانصرفت منسلاً لم يلمحني أحد. وصعدت إلى غرفتي. لما فتحت الباب لمحت في ظلمة الغرفة قامة جالسة عل كرسي في ركن قرب النافذة) فما أن رأتني داخلاً حتى نهضت) فأسرعت أقترب) ونظرت. . . فانقطعت أنفاسي: إنها باولين. 3 179 1\_طماع © :عاكاس1

Page#180

ما بك؟ ماذا دهاك؟ وكانت شاحبة اللونء وتبدو قاتمة المزاج. ما بي؟ ماذا دهاني؟ أأنت... أأنت... هنا... عندي؟ - أنا إذا جئت جئت كلي. تلك عادتي. ولسوف ترى ذلك توأ. امتثلتُ فنهضث واقتربت من المنضدة تضع أمامي رسالة مفضوضة) وتأمرنى أن أقرأها: ١ ‏اقرأ.‎ صمت وأنا أتناول الرسالة : هذا خط دي جريو. كانت يداي ترتجفان؛) وكانت الأسطر تتراقص أمام عيني. لقد نسيت الآن نصّ الرسالة) ولكن ها هي ذي الرسالة معنى معنى إن (آنستي. إن ظروفاً مؤلمة تضطرني إلى السفر بغير إبطاء. ولقد 1530 \_طماع !© :اعاااسس 1

Page#181

لاحظت. ولا شكء أنني تحاشيت عامداً أن نتصارح تصارحاً حاسماً قبل أن يتضح كل شيء. إن وصول السيدة العجوز بدلاً من وصول البرقية) وكذلك سلوكها الأحمق قد أنهيا كل تردد. إن اضطراب شؤوني الخاصة يمنعني قطعاً من الاستمرار في عقد تلك الآمال العذبة الحلوة التي أَدْنِتُ لنفسي أن أُمني بها نفسي زمناً. إنني آسف لما وقعء ولكنني أرجو أن لا تجدي في سلوكي ما يشين رجلاً راقياً أو إنساناً شريفاً. إني وقد أضعت مالي كله سداداً لديون زوج أمك. أجدني مضطراً إلى الحفاط على ما بقي لي تصريفاً لشؤوني. وقد أبلغت أصدقائي ببطرسبرج أن يبادروا دون إبطاء إلى بيع الأملاك المرهونة لديّ. لكنني لعلمي بأن زوج أمك قد أتلف ثروتك كلهاء قررت أن أعفيه من خمسين ألف فرنك) فرددت إليه ما يساوي هذا المبلغ جزئاً من صكوك الرهن. وبذلك يكون في وسعك أن تستردي كل ما فقدت باللجوء إلى القضاء الذي سيحكم برد أملاكك إليك. أرجوء يا آنستي) أن تكون هذه البادرة مني مفيدة لك في الظروف التي تلابس أحوالك الآن؛ كما أرجو أن يكون بهذه البادرة قد قمت بالواجبات التي تجب على رجل شريف. وثقي أن ذكراك ستظل منقوشة في قلبي إلى الأبد؛ . الأمر واضح . ثم أردفت أقول حائقاً مغتاظاً: أكنت تتوقعين غير هذا حقاً؟ فأجابتني بهدوء ظاهرء على نوع من الارتجاف في صوتها: أقرأ أفكاره. ظن أنني أسعى إلى. . . ظن أنني قد ألح على. . 151 1\_طماع © :سا1

Page#182

قالت ذلك ثم توقفت فعضت على شفتها في وسط الجملة وصمتت. وتابعت بعد لحظة تقول: - لقد تعمّدت أن أضاعف احتقاري نحوه. وكنت أنتظر ما عساه يفعل. ولو قد وصلت البرقية) إذن لقذفته على رأسه بالمال الذي يدين له به هذا الأبله ((زوج أمي). ولطردته بعدئذ شرّ طردة. لقد أصبحت منذ زمن طويل لا أطيق أن أراه! آه... كان من قبل رجلاً آخر) رجلاً آخر تماماً. . . أما الآن فما أشد ما سأشعر به من فرح عظيم لو أتيح لي أن أرمي له هذه الخمسين ألف فرنك) وأن أبصق ولكن هذا الصك الذي يرد الخمسين ألفاً هو الآن بين يدي الجنرال. فما عليك إلا أن تأخذيه وأن ترديه إلى دي جريو! أوه... ليس الأمران سواء! ليس الأمران سواء! الآن؟ م رأيتني أهتف على حين فجأة: والجدة؟ فنظرت إليّ باولين ذاهلة نافذة الصبر. ثم قالت معتكرة : المزاج: - لماذا تسألني عن الجدة؟ إنني لا أستطيع أن أذهب إليها. . كم أضافت بصوت يفيض حنقاً: - ولن أطلب من أحد غفراناً . هتفت أقول: - وما العمل؟ ولكن قولي لي: كيف) كيف أمكنك أن تحبي دي 152 1\_طماع © :سا1

Page#183

جريو؟ هذا وغد حقيرء هذا وغد حقير. هل تريدين أن أقتله بمبارزة؟ أين هو الآن؟ - في فرانكفورت)ء وسيمكث هنالك ثلاثة أيام . - قولي كلمة واحدة فأذهب إليه غداً على أول قطار. فأخذت تضحك ثم قالت: لعله سيقول لك: (ردوا إليّ الخمسين ألفاً أولاً!) ولماذا ثُراه يرضى أن يبارز؟ ما هذا الغباء! . . فكررت أقول وأنا أصرّ بأسناني) كأن من الممكن فجأة أن نلم هذا المبلغ من الأرض: - ولكن من أين إذن نأخذ هذه الخمسين ألف فرنك) من أين؟ وراودتني فكرة غريبة فأردفت أسألها: فأخذت عيناها تلتمعانء ثم قالت وهي تحدق إلى بنظرة ثابتة مع ابتسامة مرة: - أتريد إذن أن أتركك أنت من أجل هذا الإنجليزي؟ وكانت هذه أول مرة تخاطبني فيها بصيغة المفرد. ولا شك أن دواراً ألمّ بها في تلك اللحظة) من شدة الانفعال) فإنها لم تلبث أن تهالكت على السريرء وكان واضحاً أنها مهدودة القوى منهكة . وشعرت أنا بغشاوة كأن برقاً بَهَرَ بصري ‎٠‏ فتسمرت في مكاني واقفاً) لا أصدق عينيّ ولا أصدق أذنيَ. هي إذن تحبّني. لقد جاءت إليّ أناء ولم تذهب إلى مستر آستلي! هي الفتاة العذراء تجيء إلى غرفتي بالفندق وحيدة على مرأى من جميع الناس! 183 1\_طماع © :سا1

Page#184

ولبثت متسمراً في مكاني أمامها لا أفهم!.. . - ياولين) أمهلينى ساعة واحدة! انتظري هنا ساعة واحدة فقط... أعود بعدها إليك. لا بد من هذا... لا بد منه. لسوف ترين. امكثي هناء امكثي هنا! وخرجت من الغرفة راكضاً دون أن أجيب على نظرتها المستفهمة. وصاحت تقول لي شيئاً) ولكني لم أرجع. نعم. رب خاطر هو أقرب الخواطر إلى الجنونء, وأدناها إلى الاستحالة) يبلغ من قوة رسوخه في الفكر أن المرء يخاله ممكن التحقيق) حتى إذا كان هذا الخاطر مرتبطا برغبة قوية ملتهبة جامحة اعتقد المرء أخيراً أنه أمر حتمي) ضروري) فرضه القدر منذ الأزل) أمر لا يمكن إلا أن يكونء ولا يمكن إلا أن يحدث! وبما كان ههنا شيء أكثر من ذلك: ربما كان ههنا مزيج من نبوءات يحسّها المرء) ومن جهد خارق تبذله الإرادة) ومن خيال سمم المرء به نفسه المساء (في ذلك المساء الذي لن أنساه ما حييت) وقعت لي مغامرة معجزة. ولماذاء لماذا كان هذا اليقين قد بلغ ذلك المبلغ من العمق والرسوخ في نفسي) منذ أمد طويل؟ لقد كنت أفكر فيه (أعود فأكرر ذلك) لا تفكيري في احتمال جائز (ومن ثم غير مؤكد)؛ بل كنت كانت الساعة هي العاشرة إلا ربعاً. دخلت إلى الكازينو ممتلثاً بأمل قوي) وطافحاً بانفعال قوي لا عهد لي بمثله من قبل. كان لا 154 1\_طماع © :سا1

Page#185

يزال في قاعات القمار ناس) وإن يكن عددهم نصف عددهم في الصباح . وليس يبقى حول الموائد في الساعة الحادية عشرة إلا المقامرون حقاًء المقامرون المدمنون الذين لا يوجد في مدن المياه المعدنية في نظرهم إلا الروليت. إنهم لم يجيئوا إلا من أجلهاء ولا يكادون يلاحظون شيئاً مما يجري حولهمء ولا يعنون بشيء غيرها طوال الفصل. ليس لهم عمل إلا أن يقامروا من الصباح إلى المساءء ولا شك أنهم مستعدون لأن يستمروا في المقامرة الليل كله حتى مطلع الفجر لو كان ذلك في الإمكان. وهم لا يتفرقون إلا على مضض وحسرةء حين يقفل الكازينو أبوابه عند منتصف الليل. فإذا صاح أعرق القيمين يعلن) قُبّيل إغلاق الكازينو) أي قبيل منتصف الليل) أنه (لم يبق إلا ثلاث ضربات أيها السادة)) رأيتهم مستعدين في بعض الأحيان أن يحطوا في هذه الضربات الثلاث الأخيرة كل ما في جيوبهم؛ وفي تلك الساعة إنما تقع أضخم الخسارات في الواقع. اتجهت نحو تلك المائدة نفسها التي كانت تقامر عليها الجدة. ولم يكن الزحام شديداًء فسرعان ما استطعت أن أشغل مكاناً قرب المائدة واقفاً. وأمامي تماماًء على المائدة الخضراء) كانت مكتوبة كلمة: (بياس). إن الباس هذه هي سلسلة من الأرقام تمضي من 19 إلى 36؛ أما السلسلة الأولى فهي من 1 إلى 18؛ وتسمى (مانك). ولكن هل يهمني هذا كله في شيء؟ إنني لم أكن أحسبء ولا سمعت الرقم الأخير الذي ظهر. ولا سألت عنه حين بدأت اللعب) كما يفعل أي لاعب مهما يكن قليل الاحتياط والحذر. أخرجت العشرين فردريكا ورميتها على الباس. 185 \_طماع !© :اعاااسس 1

Page#186

صاح القَيم : - اثنان وعشرون. لقد ربحت. وغامرت مرة أخرى بالمجموع أي بما حططته في المرة الأولى مضافاً إليه الربح. نادى اليم : واحد وثلاثون. ربحت أيضاً. أصبح معي إذن ثمانون فردريكاً . حططت المبلغ كله على الأرقام الاثني عشر التي في الوسط (الربح هنا ثلاث لا مثنى) ولكن الاحتمالات المعاكسة ثلاثة أيضاً لا اثنان). وأخذت الدائرة تدورء فخرج الرقم 4 فنُقدت ثلاث لفات من ذات الخمسين فردريكاًء وعشر دنانير ذهبية. أصبحت أملك الآن مائتي فردريك . أحطها على الأحمر... وثبت إلى رشدي فجأة. كانت تلك هي المرة الأولى أثناء ذلك المساء كلهء التى جمّدنى فيها الخوف حتى صرت كالثلج) فيداي وقدماي ترتجفان. لقد أدركت مذعوراً هلعاً فى ومضة من شعورء ماذا كان يعني الخسران عندي في هذه صاح القَيُم : - أحمر. فرْدّت إليّ روحيء أحسست كأن نملاً محرقاً يجري على جسمي كله. أعطيت أوراقاً مالية. كان المبلغ في هذه المرة أربعة آلاف فلورين وثمانين فردريكاً (كنت ما أزال أستطيع أن أحسب). 156 1\_طماع © :سا1

Page#187

وبعد ذلك) أذكر أنني حططت ألفي فلورين على الاثني عشر رقماً التي في الوسطء فخسرتء ثم حططت ما كان معي من ذهب الأولى... حططتها هكذا... على غير هدى) على عماوة) دون حساب... فكان ثمة لحظة انتظارء وكان ثمة انفعال لعله يشبه الانفعال الذي شعرت به مدام بلانشار حين هوت في باريز من منطادها على الأرض 9 , - أربعة. أصبح معي ستة آلاف فلورين من جديد. أصبحت منذ الآن أتخذ أوضاع الظافرين؛ لا أهاب شيئاً. رميت أربعة آلاف فلورين على الأسود. فسارع نحو من عشرة أشخاص يحطون مثلي على الأسود... وتبادل القيّمون النظرات وتكلموا فيما بينهم. ومن حولي كان الناس يتكلمون وينتظرون. وظهر الأسودء أصبحت منذ تلك اللحظة لا أتذكر المبلغ ولا تعاقب الضربات. كل ما أتذكره أنني كنت قد ربحت حوالي ستة عشر ألف فلورين) وأنا فيما يشبه الحلم؛ ثم إذا بثلاث ضربات شقية تخسرني من ذلك المبلغ اثني عشر ألفاً. فرأيتني أضع الآلاف الأربعة الأخيرة على الياس (ولكنني لم أشعر بشيء تقريباً في تلك اللحظةء وإنما كنت أنتظر انتظاراً آلياً دون أن أفكر في شيء). فربحت من جديد. ثم ربحت أيضاً في أربع ضربات متتالية. كل ما أذكره أنني كنت ألمّ الفلورينات آلافاً آلافاً. وأذكر أيضاً أن أرقام الوسط التي تشبثت بها هي التي كانت تظهر في أغلب الأحيان. كانت تظهرء 157 1\_طماع © :عاكاس1

Page#188

على نحو مطردء ثلاث مرات متتالية أو أربعاً ثم تغيب دورتين لتعود إلى الظهور بعد ذلك في ثلاث ضربات متتالية أو أربع. إن هذا الاطراد الذي يبعث على الدهشة والاستغراب يحدث في فترات) وذلك ما يبلبل المقامرين المحترفين الذين يحملون أقلاما ويجرون حسابات. أية سخريات رهيبة لا يظهرها الحظ هنا؟ . أظن أنه لم يكن قد انقضى على وصولي أكثر من نصف ساعة. الخزنة ليست مسؤولة عن أكثر من ذلك في جلسة واحدة) فلذلك ستغلق الروليت إلى صباح الغد. أخذت ذهبي كلهء فحشوت به جيوبي) ثم لممت جميع أوراقي النقدية وذهبت إلى قاعة أخرى كان فيها روليت ثانية. فهرع الجمهور يلحق بي) وسرعان ما أفسح لي هنالك مكان؛ فاستأنفت أقامر خبط عشواء بغير حساب. لست أدري ما الذي أنقذني! على أن فكرة الحساب كانت تراودني من حين إلى حين. كنت أتعلق ببعض الأرقام) بعض الاحتمالات) ثم ما ألبث أن أهجرهاء وأعود ألعب على غير شعور. لا شك أنني كنت في حالة ذهول شديد. أذكر أن القيّمين قد صححوا لعبي عدة مرات) فلقد كنت أرتكب أخطاء جسيمة. وهرع بولونيون يعرضون علي خدماتهم. ولكنني لم أصغ إلى أحد. وكان الحظ حليفي لا يفارقني. وفجأة دوت من حولي صيحات وقهقهات. وأخذ الناس يهتفون (مرحى) مرحى!)؛ حتى أن بعضهم أخذ يصفق. لقد بلغت أرباحي ثلاثين ألف فلورين مرة أخرى) وأغلقت الخزنة حتى صباح الغد. اذهب) انصرف. كذلك دمدم يقول لي رجل كان على يميني. إنه يهودي من 158 1\_طماع © :سا1

Page#189

فرنكفورتء كان قد ظل إلى جانبي طول الوقتء) وأظن أنه أعا مرة أو مرتين. ووشوشني صوت آخر في أذني اليسرى قائلاً: ناشدتك الله أن تذهب. فألقيت نظرة سريعة على من وشوشني: إنها سيدة في نحو الثلاثين من العمرء ترتدي ملابس متواضعة لكنها لائقة) ويبدو في وجهها التعب وشحوب المرض) ولكن الناظر إليها يدرك أنها كانت على جانب عظيم من جمال أخاذ. وكنت في تلك اللحظة أحشو جيوبي بالأوراق النقدية مجعداً إياهاء وألمَ ما قد بقي على المائدة من ذهبء. فتناولت آخر لفة من ذات الخمسين فردريكاء واستطعت) دون أن يلاحظني أحدء أن أدسها في يد السيدة الشاحبة اعترافاً بجميلها؛ ولم يستغرق هذا كله إلا ثانية واحدة. حتى إذا فرغت من لم كل شيء؛ أسرعت أذهب إلى مائدة (الثلاثين والأربعين). إن مائدة (الثلائين والأربعين) يرتادها جمهور أرستقراطي. إنها غير الروليت. إنها من ألعاب الورق. والخزنة هنالك تتحمل مائة ألف تالير. وأكبر حطة هي أربعة آلاف فلورين أيضاً. كنت أجهل مجرى اللعب جهلاً تامأء ولا أكاد أعرف كيف أحطء اللهم إلا على الأحمر والأسودء الموجودين فيها أيضاً. لذلك تعلقت بهما. وتحلق الكازينو كله حولي. لا أذكر أن باولين خطرت ببالي مرة واحدة في تلك السهرة. كنت) وأنا أمسك بالأوراق المالية التي تتكدس أمامي ثم أردهاء أشعر بلذة لا سبيل إلى مقاومتها. لكأن القدر كان يدفعني حقاً. وفي هذه المرة) طرأ ظرف غريب) كأنما على عمدء وإن يكن يطرأ في القمار أحياناً كثيرة. كان 189 1\_طماع © :سا1

Page#190

يتشبث الحظ بالأحمر مثلاً فما يتركه إلا بعد عشر دورات أو خمس عشرة دورة. حتى لقد كنت سمعت أول البارحة أن الأحمر ظهر في الأسبوع الماضي اثنتين وعشرين مرة على التوالي. وذلك أمر لا يتذكر أحد أنه وقع في الروليت مرة واحدة) فكان الناس يتحدثون عنه مدهوشين. ومن الطبيعي أن اللاعبين ما يلبئون أن يتركوا الأحمرء فما من أحد يجرؤ أن يحط عليه بعد أن يظهر عشر مرات متتالية المقامر المجرب يعرف ماذا تعني (نزوة الصدفة)؛ فإذا ظهر الأحمر ست عشرة مرة مثلاً اعتقد اللاعبون أن الضربة السابعة عشر ستقع على الأسود حتماً؛ فإذا باللاعبين الأغرار يترامون على الأسودء أما أنا فقد بدا لي) بنزوة غريبة) بعد أن ظهر الأحمر سبع مرات متتالية) أن أتعلق به وأثبت عليه. إنني مقتنع بأن لحب الظهور دخلاً في هذه النزوة) فلقد كنت أحب أن أبعث الدهشة في نفوس المشاهدين بمجازفة هوجاء طائشة (ألا إنه لإحساس غريب!)؛ ولكنني ما زلت أذكر بوضوح أن ظمأ إلى المجازفة قد تملكني على حين فجأة دون أن يحضني على ذ ُ شيء من حب الظهور. لعل نفس الإنسان) بعد أن تعاني مثل هذا العدد الكبير من الإحساسات) جديدة ما تنفك تعنف ثم تعنف) إلى أن تصل إلى درجة الإنهاك . ولست أكذب حين أقول إننى كنت مستعداً للمجازفة بخمسين ألف فلورين حطةً واحدة لو كانت الأنظمة تسمح بذلك. وكان الناس من حولي يصيحون قائلين إن هذا جنون) فقد ظهر الأحمر أربع عشرة مرة متتالية ! 150 \_طماع !© :اعاااسس 1

Page#191

قال رجل كان بجانبي: ربح السيد حتى الآن مائة ألف فلورين. فلما سمعت كلامه صحوت فجأة. كيف؟ أربحت في هذه السهرة مائة ألف فلورين؟ ولكنني لست في حاجة إلى أكثر من ذلك! وما لبثت أن تناولت الأوراق المالية بسرعة فدسستها في جيبي فوضى وهم يرونني أجتاز القاعات منتفخ الجيوب مترنح الخطى من ثقل الذهب. أعتقد أن وزن الذهب الذي كنت أحمله يربو على نصف (ياود)!019 . وامتدت إليّ بعض الأيدي؛ فوزعت المال قبضات قبضات) على قدر ما كانت تسع منه يدي. وأوقفني يهوديان عند الباب) فقالا لي: - أنت متهورء متهور جداً! فسافر غداًء غداً في الصباح) في أبكر ساعة من الصباح) وإلا فلسوف تخسر كل شيء.. لم أصغ إليهما. وكانت الظلمة في طريق أشجار الكستناء من الشدة بحيث لم أكن أستطيع أن أميّز يدي. والمسافة بيني وبين الفندق نصف فرسخ تقريباً. وأنا امرؤ ما خفت من اللصوص ولا من قُطَاع الطرق يوماًء منذ أن كنت طفلاً. فكذلك لم أقلق في تلك اللحظة أيضاً. ثم إنني لا أتذكر الآن فيم كنت أفكر أثناء الطريق. كان رأسي خالياً. ولكني كنت أشعر بلذة عنيفة قوية) هي لذة النجاح) والانتصارء والقوة. لا أدري كيف أعبّْر لكم عما كان يختلج في نفسي آنذاك. كان خيال باولين يخطر أمام عيني) ولم يغب عن بالي أنني كنت ذاهباً إليها. . . ولكنني كنت لا أكاد أتذكر ما قالته لي منذ قليل) ولا السبب الذي حملني على الذهاب إلى 191 1\_طماع © :سا1

Page#192

الكازينو؛ إن جميع تلك الأحاسيس الحديثة التي امتلأت بها نفسي منذ ما لا يزيد عن ساعة ونصف ساعة؛ أصبحت تبدو لي الآن منتمية إلى ماض قد انقضى وزال) حتى لقد لا نلمع إليه إلماعاء لأن كل شيء سيبدأ بداية جديدة. وفي نهاية طريق أشجار الكستناء تقريباً إنما استولى علي الخوف. قلت في نفسي: (ماذا لو قُتِلت الآن وسُرق مالي؟). وأخذ ذعري يشتد خطوة بعد خطوة. فكنت أسير سيراً هو بالركض أشبه. وفجأة. عند نهاية طريق) تلألأت واجهة فندقنا على حين بغتة) ساطعة بألف ضوء. الحمد لله. لقد وصلت. صعدت درجات السلم أربعاً أربعاً حتى وصلت إلى غرفتي) ففتحت الباب فجأة؛ فإذا ياولين ما تزال جالسة هنالك) أمام شمعة مشتعلة؛ ضامة يديها إحديهما إلى الأخرى) نظرت إليّ في ذهول) فلا شك أن وجهي كان في تلك الحظة غريباً. وقفت أمامهاء ورميت بالمال كله على المنضدة. ٌّ 102 \_طماع !© :اعاااسس 1

Page#193

الفصل الخامس عشر حرو باولين لي دون أن تشحراةء بل دون أن تير ربحت مي فا فرنك 200 , إن كومة كبيرة من الأوراق المالية والنقود الذهبية تغطي المنضدة كلها. كنت لا أستطيع أن أحوّل نظري عنها؛ حتى لقد كنت في بعض اللحظات أنسى وجود باولين. فأنا تارة آخذ أرنّب الأوراق المالية كدسات كدسات؛ وتارة أجمع الدنائير الذهبية على حدة؛ وتارة أبعثر كل شيء وأطفق أذرع الغرفة جيئة وذهاباً بخطى سريعة غارقاً في أحلامي أو أعود إلى المنضدة فجأة أعدٌ مالي. وإني لفي ذلك؛ إذا أنا أعود إلى رشدي على حين بغتة) فأمضي إلى الباب سألت باولين وأنا ألتفت إليها فجأة متذكراً وجودها: - هل يجب أن أضع المال في الحقيبة إلى الغد؟ وكانت ياولين ما تزال.جالسة في مكانها نفسه لم تتحرك) ولكنها كانت لا تحوّل عني بصرها. كان في وجهها تعبير غريب ساءني أن 13 1\_طماع © :عاكاس1

Page#194

أراه. ما أحسبني مخطثاً إذا قلت أنه كان تعبيراً عن الكره والبغض. فاقتربت منها مسرعاً أقول: - ياولين) إليك خمسة وعشرين ألف فلورين. إنها تساوي خمسين ألف فرنك وتزيد. فخذيها وارميها في وجهه غداً. إذا شئت حملتها إليه أنا في صباح الغد. هل تريدين؟ ‏ الحال برهة طويلة. فكنت أنظر إليها بدهشة موجعة أليمة. إن هذا الضحك يشبه كل الشّبّه ذلك الضحك الساخر الهازىء الذي كانت تستقبل به في كثير من الأحيان (وفي أوان حديث أيضاً) ما كنت أعلنه لها من عواطف حاجبيهاء ونظرت إليّ نظرة قاسية من أدنى) وقالت لي باحتقار: لن آخذ شيئاً من مالك؟ فصحت أقول: - كيف هذا؟ ماذا هنالك؟ لم هذا يا ياولين؟ - لن أقبل أخذ شيء من مال دون ما سبب!. - ولكنني أقدمه لك تقدمة الصديق للصديق؛ إنني مستعد لأن أقدم لك حياتي كلها. فنظرت إليّ نظرة طويلة فاحصة) كأنها تريد أن تنفذ إلى نفسي. - أنت رجل كريم سخي. إن خليلة دي جريو لا تستحق خمسين ألف فرنك . 1044 1\_طماع © :سا1

Page#195

- باولين) كيف تستطيعين أن تكلميني هكذا؟ أنا لست دي جريو! فصرخت تقول وقد أخذت عيناها تقدحان شرراً: - أنا أكرهك! نعم. . . نعم. . . أنا لا أحبك أكثر مما أحب دي جريو. فالت ذلك وأخفت وجهها في يديها واعترتها نوبة عصبية. فارتميت نحوها. أدركت أن شيئاً قد وقع لها أثناء غيابي ولا شك؛ فإنها لم تكن مالكة رشدها. وانفجرت تقول من خلال النحيب والتشنج: - هيا اشترني! هل تريد؟ اشترني بخمسين ألف فرنك, مثل دي جريو! ضممتها بذراعي) وقبّلت يديهاء وقدميهاء وركعت أمامها على وانقضت النوبة. فوضعت يديها على كتفيّ) وأخذت تتفرّس في وجهي. لكأنها تريد أن تقرأ شيئاً في هذا الوجه. وكانت تصغي إل ولكن كان واضحاً أنها لا تسمع ما كنت أقوله لها. وظهر على قسمات وجهها ما ينبىء عن همّء ويدل على أنها في حلم. قلقت. أحسست أنها بسبيل أن تجن. ها هي ذي تشدني إليها برفق) وقد طافت على شفتيها بسمة ثقة واطمئنان؛ ثم ها هي ذي تدفعني عنها وها هي ذي تمسك ذراعي بغتة وتأخذ تقول: - أنت تحبني) أليس كذلك؟ ما دمت: . . مادمت قد أردت أن تقاتل البارون من أجلي! كانت تضحك وتبكي في إن واحد. ماذا كان في وسعي أن أفعل؟ لقد كنت أنا نفسي محموماً. أذكر 165 1\_طماع © :عاكاس1

Page#196

أنها أخذت تكلمني... ولكنني لم أستطع أن أفهم شيئاً تقريباً. كان كلامها ضرباً من هذيان. إنها تتمتم تمتمة كما لو كانت تريد أن تقص علي شيئاً من الأشياء بسرعة. وكان يقطع هذا الهذيان من حين كانت تردد: لاء لاء أنت لطيف) لطيف. أنت مخلص لي. وتعود تضع يديها على كتفيّ) وتعود تتأملني وتكرّر: أت تسيا أنت تحبني. . . وسوف تحبني؟ لم أحؤل بصري عنها. ما كنت قد رأبتها قبل ذلك قط في مثل هذه الحالة من الرقة والحنان والحب. صحيح أن ذلك كان هذياناًء وها هي ذي تلاحظ نظرتي الولهى) فتبتسم ابتسامة خبيثة ماكرة على حين فجأة. ثم ها هي ذي تأخذ تتكلم عن مستر آستلي بغتة. على أنها كانت تدير الحديث على مستر آستلي بغير انقطاع (ولا أستطع أن أفهم ماذا كان يعني هذا على وجه الدقة. بل إنني لأعتقد أنها كانت تسخر منه. وأخذت تردد في كل لحظة أنه ينتظرء وأنني نعمء نعمء تحت النافذة. افتح النافذة وأنظر. إنه هناك! قالت ذلك ودفعتني نحو النافذة. فما أن هممت أن أمضي إلى النافذة حتى استبد بها ضحك مجنون) فبقيت قربهاء فإذا هي ترتمي - سنسافر؟ غدأ نسافر؟ لقد وافتها هذه الفكرة على حين فجأة) وأضافت تقول شاردة 156 1\_طماع © :سا1

Page#197

- وسندرك الجدة) ما رأيك؟ أغلب ظنى ظني أننا نستطيع أن ندركها ببرلين. ما عساها قائلة) في رأيك. حين نلحق بها فترانا؟ ومستر آستلي؟... إن مستر آستلي هذا لن يرمي نفسه من أعلى جبل شلانجنبرج) أليس كذلك؟ (قالت هذا وانفجرت تقهقه). اسمع: هل تعلم إلى أين يريد أن يذهب في الصيف المقبل؟ إنه يريد أن يذهب إلى القطب الشمالي ليقوم بدراسات علمية) وقد دعاني إلى مشاركته في هذه الرحلة... ها! ها! ها! يقول إننا معشر الروس ما كنا لنتعلم شيئاً لولا الأوروبيون) وإننا لا نصلح لشيء. لكنه رجل طيب هو أيضاً. هل تعلم؟ إنه يعذر الجنرال: يقول إن بلانش... إن الهوى... لا أدري لا أدري ماذا يقول... (رددت ذلك مشّوشة كأنما أعوزها التعبير). مساكين! لشد ما أرئي لحالهم؛ ولشد ما أرثي لحال الجدة أيضاً! إسمع) إسمع)؛ كيف يكون في إمكانك أن تقتل دي جريو؟ ولكنك لن تستطيع أن تقتل حتى البارون (أضافت ذلك وقد أخذت تضحك). لشد ما كنت مضحكاً في ذلك اليوم؛ مع البارون! كنت أنظر إليكما كليكما من على مقعدي... ولشد ما ضايقك أن تذهب إليه حين أرسلتك! لكم ضحكت يومئذ) لكم ضحكت! (قالت ذلك وهي تضحك محاولة أن تحبس قهقهتها). وفجأة عادت تقبلني) وتضمني إلى صدرهاء وتشد وجهي إلى وجهها بحنان قوي وعاطفة مشبوبة. أصبحت لا أفكر في شيء) ولا أسمع شيئاً. لقد أخذ رأسى يدور. أظن أن الساعة كانت بلغت السابعة من الصباح حين ثبت إلى رشدي. كانت الشمس تضيء الغرفة. وكانت باولين جالسة إلى جانبي تجيل بصرها على ما حولها غريبة النظرة) كأنها تخرج من الظلمة وتجمع شتات ذكرياتها. كانت قد استيقظت هي أيضاً منذ 177 1\_طماع © :عاكاس1

Page#198

قليل. وأخذت تنظر محدقة إلى المنضدة والمال. إن رأسي ثقيل موجع. وأردت أن أتناول يد باولين) فصدتني) ونهضت فجأة. كان النهار الذي بدأ يطلع قاتماً. لقد أمطرت السماء قُبّيل الفجر. اقتربت باولين من النافذة ففتحتهاء ثم مالت عليها بنصف جسمها متكئة على مسندهاء ولبثت على هذه الحال بضع دقائق لا تلتفت نحوي ولا تصغي إلى ما أقول لها. وراودتني فكرة مرعبة: ما عسى يحدث الآنء وكيف عسى ينتهى الأمر؟ وفجأة تركت باولين النافذة وجاءت إلى المنضدة؛ وقالت لي وقد فاض وجهها بكره لا حد له وارتعشت شفتاها من شدة الحنق: هات الآن الخمسين ألف فرنك التي لي! ماذا دهاك يا باولين؟ أتستأنفين القصة؟ - اللهم إلا أن تكون قد غيرت رأيك! ها ها ها. لعلك ندمت. كانت الخمسة والعشرون ألف فلورين التي عددتها في الليلة البارحة ما تزال على المنضدة: فتناولتها ومددتها إليها. . سألتني وهي تمسك,المال وتلقي علي نظرة ساخطة: - هي الآن لي) أليس كذلك؟ أليس كذلك؟ - لقد كانت لك منذ البدء. طيب. . . إذن خذها الآنء ألوفك الخمسين! قالت ذلك ورفعت يدها فرمت الحزمة في وجهيء فلطمته لطماء وتبعثرت الأوراق على الأرض) ثم خرجت باولين من الغرفة راكضة . كنت أعرف أنها لم تكن في تلك اللحظة مالكة عقلهاء رغم أنني 158 1\_طماع © :سا1

Page#199

لم أفهم هذا الجنون العابر. صحيح أنها ما تزال مريضة) وأنها مريضة منذ شهر. ولكن ما سبب هذه الحالة) وما سبب هذا الانفجار خاصة؟ هل أهينت كبرياؤها؟ أهو الحزن الشديد من أنها جاءت إليّ؟ ترى هل ظهر علي أنني مذِلُ بسعادتيء وأنني أريدء مثل دي جريوء أن أتخلص منها بإعطائها خمسين ألف فرنك؟ ولكن ليس ثمة شيء من هذا. . . وما أظن إلا أن الذنب ذنب غرورها. إن غرورها هو الذي دفعها إلى أن تمنع عني ثقتها وأن تهينني) وإن لم يكن ذلك كله واضحاً في ذهنها بل مبهماً كل الإبهام في أغلب الظن. فإذا كان الأمر كذلك) فقد عاقبتني بما كان يجب أن يعاقب ذنب. صحيح أن هذا كله لم يكن إلا هذياناً. وصحيح أيضاً أنني كنت أعرف أنها تهذي. .. وأنني لم أولٍ هذا الظرف انتباهاً. أتراها لا تستطيع أن تفغر لي ذلك الآن؟ ولكن إذا صح هذا بالنسبة إليّ الآنء فماذا بالنسبة إلىّ أمسء ماذا بالنسبة إلى أمس؟ إن هذيانها ومرضها لم يكونا من القوة بحيث ينسيانها ماذا كانت تفعل حين جاءت إليَ حاملة رسالة دي جريو! كانت تعلم إذن ما تفعل. وأسرعت أدسٌ جميع نقودي وذهبي في السرير كيفما اتفق) وأسدل عليها الغطاء؛ وأخرج من الغرفة بعد خروج ياولين بعشر دقائق تقريباً. كنت واثقاً أنها هربت إلى مسكنهاء فأردت أن أتسلل إلى شقتهم دون ضوضاءء أسأل الخادمة في المدخل عن صحة سيدتها. فما كان أشد دهشتي حين لقيتني الخادمة على السلم فقالت لي إن باولين لم تعد حتى الآنء وإنها ‏ أي الخادمة ‏ كانت آنية إليَ قلت للخادمة: 199 1\_طماع © :عاكاس1

Page#200

تقريباً. إلى أين ثراها ذهبت؟ فألقت عليّ الخادمة نظرة عتاب. وفي أثناء ذلك كانت القصة تطوف في أرجاء الفندق. فالنزلاء يهمس بعضهم لبعضء, عند حجرة البواب وعند مدير الخدمء أن (الآنسة)؛ قد خرجت راكضة في الساعة السادسة من الصباح) تحت وابل المطرء متجهة نحو فندق إنجلترة. فهمت من أحاديثئهم وتلميحاتهم أنهم كانوا يعرفون أنها قضت الليلة كلها في غرفتي. ثم إنهم كانوا قد أخذوا يقصون حكايات عن أسرة الجنرال. إنهم يعلمون أنه قد فقد صوابه في الليلة البارحة فأخذ يبكي منتحباً حتى سمع نحيبه كل من في الفندق. وقالوا في هذه المناسبة إن الجدة هي أمّهء وإنها قد جاءت من روسيا خصيصاً لتمنع ابنها من الزواج بمدموازيل دي كومنجء فإذا لم يطعها حرمته من ميرائها. أما وأنه رفض الامتثال لأوامرهاء فقد ذهبت تبدد ثروتها في الروليت أمام عينيه عامدة متعمدة) حتى لا تترك له شيئاً. فكان مدير الخدم يكرر قوله مستاءً مستنكراً وهو يهز رأسه: (يا لهؤلاء الروس!20)؛ وكان الآخرون يضحكون؛ إن مدير الخدم يهيىء الفاتورة. وكان قد علم أنني ربحت في الليلة البارحة: إن كارل خادمْ الطابق الذي أسكن فهرعت إلى فندق إنجلترة. ما نزال في ساعة مبكرة من الصباح؛ ومستر آستلي لا يستقبل. ولكنه حين عرف أن القادم هو أنا خرج يلقاني في الدهليز) وظل متسمراً أمامي يحدق إليّ بنظرته الكابية) منتظراً ما سأقوله. وسرعان ما سألته عن أنباء باولين) فأجاب وهو ما يزال يسدد بصره إلى عيني: 200 1\_طماع © :سا1

Page#201

- إنها مريضة. أهي إذن عندك؟ - وهل . . . هل تنوي أن تبقيها عندك؟ إنها مريضة تماماً. .. ألعلك لم تلاحظ ذلك؟ . - بلى! وقد سبق أن قلت لك إنها مريضة. ولو لم تكن مريضة - أأنت تعرف هذا أيضاً؟ - نعمء كان يجب أن تأتي إليّء ولو قد أتت إذن لنقلتها إلى منزل إحدى قريباتي) ولكنها كانت مريضة) فلذلك ضلت سبيلها فذهبت أهنئك إذن يا مستر آستلي! بالمناسبة) لقد ذكرتني الآن بشيء. ألم تمكث طوال الليلة البارحة تحت نافذتي؟ كانت مس باولين تطلب مني في كل لحظة أن أفتح النافذة لأرى إن كنت تنظر تحتها: وكان ذلك يضحكها كثيرا. أهذا ممكن؟ لا لم أكن تحت النافذة) غير أنني انتظرت في الدهليزء وطفقت أذهب وأجيء على مقربة. - نعم) وقد أرسلت أستدعي طبيباً؛ إذا ماتت فلسوف أعرف كيف - هلا تكرمت يا مستر آستلي فقلت لي ماذا تعني؟ 201 1\_طماع © :عاكاس1

Page#202

هل صحيح أنك ربحت البارحة مائتي ألف تالير؟ - بل مائة ألف فلورين فقط. هكذا. . . وستسافر بعد قليل إلى باريس. - لماذا؟ لأن جميع الروس يذهبون إلى باريس متى كان معهم مال. . . كذلك قال مستر آستلي متدفقاً في الكلام كأنه يقرأ في كتاب. وما عساي أصنع بباريس الآنء في الصيف؟ إنني أحبها يا مستر آستلى! أنت تعرف ذلك. حقاً؟ أما أنا فأعتقد بعكس ذلك. ثم إنك إذا بقيت هنا ستخسر حتماً كل ما تملكه؛ ولن يبقى معك ما قد يوصلك إلى باريس . هياء وداعاً إنني على يقين مطلق من أنك مسافر في هذا اليوم نفسة . - طيب. وداعاً. ولكني لن أسافر. فكر يا مستر آستلي فيما سيحدث!... إن الجنرال. . . ثم إن قصة باولين هذه ستنتشر في المدينة كلها. نعم في المدينة كلها. وأعتقد أن الجنرال لا يكاد يفطن إلى هذا الموضوع أصلاًء فإن هناك أشياء أخرى تشغل باله وتستأثر بتفكيره. ثم إن من حق مس باولين أن تقيم حيث تحلو لها الإقامة. أما أسرتها فلا نعدو الواقع إذا قلنا إنها لم يبق لها وجود. كنت بعد أن انصرفت من عند مستر آستلي أضحك عجباً من هذه الثقة الغريبة التي تبدو في كلامه حين أكد أنني مسافر إلى باريس. قلت في نفسي: وهو مع ذلك يريد أن يقتلني في مبارزة إذا مانت غير أن هناك شيئاً غريباً هو أنني منذ اللحظة التي دنوت فيها من 202 1\_طماع © :سا1

Page#203

مائدة القمار وأخذت ألمّ الأوراق النقدية أكداساً أكداساء أصبح حبي في المنزلة الثانية إن صح التعبير. وأنا أقول ذلك الآن. أما وقتئذ فلم يكن شعوري به واضحاً كل الوضوح . أأنا إذن مقامر؟ أكان حبي ياولين. . . غريباً إذن هذه الغرابة؟ لا. . . إنني ما أزال أحبهاء شهد مخلصاًء وكنت ألوم نفسي لوماً شديداً حين كنت عائداً إلى غرفتي... غير أن... مغامرة من أعجب المغامرات وأشدها حماقة وبلاهة قد وقعت لي عندئذ. كنت ذاهباً إلى الجنرال مستعجل الخطىء فإذا بباب يفتح على حين غرة) غير بعيد عن مسكنهم) وإذا بصوت يناديني: إنها السيدة أرملة دي كومنج تناديني بأمر من مدموازيل بلانش. دخلت شقة المرأة الشابة. إنهما يقيمان في شقة صغيرة من غرفتين. وكان ضحك مدموازيل بلانش وانطلاق صوتها يُسمعان صادرين من حجرة نومها. كانت مدموازيل بلانش بسبيل النهرض من فراشها : ها. . . أهذا هو؟ تعال تعال يا أبله! أصحيح أنك ربحت جبلاً من ذهب وفضة؟ إنني أوثر الذهب على كل حال. -كم؟ - مائة ألف فلورين. - ما أبلهك! أدخل أدخل! إنني لا أسمع شيئاً. لسوف نطلق لأنفسنا العنان) أليس كذلك؟ ودخلت. كانت مضطجعة تحت غطاء من حرير وردي يكشف عن 203 1\_طماع © :عاكاس1

Page#204

كتفيها السمراوين المدورين الرائعين: كتفين لا يرى المرء مثلهما في المنام؛ قد غطاهماء على إهمال) قميص من نسيج قطني خفيف يزينه شريط مخرم مطرز ناصع البياض يبرز جمال جلدها البرونزي كما يبرز الضد ضده. صاحت تقول وهي تراني: الك قاب ب ؛ ببي؟220, ا قلت موسعاً جملة كورنايٌ: فأخذت تثرثر قائلة: - أرأيت) أرأيت؟ هات لي أولاً جوربيّ فألبسنيهما؛ ثمء إذا لم تكن أبله جدأء فأخذتك معي إلى باريس. أنت تعلم أنني مسافرة توا. - توأ؟ بعد نصف ساعة. وكان كل شيء قد حُزم فعلاً. وكانت الحقائب مهيأة. وقد شربت القهرة منذ زمن - فإذا شئت) رأيت باريس! قل لي: ما معنى كلمة (مربّي)؟ لشد ما كنت أبلهء حين كنت مربياً! أين جورباي؟ مالك لا تلبسني قالت ذلك وأظهرت قدماً صغيرة أخاذة الجمال حقاً: قدما سمراء دقيقة, ليس فيها شيء من ذلك التشوه الذي تراه تقريباً في جميع تلك الأقدام الصغيرة التي تبدو جميلة ذلك الجمال كله وهي في 204 1\_طماع © :سا1

Page#205

أحذيتها. أخذت أضحك ومددت الجورب الحريري على ساقها. فكانت أثناء ذلك ما تنفك تثرثر قاعدة على سريرها. - هيه! ما عساك فاعلاً إذا أخذتك معي؟ أولاً أريد خمسين ألف وهناك سنعيش معأء وسأريك النجوم في وضح النهار. لسوف ترى هنالك نساء ما رأيت مثلهن في حياتك. اسمع . . . انتظري! إذا أعطيتك خمسين ألف فرنك فماذا يبقى لي؟ - هل نسيت المائة والخمسين ألف فرنك؟ ثم إنني أرضى أن أعيش معك شهراًء أو شهرينء لا أدري؟ وطبعاً سننفق في شهرين هذه المائة والخمسين ألف فرنك. أرأيت؟ إنني طفلة طيبة) أنبئك بما سيقع منذ الآن. ولكنك سترى نجوماً! أيفزعك هذا؟ يا لك من عبد سيىء! ألا تعلم أن شهراً واحداً تعيشه على هذا النحو خير من حياتك كلها؟ شهر واحد... وبعده الطوفان! ولكنك لا تستطيع أن تفهم! هيا امض في سبيلك. هيا هيا... إنك لا تستحق هذا وما أنت جدير به. آي) ماذا تفعل؟ كنت بسبيل إلباسها جوربها الثاني) ولكنني لم أطق أن أقاوم) فإذا أنا أقبّل قدمهاء فسحبته وأخذت تلطم وجهي بطرف القدم) ثم أنا مسافرة بعد ربع ساعة. قلت لنفسي: ليس ذنبي أن مدموازيل باولين رمت كدسة الأموال 205 1\_طماع © :عاكاس1

Page#206

في وجهيء وآثرت علي مستر آستلي منذ ذلك المساء! وكان ما يزال على الأرض بعض الأوراق النقدية) فلمحتها. وفي تلك اللحظة تتح البابء) ودخل مدير خدم الفندق (الذي كان قبل ذلك لا يحب حتى أن ينظر إليَّ)) ودعاني أن أسكن تحتء في الشقة الرائعة التي شغلها الكونت ك. . . منذ فترة قصيرة. فلبثت لحظة أفكرء ثم هتفت أقول له: - هات لي فاتورة الحساب. أنا مسافر إلى باريس بعد عشر دقائق . ‎١‏ ذلك أنني قلت لنفسي: إذهبٌ إلى باريس يا هذا. لا شك أن ذلك كان مقّدراً علي ومكتوباً لي. وما انقضى ربع ساعة حتى كنا جالسين فعلاً في حجرة عائلية بالقطار: أنا ومدموازيل بلانش) والسيدة أرملة دي كومنج. كانت مدموازيل بلانش تضحك,. وهي تنظر إليَء ضحكا شديدا تتساقط له من عينيها الدموع. وكانت السيدة أرملة دي كومنج تجاريها في الضحك . لن أقول إنني كنت مرحاً حينذاك. لقد كانت حياتي تنشطر شطرين. غير أنني ألفت منذ الليلة البارحة أن أقامر على ورقة. قد يكون صحيحاً أنني كنت لا أحتمل المال) وأنني قد فقدت رشدي. قد يكون هذا صحيحاًء ولكنني كنت لا أنشد أحسن من ذلك! وكان يتراءى لي خلال لحظة؛ خلال لحظة واحدة؛ فحسبء أن الإطار قد تغير (ولكنني سأعود بعد شهر. .. وستقع الواقعة يومتذ بيننا. .. أنا ومستر آستلي)... نعم) إذا صدقت ذاكرتي) فلقد كنت أشعر بحزن صاحت بلانش تقول لي مقرّعة مؤنّبة وقد توقّفت عن الضحك: - ولكن ماذا تريد؟ ألا إنك لأحمق... ألا ما أشد حماقتك! نعم 206 1\_طماع © :سا1

Page#207

نعم) ستنفق المائتي ألف فرنك) ولكنك ستكون سعيداً كملك صغير. سأعقد لك بنفسي ربطات عنقك) وسأقدمك إلى هورتنس. حتى إذا بددنا كل ما معنا من مال) عدت أنت إلى هنا فدمّرت الخزنة من جديد. ماذا قال لك اليهوديان؟ الجرأة والتهوّر هما الأصل. وأنت امرؤ جريء متهوّرء وستأتيني إلى باريس مراراً تحمل إلى مالاً. أما أنا فأريد دخلاً مقداره خمسون ألف فرنكء سألتها مقاطعاً: - والجنرال؟ الجنرال؟ أنت تعلم أنه يذهب في مثل هذه الساعة من كل صباح يشتري لي باقة من الأزهار. وقد طلبت منه في هذه المرة) عامدة) أن يجيئني بأزهار يندر العثور عليها. فمتى عادء المسكين) يكون الطير قد طار. ولسوف يجري وراءنا. سترى ها هاها... هكذا سافرت إلى باريس. 207 1\_طماع © :سا1

Page#208

الفصل الثالث عشر و أرون ين مذ قلعن باريس؟ (ا(للل0ل. كان ذلك كله هذياناً وشذوذاً) ما في ذلك ريب. لم أمكث في باريس إلا ثلاثة أسابيع) وفي نهاية هذه الأسابيع الثلاثة) كنت محملاً بمائة ألف فرنك. أقول مائة ألف فرنك فقط. أما الماثة ألف الأخرى فقد أعطيتها مدموازيل بلانش عداً ونقداً: خمسين ألفاً في فرنكفورت) وخمسين ألفاً في باريسء) بعد ثلاثة أيام) سندات لأمرها ما لبئت أن أبدلتها بعد أسبوع. والمائة ألف الباقية لناء ستأكلها معي يا عزيزي (المربي). (كذلك كانت تسميني دائماً (المربي©. 0 ْ يصعب على المرء أن يتخيل وجود إنسان يبلغ من الشك والحذر) ويبلغ من البخل والشح. ما يبلغه هذا النوع من البشر الذي تنتمي إليه مدموازيل بلانش فيما يتصل بالمال الذي لهم. أما المائة ألف فرنك التي بقيت لي فقد صرّحت لي بعد ذلك) بكل بساطة) أنها في حاجة إليها لتستقر بباريز. وأضافت تقول: - هأنذا وقفت أخيراً على قدميّ في موضع لائق)ء ولن ينزلني أحد من هذا الموضعء إلى أمد طويل. لقد اتخذت 208 1\_طماع © :سا1

Page#209

الإجراءات الضرورية) على الأقل. ثم إنني لم أكد أرى بعينيّ لون تلك الآلاف المائة من الفرنكات: فلقد كانت مدموازيل بلانش هي التي تتولى الإنفاق) ولم تضم محفظة نقودها التي كانت تتفقدها كل يوم) لم تضم أكثر من مائة فرنك في لحظة من اللحظات؛ بل لم تضم إلا أقل من ذلك في أكثر الأحيان. كانت تقول لي أحياناً وقد ظهرت في وجهها سلامة النية وحسن الطوية : ما حاجتك أنت إلى المال؟ فكنت لا أجادلها ولا أناقشها. وفي مقابل ذلكء أعدِّت بهذا المال؛ منزلاً جميلاً جدأء فلما أخذتني إلى منزلها الجديد) قالت لي وهي تطوف بي في أرجائه: - أنظر ماذا يستطيع التوفير والذوق أن يعملا بأيسر الأثمان) وأضعف الموارد. ومع ذلك فإن هذه الأثمان قد كلفت خمسين ألف فرنك. أما الخمسون ألف فرنك الأخرى فقد اشترت بها عربة وخيلاً. ثم أقامت حفلتين راقصتين) أعني سهرتين) حضرتهما (هورتنس) و(ليزيت) و(كليوباتره)؛ وهن نساء متميزات من عدة وجوهء وهن فوق ذلك بغايا طييات. وقد اضطررت أثناء هاتين السهرتين أن أمثل دور رب المنزل) فأستقبل وأحدّث زوجات تجار حديثي العهد بالغنى) نساء على جانب عظيم من قلة العقل وضحالة الفكرء كما أستقبل وأحدث ضباطاً صغاراً لا يُطاقون ولا يُحْتَمَلون من شدة جهلهم وغلظتهم وفظاظتهم) وأناساً من أدعياء الكتابة المخربشين) وصحفيين تافهين يجيئون مرتدين أحدث زيء مستعرضين أنفسهم مزهوين) على غرور 209 1\_طماع © :سا1

Page#210

وصلف وغطرسة لا نستطيع تصورها نحن في بطرسبرج) وليس هذا بالقليل... حتى لقد بدا لهم أن يسخروا مني وأن يستهزئوا بي) ولكنني كنت أقبل على الشمبانيا فما أزال أشرب إلى أن أسكرء فأمضي أنام في الغرفة المجاورة. وكانت مدموازيل بلانش تقول: إنه (مربٌ). وقد ربح مائتي ألف فرنك) فلولاي ما عرف كيف ينفقها. وسيعود بعد ذلك إلى مهنته. ألم يسمع أحد منكم عن وظيفة وكنت ألجأ إلى الشمبانيا في أغلب الأحيان؛ لأنني حزين دائماء ضجر ضجراً رهيباً. كنت أعيش في بيئة هي أكثر البيئات بورجوازية تطيقني خلال الأيام الخمسة عشر الأولى: لاحظت ذلك. صحيح أنها كانت تُعتّى بأناقة هندامي) وكانت تتولى بنفسها عقد ربطة عنقي كل يوم) ولكنها كانت في حقيقة الأمر تحتقرني احتقاراً وذياً. ولم أكن أولي ذلك أي انتباه. وبدأت أخرج من المنزل من فرط ما كنت أشعر به من حزن وكآبة؛ فكنت في أكثر الأحيان أمضي إلى (قصر الأزهار)7©: فأظل أسكر كل مساء بغير انقطاع) وأتعلم رقصة الكانكان (التي يرقصونها هنالك على نحو خال من أي احتشام على الإطلاق)؛ حتى لقد صرت مشهوراً بهذا النوع من الرقص. وفهمت بلانش أخيراً طبيعة هذا الرجل الذي تعامله: كانت قد تخيلت أول الأمر أنني) طول مدة العلاقة التي بينناء سأتبعها ممسكاً بقلم وورقة) أحصي ما تنفقه) وأعد ما تسرقهء وما قد تنفقه وما قد تسرقه أيضأء وكانت مقتنعة بأن عليها أن تنتزع مني بصراع مرير كل قطعة من قطع النقود ذات العشرة فرنكات. فكانت تعد جواباً حاضراً لكل هجوم 210 \_طماع !© :اعاااسس 1

Page#211

تفترض أنني قد أتناولها به) فلما لاحظت أني لا أبادر إلى الهجومء أرادت أن تسبقني إليه لتمنعني منه. فكانت تشرع في ذلك أحياناًء فتطلق للسانها العنان) ولكنها وقد رأت أنني أصمت لا أنبس بكلمة) بل أظل مستلقياً على الكرسي الطويل محدقاً إلى السقف. أخذت تستغرب وتدهش؛ فاعتقدت أول الأمر أنني امرؤ مغفل لا أكثر من ذلك ولا أقل) أنني (مربٌ) وكفى) فتكف عن الكلام قائلة لنفسها من غير شك (إنسان مغفل) فلا فائدة من استثارته إن لم يفهم من تلقاء نفسه). وكانت في بعض الأحيان تخرج من المنزل ثم تعود بعد عشر دقائق (كان هذا يحدث حين تنفق مبالغ ضخمة جنونية) مبالغ لا تسمح لنا وسائلنا بإنفاقها؛ مثلما فعلت يوم أبدلت فرسيها بفرسين أخريين دفعت ثمنهما ستة عشر ألف فرنك). ألست غاضباً يا عزيزي؟ فقلت وأنا أبعدها عني بيدي: لكن هذا الجواب بدا لها غريباً كل الغرابة فجلست إلى جانبي وقالت: إسمع. لقد قررت أن أدفع ثمن الفرسين مبلغاً باهظاً إلى هذا الحدء لأنها فرصة. . . فإن في وسعي أن أعود فأبيعهما بعشرين ألف أصدقك)؛ أصدقكء. فهما فرسان جميلتان) وقد أصبح لك الآن مركبة فخمة رائعة) وهذا سيعود عليك بفائدة) فلا تتكلمي في هذا الموضوع بعد الآن. إذن لست غاضبا؟ 211 1\_طماع © :سا1

Page#212

ولماذا أغضب؟ لقد كنت على حق إذ اشتريت ما لا بد من شرائه. فهذا كله سيعود عليك بنفع في المستقبل. إنني لأدرك أنك في حاجة حقاً إلى أن تقفي على قدم راسخة وطيدة) وإلا لم تحصلي على المليون. إن الماثة ألف فرنك التي نملكها ليست هنا إلا بداية) قلت ذلك فإذا ببلانش التي كانت تتوقع كل شيء) وتنتظر صياحاً ولوماً وعتاباً لا أفكاراً من هذا النوع) إذا بها تبدو كمن يهبط من السحاب . قالت: - إذن أنت كذلك؟ إن لك فكراً يفهم والحالة هذه! هل تعلم يا بنى؟ إنك على كونك (مربّياً؛ قد حُلقت أميراً ولا شك. أأنت إذن غير آسف على أن مالنا يهرب بهذه السرعة؟ -لا... لست آسفاً. . . فليذهب المال إلى الشيطان. . . ليهرب بأقصى سرعة! ولكن.. . ولكنك تحتقر المال وتسرف في احتقاره. ما عساك فاعلاً - أذهب إلى هومبورج”\*2 ‎٠‏ فأربح هنالك مائة ألف فرنك أخرى. - نعم نعم. . . هذا ما يجب أن تفعله! رائع! وأنا واثقة من أنك ستربح؛ وستجيئني بالمال إلى هنا. قل لي: لسوف تبلغ من خسن التصرف على هذا النحوء إنني سأحبك آخر الأمر. سأحبك طوال هذا الوقت) ولن أخونك مرة واحدة. هل ترى؟ لقد كنت في هذه الآونة الأخيرة لا أحبك. لأنني كنت أعتقد أنك (مربّ) وكفى (أي حادم تقريباً) أليس كذلك؟). ومع ذلك أخلصت لك ولم أخنك) 212 \_طماع !© :اعاااسس 1

Page#213

الأسمر؟ أتظنين أنني لم ألاحظ في المرة الأخيرة؟ أنت لن تطرديه على كل حالء فإنه أقدم مني) وأنت تحبينه؛ ولكن إياك أن تعطيه مالا هل تسمعين؟ - أنت إذن غير غاضب حتى من هذا؟ ألا إنك لفيلسوف حقاًء هل كذلك صاحت تقول متحمسة) ثم أضافت: لسوف أحبك؛ لسوف أحبك. سترى. ستكون راضياً! ومنذ ذلك اليوم تعلقت بي بعض التعلق فعلاً) بل أظهرت لي شيئاً من الصداقة. فكذلك انقضت أيامنا العشرة الأخيرة. ولئن لم أر النجوم التي وعدئني بها فلقد برت بوعدها من بعض الوجوه. ثم إنها عرفتني بهورتنس) وهي امرأة فذة في نوعهاء كانوا يطلقون عليها في حلقتنا اسم تيريز الفيلسوفة9© . على أنه لا مجال للإفاضة في هذا الآن؛ فهو يصلح أن يكون موضوع قصة على حدة) قصة ذات لون خاص لا أريد أن أصبغ به روايتي هده. والحق أنني كنت أتمنى بكل ما أوتيت من قوة أن ينتهي هذا كله بأقصى سرعة. ولكن المائة ألف فرنك التي كنا نملكها قد دامت قرابة شهرء فأدهشني ذلك حقاً. إن بلانش قد اشترت أشياء مختلفة بثمانين ألف فرنك على الأقل؟ فلم ننفق إذن إلا عشرين ألف فرنك. . . وكان هذا كافياً. وقد اعترفت لي بلانش) التي أصبحت صريحة معي في آخر الأمر (أو قل على الأقل أنها أصبحت لا تكذب عليّ في كل شيء) اعترفت لي بأنني لست 213 1\_طماع © :سا1

Page#214

مسؤولاً. على كل حالء) عن الديون التي اضطرت إليها. قالت لي: - هناك فواتير وسندات لم أحملك على مهرها بتوقيعك) لأنني أشفقت عليك. إن امرأة غيري كانت ستفعل ذلك حتماء فترسلك إلى السجن. فها أنت ذا ترى كم أحببتك وكم كنت طيبة القلب! إن هذا الزواج التعيس وحده سيكلفني مبالغ طائلة جنونية . ذلك أن هناك زواجاً قد تم فعلاً؛ وذلك في آخر الشهر الذي قضيناه معاًء ويجب أن نفترض أن الفتاتات الأخيرة من المائة ألف فرنك قد أنفقت فيه؛ وبهذا الزواج انتهت القصةء أعني انتهى الشهر الذي عشنا فيه حياة مشتركة. وبعد ذلك (أُجِلت إلى المعاش) رسمياً. وإليك كيف حدثت الأمور: بعد إقامتنا بباريس ثمانية أيام وصل الجنرال فجاء إلى بلانش رأساً) وكاد يبقى معنا منذ أول زيارة. . الحق أنه كان له شقة صغيرة في مكان ما. وقد استقبلته بلانش فرحةء وتلقته بصيحات دهشة وقهقهات ضحك.). حتى لقد ارتمت على عنقه؛ ودارت الأمور على نحو نستطيع أن نقول معه إنها هي التي تشبثت بهء كان عليه أن يصحبها إلى كل مكان: فصحبها متجوّلةً في الشوارع الكبرى) وصحبها في نزهاتهاء وصحبها إلى المسرحء وصحبها في زياراتها لأصدقائها. إن الجنرال ما يزال في مستوى هذه المهمة. إنه رجل مهيب المظهرء رفيع المنزلة) فارع القامة. زاهي الشاربين واللحية (كان الجنرال قد خدم في سلاح الفرسان)) وسيم المحياء وإن يكن وجهه قد ذبل بعض الذبول؛ وهو يحسن التصرف) ويجيد الاداب الاجتماعية إجادة فذة) ويعرف كيف يرتدي الملابس الرسمية في يسر وسهولة. وقد أخرج في باريس ما كان يملكه من أوسمة ونياشين. حتى ليمكن القول إن 214 \_طماع !© :اعاااسس 1

Page#215

التنزه في الشوارع الكبرى في صحبة رجل مثله ليس ممكناً فحسب) بل هو مستحسن مرغوب فيه أيضاً. كان الجنرال الشهم الغبي مفتتناً منتشياً بالغاً أوج السعادة. فإنه لم يكن يتوقع هذا كله حين جاء إلى بيتنا عند وصوله باريس. كان يرتجف من الخوف. ظاناً أن بلانش سوف تستقبله بصراخ وزعيق) وسوف تأمر بطرده على الفور؛ فإذا الأحداث تجري مجرى آخر) فسحره ذلك. وقضى الشهر كله وهو في حالة من النشوة والوجد لا توصف. وقد كان على هذه الحال نفسها حين تركته. وهنا إنما عرفت أنه بعد سفرنا المباغت من رولتنبرج) قد وافته في صباح ذلك مجنونء يقول كلاماً لا يربطه رابط) كلاماً لا معنى له ولا انسجام فيه. وقد أخذوا يعالجونه؛ ولكنه لم يلبث أن ترك كل شيء هنالك) فركب القطار مولياً وجهه شطر باريس. ومن نافل القول أن نذكر إن لقيا بلانش كانت له خير علاج. ولكن أعراض مرضه لبثت تلازمه زمناً طويلء رغم كل ما شعر به من غبطة ورضى وابتهاج. أصبح منذ ذلك الحين عاجزاً عن التفكيرء بل حتى عن متابعة حديث يتصف بشيء من الجدء فهو في مثل هذه الحالة لا يزيد على أن يتبع كل كلمة بقوله 'هِمْف, أو يهز رأسه موافقاً. فبذلك كان يدبر الأمر ويحل المشكلة. وكان يضحك في كثير من الأحيانء ولكن ضحكه مضطرب عصبي مريض. وكان في بعض الأحيان يبقى هناك أمور كثيرة كان قد نسيها نسياناً تامأء وأصبح شديد الذهول وتعرّد أن يكلم نفسه وحيداً. كانت بلانش تستطيع أن ترده إلى الحياة. وما كانت نوبات الحزن والكابة التي توافيه حين ينطوي في 215 1\_طماع © :سا1

Page#216

ركن من الأركان إلا دليلاً على أنه لم ير بلانش منذ زمن طويل) أو على أن بلانش قد خرجت دون أن تصطحبههء أو أنها نسيت أن تلاطفه قبل أن تخرج. فلو سألته في مثل هذه الأحوال ما الذي يريده) لما استطاع أن يجيبك بشيء) فلقد كان يجهل هو نفسه أنه مكتئب المزاج حزين النفس. حتى إذا ظل ساكناً على هذه الحال ساعة أو ساعتين (لاحظت ذلك مراراً حين تكون بلانش قد غابت عن المنزل طوال النهار) ساعيةً إلى ألبير في أغلب الظن)) أخذ ينظر حواليه على حين فجأة) وأخذ يتململ ويتحرك ويضطرب) ينظر تارة إلى هذه الجهة وتارة إلى تلك). كأنه يريد أن يتذكر شيئاً أو أن يرى أحداً. ولكنهء إذ لا يرى أحداً ولا يتذكر ما كان يريد أن يتذكرهء يرتد إلى خدرهء ويظل على هذه الحال من الخدر إلى أن تعود بلانش فرحة مرحة في أبهى حلة وأجمل زينة) ضاحكة مقهقهة. وفي ذات مرة بلغ الجنئرال من شدة الشعور بالسعادة والفرح أن اغرورقت عيناه دموعاً. فأدهشني ذلك. ومنذ وصول الجنرال أخذت بلانش تدافع عن نفسها أمامي حتى لقد استرسلت في كلام كثير وخطب طويلة؛ فذكرتني بأنها إنما خدعته بسببي) وأنها كانت خطيبته تقريباء وأنها قطعت له على نفسها عهد الشرفء وأنه في سبيلها إنما ترك أسرته) وأنني في خدمته) بكلمة واحدة أثناء تدفقها في الكلام. ولكنني انفجرت ضاحكاً مقهقهاً في النهاية) ووقفت الأمور عند هذا الحدء ومعنى ذلك كله أنها كانت تعدني في أول الأمر امرءاً أبله) ثم استقر في ذهنها ورسخ في عقلها أنني فتى شهم أوتيت طبعاً رضياً وخلقاً رفيعاً. والخلاصة 216 1\_طماع © :سا1

Page#217

أنني قد سُعدت في النهاية بأن أستحق رضى هذه الفتاة المحترمة (حقاً لقد كانت بلانش فتاة ممتازة. . . في نوعها طبعاً! ولم أكن قد وفيتها حقها من التقدير في أول الأمر!). قالت لي قبيل النهاية: - أنت امرؤ ذكي طيب... وإنها لخسارة حقاً أن تكون بهيمة إلى لروسي حقاً! وقد أوفدتني مراراً أنزّه الجنرال) كما كان يمكن أن توفد خادماً ينزه كليها في الهواء الطلق. فأخذته إلى المسرح) ومضيت به إلى (مرقص مابيل)؛ وقصدت معه عددا من المطاعم. وكانت بلانش تنقدني بعض المال لأنفق منه في هذه النزهات) رغم أن الجنرال كان معه مال) ورغم أنه كان يحب أن يخرج محفظة نقوده من جيبه على مرأى من الناس. ولقد كدت ألجأ إلى القوة في ذات مرة لأصده عن شراء حلية سعرها سبعماثة فرنك كانت بلانش قد أظهرت إعجابها بها في شارع بورويال) فكان الجنرال مصرأ أشد الإصرار على شرائها من أجل أن يهديها إلى بلانش. ما قيمة حلية سعرها سبعمائة فرنك في نظر بلانش؟ ولقد كان كل ما يملكه الجنرال ألف فرنك) لم أستطع أن أعرف يوماً من أين جاء بهاء وأغلب الظن عندي أنه أخذها من مستر آستلي) لا سيما وأن مستر آستلي قد دفع عنهم نفقات الفندق . أما عن اهتمام الجنرال بي طوال هذه المدة) والتفاته إليّء فأغلب الظن أنه لم يخطر بباله أن يكون بيني وبين بلانش ما كان بيني وبينها فعلاً من علاقات. كان قد سمع أنني ربحت في القمار ثروة؛ ولكنه كان يفترض أنني كنت عند بلانش بمثابة سكرتير خاصء) بل ريما 217 1\_طماع © :سا1

Page#218

بمثابة خادم أيضاً. وقد استمر يخاطبني من عل على كل حال) ويكلمني بلهجة الآمرء ختى لقد كان يأذن لنفسه بأن يوبّخني أحياناً. وفي ذات صباحء بينما كنا نحتسي القهوة سلك سلوكاً أضحكنا كثيراً أنا وبلانش. إنه لم يكن سريع التأذي في العادة) ولكن لا أدري لِمَّ ساءه وجودي فجأة في ذلك الصباح) (وما زلت أجهل هذا إلى الآن) ومن المحقق أنه كان هو نفسه لا يدري ذلك)) فإذا هو يشرع في خطاب لا ذيل له ولا رأسء لا أول له ولا آخرء خطاب يخبط خبط عشواء؛ قال إنني صبي غرّء وإنه سيعلّمني كيف أعيش) وكيف أفهم. . . إلخ إلخ. . . ولكن ما من أحد استطاع أن يفهم عنه شيئاً. وكانت بلانش تكاد يغشى عليها من شدة الضحك. واستطعنا أخيراً أن نهدىء روعه على نحو من الأنحاءء وصحبناه في جولة قمنا بها معاً. لاحظت عدة مرات أن نوبات من الحزن كانت تعتريه من حين إلى حين) فهو يأسف على شيء ماء أو على أحد ماء هو يشعر أن أحداً ما يعوزه. رغم وجود بلانش. وقد كنت نجياً له مرتين أو ثلاثاً) فأراد أن يفضي إليّ بمكنون نفسهء ولكنني لم أستطع أن أستخرج من كلامه أي شيء واضح: كان يتكلم عن خدمته العسكرية) وعن المرحومة زوجهء وعن أراضيه) وعن ثروته. فإذا وقع على كلمة تحلو لهء أخذ يرددها مائة مرة في اليوم الواحدء رغم أنها لا تفصح لا عن عواطفه ولا عن خواطره. وحاولت أن أدير الحديث على الأولادء ولكنه أخذ يتدفق في الكلام كما كان يفعل آنفاً) ويتتقل إلى موضوع آخر. مرة واحدة رق قلبه وظهر حنانه فيما كنا ذاهبين إلى المسرح) فقال: 218 \_طماع !© :اعاااسس 1

Page#219

- إنهم أولاد تعساءء نعم نعم يا عزيزي) إنهم أولاد تعساء. وردد هذه العبارة مراراً في تلك السهرة : (إنهم أولاد تعساء) . ولما أردت أن أكلمه في أمر ياولين ثار حنقه وصاح يقول: - إنها بنت عقوق! بنت شريرة وعقوق! لقد لطخت شرف الأسرة! ولو كان هنالك قوانين إذن لروّضتها وأدبتها. نعم نعم! أما دي جريو فقد كان الجنرال لا يطيق أن يذكر له اسمه؛ فكان يقول : كابوسي الرهيب ستتين كاملتين) كان يجثم على صدري في أحلامي أشهراً برمتها. . . إنه. . . إنه. . . دعنا منه!... ولا تكلمنى عنه بعد الآن قط! ْ ولاحظت أن ثمة اتفاقاً كان يتم بينهماء ولكنني صمت على عادتي لا أقول شيئاً . ثم أطلعتني بلانش على ما تم اتفاقهما عليهء وكان ذلك قبل رحيلي بثمانية أيام على وجه التحديد. قالت تفضي إلى بسرها: إن للجنرال أملاً في ميراث الجدة) فهي الآن مريضة حقاً تنتظر منيتها من لحظة إلى أخرى. لقد أرسل إلينا مستر آستلي برقية بهذا المعنى. والجنرال هو وريثها طبعاً. وهبه لم يرثهاء فإنه لن يزعجني في شيء. فهو أولاً يملك معاشه التقاعدي) وهو ثانياً سيقيم في الحجرة التي تقع في آخر المنزل سعيداً بذلك كل السعادة؛ وسيكون اسمي أنا #مدام الجنرال)) فأدخل المجتمع الراقي (كان ذلك حلم بلانش). وسأصبح عدا ذلك من الروس أصحاب الأطيان) لي قصرء ولي.فلاحون (موجيك))؛ ثم يكون لي مليوني الذي أريده! 219 1\_طماع © :عاكاس1

Page#220

- فماذا عساك تفعلين إذا أصبح غيوراً) فأصبح يقتضيك. . . الله أعلم ماذا؟ هل تفهمين ما أعني؟ أوه. .. لا... لا... هذا لن يكون. . . إنه لن يجرؤ! وقد اتخذت احتياطاتي) فلا تقلق من هذه الناحية! لقد حملته على أن يمهر بتوقيعه عدة سندات باسم ألبير... فما أن يخطر له أي خاطر من هذا القبيل. .. حتى يُعَافبٍ فوراً... لا... لا... لن يجرؤ! - إذن تزوجيه. إلى الاحتفال به إلا ألبير وعدد من الأصدقاء الحميمين. واستّبعدت هورتنس وكليوباتره والآخرون استبعاداً مقصوداً حاسماً. واتخذ الخطيب وضع الجد. وتولت بلانش عقد ربطة عنقه بنفسهاء ودهنته بالعطرء وظهر بردائه الرسمي وصدرته البيضاء رجلاً لائقاً مهيباً. قالت لي بلانش وهي تخرج من غرفة الجنرال) وكأن هده الفكرة قد فاجأتهما: - إنه لائق جداً مع ذلك. وإذ إنني لم أدخل في التفاصيل ولم أشارك في هذا كله إلا مشاهداً غير مكثرت ولا مبال) فقد نسيت الآن شطراً كبيراً مما حدث حينذاك. ولكنني أتذكر أنه قد اكتشف أن بلانش لم يكن اسمها دو كومنج (لا ولا كان اسم أمها مدام/ أرملة دوكومنج)؛ بل كان اسمها دويلاسيه. أما لماذا اختارتا كلتاهما هذا الاسم حتى ذلك اليوم... فهذا أمر أجهله. غير أن الجنرال قد سحره ذلك سحراً) حتى أن اسم دوبلاسيه راقه أكثر مما راقه اسم دوكومنج. وفي صبيحة يوم الزواج كان قد ارتدى ملابسه كاملة: وأخذ يذرع الصالون جيثئة 220 1\_طماع © :سا1

Page#221

وذهاباً ويردد بغير توقف قائلاً وقد لاح في وجهه الجد كل الجد: (مدموازيل بلانش دوبلاسيه! مدموزيلا بلانكا ديو يلاسيتا! . . .؛؛ كان يردد ذلك وقد التمعت في محياه معاني الرضا والاكتفاء والارتياح. أما في الكنيسة؛ وفي مقر المحافظة) وفي البيت أثناء تناول طعام العشاء؛ فلم يكن وجهه يفصح عن السعادة فحسب) بل كان يعبّر عن العجب والزهو أيضاً. ولقد حصل لهما كليهما شيء ماء فإن مدموازيل بلانش قد أصبحت تصطنع هيئة الوقار والرصانة. قالت لي وقد لاحت في وجهها كل معاني الجد: - يجب أن أتصرف بعد اليوم تصرفاً آخر. . . ولكن هل ترى؟ هنالك أمر مزعج جداً لم يخطر لي على بال. تصور أنني لا أاتوصل إلى تذكر اسمي العائلي! زاجوريانسكي) زاجوريانسكي) مدام الجنرال دي ساجو. . . ساجو. . . تبأ لهذه الأسماء الروسية! على كل حال... سيكون اسمي مدام الجنرال... أربعة عشر حرفاً! شيء لذيذء أليس كذلك؟ وافترقنا أخيراًء فإذا ببلانش) هذه الحمقاء بلانش) تذرف بعض لقد كنت ولداً طيباً. . . ظننتك بهيمة؛ وكان يبدو عليك ذلك) على أن هذا يناسبك. وبعد أن صافحتني مرة أخيرة) صاحت فجأة تقول: (إنتظر!) وأسرعت إلى مخدعها ثم عادت بعد لحظة تحمل ورقتين ماليتين من ذات الألف فرنك. ما كان لي أن أظن أنها ستفعل ذلك! قالت: خذ هذاء فسيفيدك. قد تكون مثقفاً جدأ من حيث أن (مربَ؛) ولكنك بليد من حيث أنت رجل. ولن أعطيك أكثر من هذاء لأنك 221 1\_طماع1© :]سا1

Page#222

ستخسر كل شيء) كيف دار الحال. هيا! وداعاً! سنظل دائماً صديقين. فإذا ربحت مرة أخرى) فلا يفوتنك أن تأتي إليّء وستكون سعيداً! 000 كان لا يزال معي خمسمائة فرنك. ثم إنني أملك ساعة جميلة يساوي ثمنها ألف فرنك) وأملك أزرار أكمام من ألماس) فاستطيع إذن أن أعيش بهذا زمناً طويلاً دون هموم. لقد أقمت في هذه المدينة الصغيرة المضجرة) لأستجمع أفكاري؛ وأنا أنتظر مستر أستلي خاصة. فلقد سمعت من مصدر يوثق به أنه لا بد أن يمر بهذه المدينة) وأن يمكث فيها أربعاً وعشرين ساعة لقضاء بعض الأعمال. لسوف أعلم إذن كل شيء... وبعدئق... بعدئذ. . . أذهب رأساً إلى هومبورج. ولن أعود إلى رولتنبرج) قبل السنة القادمة على الأقل. يقال إنه ليس من الخير أن يجرب المرء حظه مرتين على مائدة قمار واحدة. ثم إن اللعب قائم في هومبورج أيضاً. ّ 222 1\_طماع © :161 1انلا 1

Page#223

الفصل السابع عشر مذ عشرين شهراً لم أنظر في هذه المذكرات؛ ولم يخطر ببالي أن أعيد قراءتها إلا في هذا اليوم) عسى أن تنسيني قلقي وتخفف من حزني وشجني. لقد وصلت من حديثي السابق إلى اليوم: الذي قصدت فيه هومبورج. رباه! ما كان أشد طيشي وأخف عقلي حين كتبت تلك الأسطر الأخيرة؛ فإن ن لم يكن الأمر أمر طيش شديد وعقل خفيف. فلا أقل من أن يوصف بأنه ثقة بالنفس) وأمل لا يتزعزع! هل كنت أشك في نفسي أي شك؟ وها قد انقضى على ذلك الآن ثمانية عشر شهراً) فإذا أنا أعيش في وضع خير منه وضع أي شحاذ متسول في رأبي! بل أين أنا من أي شحاذ متسول؟ أنا امرؤ ضاع وكفى! إن وضعي لا يمكن أن يشبّه بأي وضع البتة. ولن أتحدث الآن حديث الواعظ الناصحء فلا شيء أسخف من النصح والوعظ في لحظة كاللحظة التي أعيشها الآن! آه من أولنك الراضين عن أنفسهم! آه من ذلك الزهو المغرور الذي يصاحب كلام أولئك الثرثارين حين يأخذون يطلقون نصائحهم ومواعظهم وعباراتهم المأثورة! لو علموا مدى شعوري بما تتصف به حالتي الراهنة من ترد 223 \_طماع !© :اعاااسس 1

Page#224

إسداء النصح وإزجاء الموعظة وإلقاء الدرس. وهل في وسعهم أن يقولوا لي أي شيء جديد لا أعرفه من قبل؟ نعم) إن الأمر لكذلك. والشيء المحقق الذي لا ريب فيه... هو أن دوران العجلة دورة واحدة يمكن أن يبدل كل شيء؛ فإذا بهؤلاء الواعظين أنفسهم يأتون إليَ أول الآتين (أنا متأكد من ذلك) ليهنئوني ممازحين كما يمازح الصديق صديقه؛ وإذا هم لا يتحولون عني مشيحين كما يفعلون الآن. ولكنني أبصق في وجوه هؤلاء الناس! ما أنا الآن؟ صفر! ماذا أستطيع أن أكون غداً؟ أستطيع أن أحيي موتي فأستأنف الحياة. أستطيع أن أكتشف في نفسي الإنسان قبل أن يضيع سافرت فعلاً إلى هومبورج. ولكنني. . . ذهبت بعد ذلك إلى رولتنبرج؛ وإلى سياء وإلى بادن أيضاًء أرافق مرافقة الخادم سيده) المستشار هنزي) الوغد الذي صار هنا سيدي ومولاي. نعمء لقد لبثت خادماً خلال خمسة أشهر. وقد حدث ذلك بعد خروجي من السجن توأ (ذلك أنني أودعت السجن بسبب ديون لم أردهاء ثم سددها عني شخص مجهول) لا أدري أهو مستر آستلي؛ أم هو باولين) أم هو إنسان آخر؛ ولكن الديون قد سُدّدتء وكان مجموعها مائتي تالير) فأفرج عني وأطلق سراحي). إلى أين كان يمكنني أن أذهب؟ وفي ذلك الوقت إنما دخلت في خدمة ذلك الرجل الذي اسمه هنزي. هو شاب طائش مولع بالكسل) وأنا أجيد الكلام والكتابة بثلاث لغات؛ فاتخذني في أول الأمر سكرتيراً أو ما يشبه السكرتيرء بأجر شهري مقداره ثلاثون فلورين؟ ولكنني أصبحت آخر الأمر خادمه حقاً: ذلك أن موارده قد قلت) فأصبح لا يستطيع أن يكون له سكرتير) فأنقص أجري) وكنت لا أعرف مكاناً أذهمب إليه؛ فبقيت عندهء وبذلك أحلت نفسي بنفسي بنفسي إلى حادم . وكنت لا 224 1\_طماع © :سا1

Page#225

أنال في خدمته حظأ كافياً من الطعام والشراب) ولكنني استطعت أن أدخر سبعين فلورين في مدى خمسة أشهر. وفى ذات مساءء وكنا أيامئذ في بادنء أعلنت له أنني أريد أن أتركه) وذهبت فى ذلك المساء نفسه إلى الروليت! لشد ما كان قلبي يخفق! وما كان المال هو ما أحرص عليه! لا... وإنما كنت أريد أن أرى جميع هؤلاء الذين يسمون هنزي) وجميع مديري الخدمة في الفندق) وجميع هاتيك السيدات الحسناوات في بادن) كنت أريد أن أرى جميع هؤلاء) منذ الغداة) يتحدثون عني ويروون قصتي ) ويعجبون بى) ويُزجون إليّ المديح والإطراءء وينحنون أمامي إجلالاً لما أصبت من حظ جديد في اللعب. ولقد كان ذلك كله أحلاماً ومشاغل من أحلام الأطفال ومشاغلهم... ولكن... من يدري؟ فلعلني ألقى أيضاً باولين) فأقص عليها مغامراتي) وأبرهن لها على أنني فوق جميع ضربات الحظ السخيفة تلك! نعم لم يكن المال هو ما أحرص عليه! وإني لعلى يقين من أنني لو قد جنيت ربحاً كبيراً لأعطيته مرة أخرى لامرأة ما مثل بلانش) ولظهرت أعرض نفسي مرة أخرى ثلاثة أسابيع بباريس) يجر عربتي فرسان ثمنهما ستة عشر ألف فرنك. أنا أعرف فما كان أشد انفعالى) وما كان أشد انقباض صدري) حين كنت أسمع القيّم يعلن: واحد وثلاثونء أحمرء مفردء ياس؛ أو: أربعة) أسودء مزدوجء مانك! وما كان أشد شراهتي ونهمي حين كنت أنظر إلى مائدة القمار فأرى الدنانئير الذهبية والفردريكات والتاليرات مبعثرة هنا وهناك) وأرى كدسات الذهب تدحرجها مجرفة القيّم أكواماً متقلبة الألوان كالجمرء. أو. أرى نقود الفضة ملفوفة أسطوانات تحيط بالدائرة من كل جانب. كنت حتى قبل أن أصل إلى قاعة اللعب 225 1\_طماع © :سا1

Page#226

أوشك أن أنهار حين أسمع رنين النقود ذهباً وفضة. كانت تلك الأمسية التي حملت فيها إلى مائدة القمار فلوريناتي السبعين أمسية رائعة. لقد بدأت بعشر فلورينات حططتها على الباس. كان قد استقر في وهمي شيء من الإيثار للباس. فخسرت. فبقي معي ستون فلوريئاًء نقوداً من فضة. ففكرت... ثم وقع الصفر. فإذا بالصفر يظهر في الدورة الثالثة. تصورت أنني سأموت فرحاً وأنا أتلقى مائة وخمسة وسبعين فلوريناً. لم أشعر بمثل هذه السعادة يوم ربحت مائة ألف فلورين. وما لبثئت أن حططت مائة فلورين على الأحمر... فربحت؛ ثم حططت مائتين على الأحمر... فربحت... ثم حططت أربعمائة على الأسود.. فربحت. . . ثم حططت ثمانمائة على الباس فربحت أيضاً. بلغ ما أملكه ألفأ وسبعمائة ألف فلورين. . . وقد تم ذلك كله في أقل من خمس دقائق! إن المرء ينسى في مثل هذه الأحوال جميع الإخفاقات الماضية! لقد حصلت على ذلك مجازفاً بأكثر من حياتي. . . لقد تجرأت أن أجازف. . . فإذا أنا أجد نفسي في عداد الرجال من جديد! استأجرت غرفة في فندق) فحبست نفسي فيها مغلقاً بابها بالمفتاح) ولبئت ثلاث ساعات أعد ما آل إلىّ من مال. حتى إذا استيقظت) كنت قد أصبحث رجلاً حراً لا خادماً ذليلاً. وقررت أن أسافر في ذلك اليوم نفسه إلى هومبورج. فهناك لم أكن خادماًء ولا أودعتٌ سجناً. ولكنني قبل موعد سفر القطار بنصف ساعة ذهبت إلى الروليت لأقامر هرتين لا أكثرهء فخسرت ألفا وخمسمائة فلورين. ومع ذلك سافرت إلى هومبورج التي انقضى على وجودي فيها شهران حتى الآن. 226 1\_طماع © :عاكاس1

Page#227

إنني أعيش الآن هنا في قلق متصل. فإذا مضيت أقامر لم أقامر إلا قليلاً في جلسة واحدة) فأنا أنتظر متريثاًء وأجري حسابات طويلة) وقد ألبث أياماً برمتها قرب مائدة القمار أراقب مراقبة) وأحلم باللعب حلماً... ومع ذلك فإنه يبدو لي أنني قد تبلدت) وأنني قد غطست في الوحل . إنني أستنتج هذا من الشعور الذي شعرت به حين التقيت بمستر آستلي. لم نكن قد التقينا قبل ذلك) ثم التقينا في هذه المرة مصادفة. وإليك كيف وقع ذلك: كنت سائراً في الحديقة العامة أجري حساباتي فأرى أنني أصبحت خالي الوفاض تقريباً) لم يبق معي إلا خمسون فلوريناء بعد أن دفعت أول أمس فاتورة الفندق الذي أشغل فيه غرفة صغيرة. لم يبق في وسعي إذن أن أقامر على الروليت إلا مرة واحدة) فإذا ربحت) ولو مبلغاً ضئيلاً) استطعت أن أواصل اللعب) أما إذا خسرت... فسيكون علي أن أعمل خادماً من جديد, إلا أن أجد على الفور أسرة روسية تحتاج إلى (مرت). . . كانت هذه الفكرة هي التي تشغل بالي) فمضيت أقوم بنزهتي اليومية في الحديقة العامة وفي الغابة التي تقع في ضاحية مجاورة. كنت أظل أمشي على هذه الحال أربع ساعات أحياناً ثم أعود إلى هومبورج متعباً جائعاً. وإني لأدخل في الحديقة؛ إذا أنا ألمح مستر آستلي على حين فجأة) جالساً على أحد المقاعد. إنه هو الذي رآني فناداني. فجلست إلى جانبه . وإذ لاحظت في وجهه الجد والرصانة) سارعت أطامن فرحي وأهدىء انفعالي. فلقد سرني حقاً أن أراه. قال مستر آستلي: أنت إذن هنا؟ لقد توقعت أن ألتقي بك. لا تتعب نفسك في أن ما جرى لك خلال هذه الأشهر العشرين. 227 1\_طماع © :عاكاس1

Page#228

ها... إذن أنت ترصد أصدقاءك القدامى. ألا إن هذا ليشرفك. فلست بمن ينسى أصحابه. ولكن قل لي: لقد خطر ببالي الآن شيء: ألست أنت الذي أخرجتني من سجن رولتنبورج الذي أودعته بسبب دين مقداره مائتا فلورين؟ إن شخصاً مجهولاً قد سدد عني هذا المبلغ . لاء لاء ما أنا... ولكنني أعلم أنك سجنت بسبب ديون في رولتنبورج. هل تعرف إذن من الذي سدد عني الدين فأطلق سراحي؟ لاء لا أستطيع أن أقول أنني أعرف. غريب!.. . إننى لا أعرف أحداً من الروس هناء وما كان لأحد منهم أن يسدد عني ديئاً على كل حال. وإنما هناك) في بلادناء في روسياء يفتدي الأرئوذكس إخوتهم على هذا النحو. لذلك قدّرت أن الذي سدد عني الدين لا بد أن يكون إنجليزياً عجيباً ماء فعل ذلك من قبيل التفرد والشذوذ. كان مستر آستلي يصغي إليّ مندهشاً بعض الاندهاش) فلا شك أنه كان يتوقع أن يراني حزيناً منهاراً. قال وقد لاح في وجهه شيء من العبوس: مهما يكن من أمرء فإنه لما يأخذ بلبي أن أراك على عهدي بك من استقلال في الفكرء بل ومن مرح في المزاج. فقلت له ضاحكا: - أي أنك في قرارة نفسك يحنقك أن لا تراني منهك النفس مذل الكرامة . فلم يدرك معنى ما قلته أول الأمرء لكنه حين فهم أخل يبتسم. 228 \_طماع !© :اعاااسس 1

Page#229

- تعجبني ملاحظاتك . إنني أرى في كلماتك هذه صديقي القديم) الشديد الحماسة) المتوقد الذكاء. الساخر الهازىء المستخف فى الوقت نفسه. الروس وحدهم قادرون على أن يجمعوا في أنفسهم كل هذه الأضداد. صحيح أن الإنسان يحب أن يرى خير صديق من أصدقائه مذلاً أمامه: فعلى الإذلال إنما تقوم الصداقة أكثر الأحيان. تلك حقيقة قديمة يعرفها جميع الأذكياء من الناس. ولكنني أؤكد لك صادقاً مخلصاً. قل لي: أليس في نيتك أن تترك القمار؟ هه. . . فليذهب القمار إلى جهنم!. . . لسوف أتركه متى. . . - متى استرددت مالك) أليس كذلك؟ هذا ما كنت أتوقعه. . . فلا تكمل... أناأعرفف... ولقد أفلت منك هذا الكلام دون تفكير... إذن فقد قلت الحقيقة) ولكن قل لي: هل تعمل الآن في شيء) عدا القمار؟ فأخذ يمتحنني. كنت لا أعرف شيئأء كنت لا أكاد ألقي نظرة على الصحف, لا ولا أمسكت بكتاب طوال ذلك الوقت. قال مستر آستلي: - لقد تبلّدت وتخدرت: لم تنصرف عن الحياة فحسبء لم تدع اهتماماتك الشخصية) واهتمامات المجتمع وواجباتك إنساناً ومواطناً فحسبء ولم تهجر أصدقاءك فحسب (ولقد كان لك أصدقاء)؛ ولم تُشِحَ بوجهك عن كل هدف عدا الربح فحسب) بل تحولت حتى عن الفترة من أحسن المشاعر: نسيت أحلامك كلهاء وأصبحت رغباتك 229 \_طماع !© :اعاااسس 1

Page#230

اليومية كلها لا تمضي إلى أبعد من التفكير في المزدوج والمفرد والأحمر والأسودء والأرقام الاثني عشر الوسطى) إلخ إلخ. أنا على هتفت أقول متبرماً بل غاضباً بعض الغضب: - كفى) كفى يا مستر آستلي) أرجوك) أرجوك أن لا تذكر لي الماضي. واعلم أنني لم أنس شيئاً. ولكنني طردت ذلك كله من ذهني إلى حين) حتى ذكرياتي... بانتظار أن أسترد وضعي كاملاً.. . وعندئذ) عندئذ. . . لسوف ترى كيف أحبي موتي! قال مستر آستلي: - لسوف تلبث هنا عشر سنين. أراهن على أنني سأذكرك بهذا الكلام) فوق هذا المقعد نفسهء إذا بقيت حياً. قاطعته أقول نافد الصبر: - طيب طيب... كفى! ومن أجل أن أبرهن لك على أنني السجنء فلا بد أن تكون هي من فعل ذلك. لم أسمع شيئاً عن أخبارها أبدا . فقال بلهجة حازمة بل وغاضبة: لا... لا... لا أظن أنها هي التي دفعت ديونك! وهي الآن بسويسراء ولسوف تسرني.كثيراً إذا أنت لم تلق علي أسئلة عن مس باولين . قلت وأنا أضحك رغم إرادتي: - إذن فقد جرحنّك أنت أيضاً جرحاً عميقاً بالغا؟ - إن مس باولين خيرٌ من خير مخلوق يستحق الاحترام على وجه 230 \_طماع !© :اعاااسس 1

Page#231

الأرض) ولكنني أعود فأقول لك إنك تسرني كثيراً إذا كففت عن إلقاء أسئلة تتعلق بها. أنت لم تعرفها يومء وعندي أن تحرّك فمك بذكر اسمها إساءة إلى حسّي الأخلاقي. حقاً؟ ولكنك مخطىء على كل حال. فيم عساي أكلمك إن لم أكلمك عن مس باولين؟ هلا فكرت قليلا؟ إن جميع ذكرياتنا متصلة بها. وما عليك أن تخشى شيئاًء فما بي حاجة قط إلى معرفة حكاياتكما الحميمة! وإنما يعنيني؛ إن صح التعبير) أن أعرف ما يحيط بمس باولين الآن من ظروف خارجية. أريد أن أعرف شيئاً عن وضعها الخارجي لا أكثر من ذلك. وهذا يمكن أن يقال بكلمتين. - لك ما تريد. ولكن على شرط أن نبقى في حدود هاتين الكلمتين لا تتعداهما. ظلت مس باولين مريضة زمنا طويلاء وما تزال مريضة إلى الآن. سكنت بعض الوقت عند أمي وأختي في شمال إنجلترا. ومنذ ستة أشهر ماتت جدتها (تذكر تلك المرأة المجنونة تماماً)) تاركة لهاء لها شخصياًء سبعة آلاف دينار. وهي ‏ أي مس باولين - تقوم الآن برحلة مع أسرة أختي التي تزوجت. وقد كفلت وصية الجدة أيضاً مصير أخيها الصغير وأختها الصغيرة) فهما يتعلمان الآن بلندن. أما الجنرال) زوج أمهاء فقد مات منذ شهر في باريس من نزيف في الدماغ. وقد عنيت به مدموازيل بلانش) ولكنها استطاعت أن تسجل على اسمها كل ما ورئه عن الجدة. هذا كل شيء فيما أظن. - ودي جريو؟ ألا يقوم برحلة في سويسرا هو أيضاً؟ لا... إن دي جريو لا يقوم برحلة في سويسراء ولا أعرف أين هو الآن. على أنني أنصحك مرة أخيرة أن تجتنب هذا النوع من الغمزء وأن تحاذر هذا النوع من التقريب بين الأمور تقريباً ليس في محلهء وإلا كان لي معك شأن!. . 231 1\_طماع © :سا1

Page#232

ماذا؟ أرغم صداتتنا القديمة؟ أستغفرك ألف مرة يا مستر أستلي) وأسألك الصفح! ولكن اسمح لي أن أقول لك إن الأمر ليس فيه شيء من إساءة ولا هو وعدا ذلك... فإن التقارب بين رجل فرنسي وآنسة روسية هو.ء على وجه العموم) أمر لا نستطيع لا أنا ولا أنت أن نوضحه إيضاحاً كاملاً أو أن نفهمه فهماً تاماً. - لو لم تقرن اسم دي جريو باسم آخر لطالبتك أن تشرح لي ما تعنيه بقولك (فرنسي صغيرة و(آنسة روسية)! فما هذا (التقارب) الذي تعنيه؟ ولماذا تخصص فتقول: فرنسي وآنسة روسية؟ - هل رأيت؟ إن الأمر يعنيك. ولكنها حكاية طويلة يا مستر آستلي. إن هناك أشياء كثيرة يجب أن تُعرف أولاً. ثم إنها مسألة هامة) تبلغ من الهزل أن الأمر كله يبدو من أول نظرة. الفرنسي يا مستر آستلي شكل كامل رشيق أنيق. قد لا ترى أنت هذا الرأي من روسيء ولو من باب الغيرة على الأقل. ولكن لعل آنساتنا ينظرن نظرة أخرى. لقد تَعْدَ (راسين) متصنعاًٌء متكلفاًء مزوقاء حتى لقد باعثاً على الضحك أكثر منه جديراً بالسخرية به من بعض النواحي. ولكنه فاتن يا مستر آستلي) وهو شاعر كبير بخاصةء شئنا أم أبينا. إن الشكل القومي للفرنسيء أعني للباريسي) قد انصب في قالب أنيق حين كنا ما نزال نحن دببة. لقد ورئت الثورة النبالة. فأنت ترى الآن أتفه الفرنسيين صاحب حركات رشيقة) وأوضاع أنيقة) 232 1\_طماع © :سا1

Page#233

وتعبيرات جميلة) بل وأفكار تلبس شكلاً رشيقاً كل الرشاقة) دون أن يكون في ذلك كله شيء من مبادهته أو روحه أو قلبه. لقد انتقل إليه هذا كله وراثة. فقد يكونون في ذاتهم أكثر المخلوقات فراغاً وسوءاً. ذلك من جهة) ومن جهة أخرى فإنه ليس في الدنيا كلها (أقول لك هذا الآن يا مستر آستلي) إنسان أكبر ثقة وأكثر انفتاحاً من فتاة روسية دي جريوء أياً كان الدور الذي يمثله زوراً وبهتاناء وأياً كان القناع الذي يخفي به وجههء أن يغزو قلبها بسهولة لا يصدقها العقل. ذلك أن له شكلاً رشيقاً أنيقاً يا مستر آستلي) والفتاة تحسب أن شكله هذا هو روحهء تحسب أن هذا الشكل هو الصورة الطبيعية لروحه وقلبه) ولا تحسبه لباساً انتقل إليه وراثة. يجب أن أعترف لك يا مستر آستلي) وهذا سيسوءك, أن الإنجليز في أغلب الأحيان مسرفون في النظام محرومون من الأناقة أو الرشاقة. والروس أناس مفطورون على تمييز الجمال؛ مولعون به؛ ظامئون إليه. ولكن تمييز جمال الروح وأصالة الشخصية يحتاج إلى قدر من استقلال الرأي وحرية النفس فوق ما يملك منهما نساؤناء فما بالك بالفتيات! إن مس باولين (لا تؤاخذني) فقد نسيت اسم الأسرة)) ستقضي وقتاً طويلاً قبل أن تعزم أمرها فتؤثرك على وغد مثل دي جريو. إنها تقدرك ذلك الوغد الكريه؛ ذلك المرابي الحقير التافه الذي يسمى دي جريو سيكون هو سيد ذلك القلب. وسيستمر هذا الأمرء ولو عناداً أو كبرياء إن صح التعبيرء لأن دي جريو نفسه قد ظهر لها ذات يوم تحت هالة مركيز رشيق أنيق) متحرر الفكر متخلص من الأوهام) دمر نفسه لأنه أراد أن يساعد أسرتها ويساعد ذلك الجنرال الطائش. 233 1\_طماع © :سا1

Page#234

صحيح أن ألاعيبه كلها قد افتضحت بعدئذ. ولكن ليس لهذا كبير شأن: ردوا إليها دي جريو القديم: فذلكم ما تريده. وكلما ازداد الاحتقار الذي تشعر به نحو دي جريو الجديدء ازداد أسفها وازدادت حسرتها على دي جريو القديم؛ رغم أن القديم لم يوجد إلا في خيالها. أنت صاحب مصنع يا مستر آستلي) أليس كذلك؟ - بلى! أنا شريك في المصقاة الكبيرة) لوول وشركاه. - أرأيت إذن يا مستر مستلي؟ هناك صاحب مصفاة في جهة) وهناك في الجهة الأخرى آبولون بلفيدير. .. لا يستقيم الأمران معاً. أما أنا فلست حتى صاحب مصفاة: ما أنا إلا مقامر صغير في الروليت. بل لقد كنت في الخدمة) وهذا ما تعرفه مس ياولين حتماً. لأن لها عيوناً تحسن تزويدها بالأخبار. قال مستر آستلي ببرود) بعد أن فكر بضع لحظات: - أنت حانق) ولهذا إنما تقول هذه السخافات والترهات. ثم إن أقرالك خالية من الأصالة. - صحيح. والشيء الرهيب) أيها الصديق النبيل) هو أن جميع اتهاماتي) بالغة ما بلغت من تفاهة وسخافة) صادقة مع ذلك. ثم إننا لم نقل شيئاً على كل حالء لا أنت ولا أنا! صاح مستر آستلي وقد ارتعش صوته والتمعت عيناه: - هذا الكلام فحش وحماقة. .. ألا فاعلم إذن أيها الإنسان العاق) أيها الإنسان القبيح التعيس الشقي) أنني إنما جئت إلى هومبورج بأمر منهاء لأراك) وأتحدث معك طويلاً بقلب مفتوح وصراحة تامة) ثم أنقل إليها كل شيء... عواطفكء) وأفكارك؛ وآمالك و. . . ذكرياتك! هتفت أقول وقد انبجست من عيني دموع غزيرة: 234 1\_طماع © :عاكاس1

Page#235

أهذا ممكن؟ أهذا ممكن؟ لم أستطع أن أحبس دموعي عن الهطول) وأظن أنها أول مرة في قال مستر آستلي: - نعم أيها الشقي. لقد كانت تحبك. أستطيع أن أكشف لك عن ذلك؛ لأنك إنسان ضاع وانتهى أمره؛ فلو قلت لك إنها ما تزال نفسك. كان لك بعض المواهبء وكان لك طبع يتدفق حياة) ولم تكن خبيث القلب أو سيىء النفس؛ حتى لقد كان في وسعك أن تنفع بلادك التي هي في مسيس الحاجة إلى رجال. . . ولكنك سوف تبقى هناء وقد انتهت حياتك. لست أتهمك. وفي رأيي أن الروس جميعاً مثلك) أو أنهم مهيأون لأن يكونوا مثلك. فإن لم يقعوا فريسة الروليت وقعوا فريسة شيء يشبهها. وما أندر الذين يمكن استثناؤهم من ذلك! لست أول من يتنكر للعملء فإنما خلقت الروليت للروس. لقد كنت إلى الآن رجلاً شريفاًء فآثرت أن تكون خادماً على أن تَسْرُقَ... ولكنني أرتعد حين أتصور ما قد يحدث لك في المستقبل. حسبنا هذا الآن. أنت في حاجة إلى بعض المال طبعاً؟ إليك عشرة ريالات ذهبية. لن أعطيك أكثر من ذلك) لأنك ستخسر كل ما قد أعطيك على كل حال. خذ هذاء ووداعاً. ما لك لا تأخذ المال؟ - لايا مستر آستلي) أبعد كل ما قلناه. . خذ!... إنني مقتنع بأنك ما تزال نبيلاء وإذا أعطيتك هذا 235 1\_طماع © :سا1

Page#236

المال؛ فكما يعطي صديق صديقاً حميماً. ولو كنت على يقين من أن في الإمكان أن تهجر القمار رأساً وأن تترك هومبورج عائداً إلى بلادك؛ إذن لكنت مستعداً أن أعطيك ألف دينار فوراً من أجل أن تبدأ حياة جديدة. ولئن لم أعطك إلا عشرة ريالات بدلاً من ألف دينار) فلأن المبلغين يستويان عندك: ستخسرهما لا محالة. خذ. ووداعاً. آخذها إذا رضيتٌ أن أقبلك. - أرضى مسروراً. تعانقنا عناقاً وديأ) وانصرف مستر آستلي. على مسألة باولين ودي جريوء فلقد كان هو قاسياً وغبياً في حكمه على الروس: لست أدافع عن نفسي أنا. على كل حال... على كل . ليس هذا هو الأمر الهام الآن: فتلك كلها أقوال) والحاجة الآن 01 أفعال. الأمر الهام الآن هو السفر إلى سويسرا! سأسافر غداً... آه... ليتني أستطيع أن أسافر على الفور: أن أبعث بعثاً جديداًء) أن أحيا حياة جديدة. يجب أن أبرهن لهم على... يجب أن تعلم باولين أنني ما زلت أستطيع أن أكون رجلاً. يكفي أن. . لقد فات أوان السفر اليوم على كل حال... ولكن غدا... آه.. إنني أوجس شيئاً. . . ولا بد أن يحدث ما أوجسه! معي الآن خمسة عشر ريالاً ذهبياًء وقد بدأت بخمسة عشر فلورنيا! فإذا تصرفت بتعقل وروية... أيمكن أن أكون طفلاً صغيراً إلى هذه الدرجة؟ ألم واحدة في حياتي. . . هذا كل ما أنا في حاجة إليه! يكفي أن أكون قوي الإرادة مرة واحدة حتى أغيّر مصيري في ساعة. إن قوة الإرادة 236 1\_طماع © :سا1

Page#237

هي الأمر الهام. ليس علي إلا أن أتذكر ما حدث لي منذ سبعة أشهر في رولتنبرج قبل دماري النهائي. كان ذلك مثلاً رائعاً على التصميم: ونظرت . .. إن هناك فلورينا ما يزال يتجول في جيب صدرتي. قلت لنفسي: (معي ما يكفيني لتناول عشائي). ولكنني بعد أن سرت مائة خطوة عدلت عن رأيي) وقفلت راجعاً. حططت الفلورين على المانك (على المانك) في تلك المرة). حقاً إن المرء ليشعر بإحساس غريب فريد حين يجازف؛ وهو وحيدء في بلد أجنبي) بعيد عن وطنه وعن أصدقائه) لا يدري هل يأكل في يومهء أقول حين يجازف) وتلك حاله. بآخر فلورين يملكه). بآخر فلورين. وربحت) وما هي إلا عشرون دقيقة حتى كنت أخرج من الكازينو بمائة وسبعين فلوريناً في جيبي. هذا ما يمكن أن يكون لآخر فلورين من شأن! فلو قد استسلمت للانهيار) لو لم أملك الشجاعة اللازمة لاتخاذ قرار. . . غداء غداً ينتهي كل شيء!.. 2317 1\_طماع © :سا1

Page#238

وق (2 إلى كف زلف )6( زف )2 (9) (20) 00 012 (13) 00 حواش لقد اختار دوستويفسكي لروايته في أول الأمر عنوان (رولتنبرج) ثم غيره استجابة لإلحاح الناشر. ولعله يريد باسم رولنتبرج مديئة فسبادن الألمانية التي قامر فيها بالروليت سنة 1863 وسنة 1865. (ميشا) وهنادياء هما تصغير اسمي ميشيل وناديجدا. إن معرض نيجني نوفجورود (على نهر الفولجا) كان أكبر معرض يقام في روسيا. (الأوبنيون ناسيونال). كانت هذه الجريدة اللبرالية الفرنسية كثيراً ما تهاجم النظام الروسي بسبب بولنده. (كانت تلك وسيلة غير غبية)) بالفرنسية في اأصل . (مذكرات الجنرال ف. آ. بيروفسكي!؛ نشرت سنة 1865؛ لقد استطاع هذا الجنرال) وقد اعتقله الفرنسيون سنة 1812) أن يرى كيف أن الفرنسيين كانوا يطلقون الرصاص على كل سجين يبلغ من الضعف والوهن أنه لا يقدر على السير في الطابور. (بابولتكا): تصغير بابكاء أي الجدة) وتقال تودداً وتحبباً. لقد تصور دوستويفسكي رواية (المقامرا في نهاية صيف 21863 أثناء رحلة إلى الخارج قام بها مع آبوليناريا سوسلوفا التي تسمى أيضاً باولين. (خمسة فريدريكات): قطع نقدية ذهبية ألمانية من ذلك العصر تساوي كل منها 10 11 تالير (فلورين). كلمة 9/8165 بالألمانية في الأصل معناها أب. (هوب وشركاهة؛ مصرف كبير في أمستردام. (المركيز دي جريوء الفرنسي القصيرة؛ إن دوستويفسكي يطلق هنا على ابن عم مدموازيل بلانش اسم بطل رواية (مانون ليسكو)) وهذه إشارة إلى أن المركيز المزعوم هو خليل بلانش وعشيقها. بالألمانية في الاصل . 238 1\_طماع © :سا1

Page#239

014) 605) (16) 217 218) 019) (200 (20 (22 (22) 224) اياقول). بالألمانية في الأصل) ومعناها ١نعم'‏ مؤكدة. (أأنت مجئون؟): بالألمانية في الأصل . جان بالاكيريف: مهرج الإمبراطورة آنا ‎ 1730(‏ 1740). ماري بلانشار ‎ 1778(‏ 1819) زوجة الملاح الجوي الذي اخترع المظلة (الباراشوت)؛ هلكت بباريز سنة 1819 على متن منطاد كانث تطلق منه اسهماً نارية فانفجر المنطاد. نصف (باود) يساوي نحواً من ثمانية كيلوغرامات. الفرنك المقصود هنا هو الفرنك الذهبي فيجب ضرب هذا المبلغ بخمسين لمعرفة ما ربحه من فرنكات هذه الأيام. لقد ربح ما يساوي مليون فرنك (جديد) تقريباً. (يا لهؤلاء الروس!): بالألمانية في الاصل . (ألك قلب يا بني؟.. شيء آخر. ..؟ حوار من مسرحية (السيد) لكورني. (قصر الأزهار): أحد المقاهي التي تعزف فيها الموسيقى بباريزء في ذلك اهومبورج؟؛ هي حتى سلة 1899 عاصمة دوقية هسه؟ وقد كان فيها دار للقمار. (تيريز الفيلسوفة): إشارة إلى الرواية الشائكة العسيرة الي لا يعرف هؤلقها. وعنوانها: (تيريز الفيلسوفة) أو مذكراث لقضة السيد ديفيري والآنسة أيروديس)) وقد ظهرث هذه الرؤاية في لاهاي سنة 1847. 239 1\_طماع1© :ع11اس1

Page#240

15800 978-9953-68-400-0 0-1-1-3 6-1:1:1-1 نا :!